عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال: «مَن أراد العلمَ فليقرأ القرآنَ فإنّ فيه علمَ الأوّلين والآخِرين»

("المصنّف" لابن أبي شيبة، ١٥/٤٦٦)

زبدة الإتقان في علوم القرآن

للعلامة الشيخ محمد بن علوي المالكي عليه الرحمة (المتوفّى:١٤٢٥هـ)

مع التحقيق والتعليق

من

كامران أحمد العطاري المدني سلمه الغني

والمراجع: شهزاد سليم العطاري المدني سلمه الغني

شعبة الكتب الدراسية

المدينة العلمية

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع

كراتشي- باكستان

الكتاب: **زبدة الإتقان في علوم القرآن**

المصنف: **الشيخ محمد بن علوي المالكي عليه الرحمة**

التحقيق والتعليق: كامران أحمد العطاري المدني سلمه الغني

والمراجع: شهزاد سليم العطاري المدني سلمه الغني

عدد الصفحات: ٢٦٦

الإشراف الطباعي: **مكتبة المدينة** كراتشي باكستان

التنفيذ: **المدينة العلمية** (**مركز الدعوة الإسلامية**)

شعبة الكتب الدراسية

جميع الحقوق محفوظة للناشر، يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكلّ طرق الطبع والنقل والترجمة، والنسخ والتسجيل الميكانيكي أو الإلكتروني أو الحاسوبي إلاّ بإذن خطي من:

مكتبة المدينة، كراتشي، باكستان

هاتف: +92-21-4921389/90/91

فاكس: +92-21-4125858

البريد الإليكتروني: ilmia@dawateislami.net

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٤٣ھ

Oct 2021

عدد النسخ: ٣٠٠٠

من فروع مكتبة المدينة

1	مکتبۃ المدینۃ: کراچی: فیضانِ مدینہ پرانی سبزی منڈی۔	021-34250168
2	مکتبۃ المدینۃ: لاہور: دربارمارکیٹ، گنج بخش روڈ۔	042-37311679
3	مکتبۃ المدینۃ: فیصل آباد: أمین پور بازار۔	041-2632625
4	مکتبۃ المدینۃ: میرپور کشمیر: فیضانِ مدینہ چوک شہیداں۔	05827-437212
5	مکتبۃ المدینۃ: حیدر آباد: فیضان مدینہ آفندی ٹاؤن۔	022-2620123
6	مکتبۃ المدینۃ: ملتان: نزد پیپل والی مسجد، اندرون بوہڑ گیٹ۔	061-4511192
7	مکتبۃ المدینۃ: راولپنڈی: فضل داد پلازہ، کمیٹی چوک اقبال روڈ۔	051-5553765

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة	الموضوعات	الصفحة
عملنا في هذا الكتاب	5	معرفة المتواتر والمشهور والآحاد	55
ترجمة صاحب زبدة الإتقان	6	تنبيهات	59
المقدمة (من المدينة العلمية)	10	كيفية تحمله.....	61
تعريف علوم القرآن	11	كيفيات القراءة.....	63
تاريخ التدوين لـ"علوم القرآن"...	16	فصل في كيفيّة الأخذ	64
مقدمة.....	22	استحباب الإكثار من قراءة القرآن	67
مقدمة في علوم القرآن.....	25	عادات السلف في قدر القراءة ...	68
المكي والمدني	28	آداب تلاوة القرآن.....	72
الحضري والسفري	30	القراءة في المصحف.....	80
أول ما نزل	31	الاقتباس وما جرى مجراه.....	87
أوائل مخصوصة	33	في معرفة غريبه.....	89
آخر ما نزل	35	ما وقع فيه بغير لغة العرب	93
معرفة سبب النزول	37	في قواعد مهمّة	95
هل للسبب تأثير في تحديد الحكم	38	قاعدة في الضمائر.....	95
فوائد تتعلق بأسباب النزول.....	40	قاعدة في التعريف والتنكير	97
آية واحدة وأسباب متعددة	41	قاعدة في الإفراد والجمع.....	102
آيات متفرقة والسبب واحد	43	قاعدة في السؤال والجواب	105
في معرفة حفّاظه ورُواته.....	45	في معرفة الوجوه والنظائر	107

معرفة إعرابه	115	في فَواتِح السُوَر.....	192
المُحكَم والمُتَشابِه	123	في خَواتِم السُوَر	194
في مقدَّمه ومؤخَّره	130	في مناسبة الآيات والسُوَر	196
في عامّه وخاصّه	136	في إعجاز القرآن.....	199
فروع منثورة تتعلّق بالعموم	141	فصل وجه إعجازه.....	201
في مُجمَلِه ومُبيَّنِه.....	144	تنبيهات	202
في ناسخه ومنسوخه	146	عناية العلماء بالعلوم المستنبطة	203
فوائد منثورة	152	أمثال القرآن.....	212
في مُشكِله ومُوهِم الاختلاف	154	في أقسام القرآن	217
في مُطلَقِه ومُقَيَّده	159	في جدل القرآن.....	220
في منطوقه ومفهومه.....	161	فيما وقع في القرآن من الأسماء	223
في وجوه مخاطباته.....	164	فوائد.....	225
في حقيقته ومجازه.....	167	في ذكر الآيات المبهمات	230
في الحصر والاختصاص.....	173	أسباب الإبهام في القرآن	232
طرق الحصر كثيرة.....	174	في معرفة تفسير القرآن وتأويله	234
ما جاء في القرآن من الإيجاز	176	أُمّهات مآخذ التفسير	236
في تشبيهه واستعاراته	181	في طبقات المفسِّرين	241
في كناياته وتعريضه	183	لمحة عن مركز الدعوة الإسلامية	257
التعريض	184	مآخذ المقدمة والحاشية.....	262
في الخبر والإنشاء.....	185		

عملنا في هذا الكتاب

١- قد حاولنا في أن نعرض الكتابَ على نحوٍ يسهل به قراءته وفهمه للطلبة الكرام والمدرّسين العظام بغير الزلّة والخطأ.

٢- قد قابلنا متنه مع نسخ متعدّدة.

٣- التزمنا الخطّ العربي الجديد، وأوردنا علامات الترقيم على وفقه.

٤- شكّلنا بعضَ الكلمات المشكلة لإزالة الإبهام والالتباس.

٥- خرّجنا الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية ضمن النص، وجعلناها بين معكوفتين هكذا [الفاتحة:٢].

٦- خرّجنا الأحاديث بذكر تخريجها في الحاشية، وذلك بذكر الكتاب والباب فقط.

٧- وضعنا الآيات بين الأقواس المزهرة هكذا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١﴾، ووضعنا الأحاديث بين الأقواس هكذا: ((**كَمَا تَدِينُ تُدَانُ**)).

٨- علّقْنا على مواضع كثيرة من الكتاب بما يستكمل مقاصده ويزيد فرائده وفوائده.

٩- وضعنا تراجم الأئمّة والرواة في الحاشية، وترجمة المؤلف في أول الكتاب بذكر اسمه ونسبه، وحياته العلمية والدعوية، وذكر تصانيفه ووفاته مع مصادر ترجمته.

١٠- إذا ترددنا في اسم أو كلمة من الكتاب رجعنا إلى المصادر التي نقل منها المؤلف، تأكّدنا من صحّتها.

وفي الختام ندعو الله الكريم ونسئله أن يجعل الكتاب نافعا للقارئين، والمؤلف والمحشي والمعاونين كلّهم في الدين والدنيا وأن يجعل ثوابه لجميع المسلمين خصوصا لسيد المرسلين خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم. وليس ذلك على الله بعسير. حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم، وصلى الله تعالى على حبيبنا، وشفيعنا، وقرة عيوننا، سيدنا ومولانا محمد النبي المختار، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار. آمين، يا رب العالمين!.

شعبة الكتب الدراسية

ترجمة صاحب زبدة الإتقان

اسمه ونسبه:

هو العلامة الشيخ محمد بن علوي بن عباس بن عبد العزيز الإدريسي الحسني المالكي. يعود نسبه رحمه الله تعالى من جهة الأب والأم إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر نسبه بنفسه في كتبه: «محمد الحسن بن علوي بن عباس بن عبد العزيز بن عباس بن عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن علي بن عربي بن إبراهيم بن عمر بن عبد الرحيم بن عبد العزيز بن هارون بن علوش بن منديل بن علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم»[١]

وكنيته: أبو أحمد. **وألقابه:** محدّث الحرمين، فخر المالكية.

مولده ووفاته:

ولد رحمه الله سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م كما أقرَّ هو بنفسه خلافا لما هو معروف عند أكثر الناس[٢] وكانت ولادته بداره المعروفة بمحلة القرارة قرب باب السلام من مكّة المكرّمة.

وتوفي رحمه الله تعالى فجر يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤٢٥هـ الموافق ٢٩ يناير ٢٠٠٤م بمكة المكرمة. وقبر بمقابر المعلاة بجوار والده السيد علوي بن عباس وأمام قبر أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها.

---

(١) العقود اللؤلؤية بالأسانيد العلوية صـ٥. الطالع السعيد المنتخب من المسلسلات والأسانيد صـ٢.

(٢) **قوله:** [**عند أكثر الناس**] المعروف عند أكثر الناس ١٣٦٥هـ.

نشأته ودراسته:

نشأ رحمه الله تعالى في كنف والده فقرأ عليه القرآن الكريم ثم أدخله مدرسة تحفيظ القرآن عند عمّه السيّد حسن المالكي، فحفظ القرآن، وتلقّى عن والده مبادئ الفقه والحديث والتفسير والنحو والمنطق، ثم التحق بمدرسة الفلاح بمكّة، ولازم حلق علماء الحرم الشريف المسائية، يقرأ عليهم في العصر والمغرب والعشاء.

رحلاته العلميّة والدعوية:

رحل إلى كثير من بلدان العالم الإسلامي وغيرها فأخذ عن علمائها وحمل عنهم العلم والإسناد والرواية وقام بالدعوة إلى الله ومن هذه البلدان: مصر، الهند، الباكستان، السودان، ليبيا، إندونيسيا، المغرب، ماليزيا، بروناي، سنغافورة، تركيا، الإمارات، الكويت، عمان، سوريا، لبنان، السنغال، الأردن، جنوب أفريقيا، كندا، أمريكا، برطانيا، النيجر، وغيرها.

أشهر شيوخه:

تلقى رحمه الله تعالى عن ثُلَّةٍ من العلماء الأعلام والأئمّة الكبار، نذكر ممن لازمهم وأخذ عنهم واستفاد منهم تربية وتعليما:

١ – العلامة الشيخ علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي (١٣٩١هـ).

٢ – العلامة الشيخ محمد العربي بن التبّاني الجزائري المكي (١٣٩٠هـ).

٣ – العلامة الشيخ حسن بن سعيد اليماني المكي المعروف بالشافعي الصغير (١٣٩١هـ).

٤ – العلامة الشيخ محمد يحي أمان الكتبي المكي (١٣٨٧هـ).

٥ – مفتي الديار المصرية العلامة الشيخ حسنين بن محمد حسنين مخلوف. (١٤١١هـ).

٦ – الشيخ ضياء الدين أحمد القادري الهندي ثمّ المدني. ذكره في كتابه "الطالع السعيد المنتخب من المسلسلات والأسانيد" بهذا اللفظ: «والشيخ المعمر فوق المائة ضياء الدين أحمد القادري، وسنده عال جدّا، فهو يروي عن عدة منهم الشيخ أحمد رضا خان البريلوي عصري الدحلان».

٧ – العلامة الشيخ صالح بن محمد بن صالح الجعفري المصري. (١٣٩٩هـ) وغيرهم كثيرا.

وأشهر تلاميذه:

للسيد رحمه الله طلاب من شتى المعمورة وقد انتفع به خلق كثير، ومِنْ أبرز تلاميذه الذين أخذوا عنه العلوم الإسلامية "علي الجفري" و"عبد الله فدعق".

وظائفه وأنشطته:

١ – مدرسا بالمسجد الحرام مكان والده السيد علوي من عام ١٣٩١هـ.

٢ – أستاذا بجامعة الملك عبد العزيز في كلية الشريعة بمكة المكرمة، من عام ١٣٩٠هـ إلى عام ١٣٩٩هـ.

كلمات الثناء عليه من العلماء:

١ – كان شيخه السيد حسن بن سعيد اليماني رحمة الله عليه يقول لوالده السيد علوي المالكي رحمه الله: «هذا فرع فاق أصلَه» ليدخل السرور عليه.

٢ – أطلق عليه الشيخان حسن بن محمد المشاط وعبد الله بن أحمد دردوم بأنه: «فخر المالكية».

٣ – قال فيه تلميذه السيّد نبيل الغمري: «لقد كانت حياة شيخنا السيد محمد بن علوي رحمه الله حافلة، وأوقاته كلها عامرة، وكان مشغولا منذ صغره في الطلب والسماع والأخذ والتلقي والانتفاع».

ومؤلفاته: تزيد على المائة بين المطبوع والمخطوط، وقد بلغ المطبوع نحو الثمانين ومنها:

١ – أبواب الفرج.

٢ – اتحاف ذوي الهمم العلية في رفع أسانيد والدي السنيّة.

٣ – أدب الإسلام في نظام الأسرة.

٤ – أذكار نبوية وأدعية سلفية.

٥ – أصول التربية النبوية.

٦ – الإعلام بفتاوى أئمّة الإسلام في مولد خير الأنام.

٧ – إمام دار الهجرة مالك بن أنس.

٨ – الأنوار البهية من إسراء ومعراج خير البرية.

٩ – أنوار المسالك في روايات موطأ الإمام مالك.

١٠ – البشرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها.

١١ – البيان والتعريف بذكرى المولد النبوي الشريف.

١٢ – حول خصائص القرآن.

١٣ – حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف.

١٤ – زبدة الإتقان في علوم القرآن.

المقدَّمة (من المدينة العلمية)

يأيّها الطلبة الأعزّاء الكرام! قد قرأتم علوما مختلفة دراسة كعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم أصول التفسير، وعلم الفقه. وكثير يظنّ أنّ الكتب التي صنّفت في علوم القرآن هي لعلم أصول التفسير، لكنّ هذا الأمر ليس كذلك، بل علم "علوم القرآن" كلي، وعلم "أصول التفسير" جزئي له.

وفي هذا الكتاب تتعلَّمون "علوم القرآن" علما مستقلّا منفردا. وقد وضّح هذا الأمرَ توضيحا رائعا كثيرُ العلماء كـ"العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني" المتوفّى سنة ١٣٦٧هـ في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن"، و"العلامة أبي عمر محمد بن محمد أبي شُهبة" في كتابه "المدخل لدراسة القرآن الكريم"، و"العلامة نور الدين عتر" في كتابه "علوم القرآن الكريم". وههنا نعرض عليكم تلخيص كلامهم ليظهر الفرق بين العِلْمَين أي: علم "أصول التفسير" وعلم "علوم القرآن".

«إنّ هذا التعبير "علوم القرآن" يدلّ لغةً على أنواع العلوم التي تتّصل بالقرآن الكريم. وهكذا كان يستعمل في عصور المتقدمين، فيراد به علوم تؤخذ من القرآن من علوم الشرع، كالعقيدة، أو الفقه، أو الأخلاق، أو من المعارف العامّة حول الإنسان، والكون، والطبيعة، والنبات، والسماء والأفلاك. كما يراد بـ«علوم القرآن» لغة علوم تخدم معاني القرآن مباشرة، وتوصل إليها، أو تدور حوله، أو تستمدّ منه، فيدخل تحت هذا التعبير بهذا الاستعمال اللغوي الثاني علوم كثيرة ضخمة، مثل: علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الرسم العثمانيّ، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وسائر علوم الدين

واللغة والبلاغة، وغير ذلك من علوم، درس العلماء في تآليفهم فيها القرآن كلّه في ضوء كل علم دراسة تفصيليّة.

ثم جعل العلماء هذه العبارة: "علوم القرآن" اسمَ عِلم، يراد به معنى خاصّ يدلّ على عِلْم خاصّ غير ما سبق كلّه؛ لأنّ هذا المعنى الجديد يختصّ بأنه عِلْم واحد يجمع ضوابط تلك العلوم المتصلة بالقرآن من ناحية كليّة عامّة.

تعريف علوم القرآن:

يقتضينا منهج البحث التحليلي أن نبيّن معنى كلّ من طرفي هذا «المركب الإضافي» ثم نبيّن بعد ذلك المراد منه بعد التركيب، ثم بعد ما صار فنًّا مدوّنا.

طرفا هذا المركب، هما لفظ «علوم» ولفظ «القرآن». أمّا «العلوم» فهو جمع «عِلم» والعلم في اللغة العربية مصدر بمعنى «الفهم والمعرفة» ويطلق ويراد به «اليقين» أيضا. أمّا في الاصطلاح فقد اختلفت فيه عبارات العلماء باختلاف الاعتبارات، فعرّفه علماء الكلام بأنه: «صفة ينكشف بها الأشياء لمن قامت به»، وعرّفه الفلاسفة والحكماء بأنه: «صورة الشيء الحاصلة في العقل». وليس شيء من هذه التعريفات بمراد هنا، وإنما المراد العلم في اصطلاح أهل التدوين وعُرفِهم، و«العلم» في عرف التدوين العامّ عبارة عن «جملة من المسائل المضبوطة بجهة واحدة» سواء أ كانت وحدة الموضوع أم وحدة الغاية، والغالب أن تكون تلك المسائل كليّة نظرية وقد تكون ضرورية، وقد تكون جزئية. وقد تكون شخصية أيضا كمسائل علم الحديث رواية فإنها في الواقع قضايا شخصية، موضوعها ذات النبي صلّى الله عليه وسلّم.

أمّا «العلم» بمعنى «الملكة التي بها تستحصل هذه المسائل» أو بمعنى

«إدراك المسائل» فغير مراد هنا؛ لأنّ بحثنا في العلم بمعنى «الفنّ المدوّن»، ومعلوم أنّ الذي يُدوَّن ويُؤلَّف هي المسائل والقواعد لا الملكة ولا الإدراك.

وأمّا «القرآن» فهو لفظ قد اختلف فيه العلماء من جهة الاشتقاق أو عدمه ومن جهة كونه مهموزا أو غير مهموز، من جهة كونه مصدرا أو وصفا على أقوال نجملها فيما يأتي: أما القائلون بأنه مهموز، فقد اختلفوا على رأيين:

الأول: قال جماعة منهم "اللحياني": القرآن مصدر قرأ بمعنى تلا، كالرجحان والغفران ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسما للكلام المنزّل على نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم من باب تسمية المفعول بالمصدر، ويشهد لهذا الرأي ورود القرآن مصدرا بمعنى القراءة في الكتاب الكريم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧-١٨] أي: قراءته.

الثاني: قال جماعة منهم "الزجاج": إنه وصف على فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع يقال في اللغة: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته، ثم سمّي به الكلام المنزّل على النبي صلّى الله عليه وسلّم لجمع السور والآيات فيه أو القصص والأوامر والنواهي أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة.

وهو على هذين الرأيين مهموز، فإذا تركت الهمزة فذلك للتخفيف، نقل حركتها إلى الساكن قبلها والألف واللام فيه ليست للتعريف وإنما [هي][1] لِلَمْحِ الأصل[2].

---

(١) زدناها لتستقيم العبارة.

(٢) **قوله:** [**للمح الأصل**] أي: "أل التي للمح الأصل" هذا مصطلح من المصطلحات النحويّة، وبيانه: أنّ أكثر الأعلام منقول عن معنى سابق كان يؤديه قبل أن يصير علمًا، ثم انتقل إلى العلمية، وترك معناه السابق، مثل: عادل، ومنصور، وحسن؛ فقد كان المعنى السابق لها -وهي مشتقات: ذاتٌ

والقائلون بأنه غير مهموز اختلفوا في أصل اشتقاقه:

١- فقال قوم منهم «الأشعري»: هو مشتقّ من «قرنت الشيء بالشيء». إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمّي به «القرآن»؛ لقرن السور والآيات والحروف فيه.

٢- وقال «الفراء»: هو مشتقّ من «القرائن»؛ لأنّ الآيات منه يصدق بعضها بعضا، ويشابه بعضها بعضا، وهي قرائن أي: أشباه ونظائر.

وعلى هذين القولين: فنونه أصليّة، بخلافه على القولين الأوّلين، فنونه زائدة.

ورأي خامس مقابل للأقوال السابقة: وهو أنه اسم عَلَم غير منقول، وضع من أوّل الأمر عَلَما على الكلام المنزّل على محمد صلّى الله عليه وسلّم وهو غير مهموز. وهذا القول مروي عن الإمام الشافعي، أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه: أنه كان يهمز «قراءة»، ولا يهمز «القرآن» ويقول: «القرآن» اسم، وليس بمهموز ولم يؤخذ من قراءة، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوارة والإنجيل.

فعلت العدل، أو وقع عليها النصر، أو اتصفت بالحسن، ولا دخل للعلمية بواحد منها. ثم صار كل واحد بعد ذلك علمًا يدلّ على مُسَمًّى مُعَين، ولا يدل على شيء من المعنى السابق؛ فكلمة: عادل، أو منصور، أو حسن، أو ما شابهها- قد انقطعت صلتها بمعناها السابق بمجرد نقلها منه إلى الاستعمال الثاني. وهو: العَلَمية، وصارت بعد العلمية اسمًا جامدًا لا يُنظَر إلى أصله المشتق. ولا يشمل عليها مع أنها كانت في الأصل اسمًا مشتقًّا. فإذا أردنا ألا تنقطع تلك الصلة المعنوية، وأن تبقى الكلمة المنقولة مشتملة على الأمْرين معًا، وهما: معناها الأصلي السابق، ودلالتها الجديدة وهي: العَلَمية، فإننا نزيد في أولها: "أل" لتكون رمزًا دالًّا على المعنى القديم تلميحًا؛ فوق دلالته على المعنى الجديد، وهو: العَلَميّة مع الجمود؛ فنقول: العادل، والمنصور، والحسن، فتدل على العلمية بذاتها وبمادتها واعتبارها جامدة، وتدلّ على المعنى القديم بـ«أل» التي تشير وتُلمح إليه. ولهذا تسمّى: "أل التي للمح الأصل". (العِلميّة)

تعريف "القرآن" عند الأصوليين والفقهاء وأهل العربية:

هو كلام الله المنزّل على نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم المعجز بلفظه المتعبّد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف من أوّل سورة "الفاتحة" إلى آخر سورة "الناس".

علوم القرآن بالمعنى الإضافي:

والآن قد وضح لنا المراد من كل طرفي «المركب الإضافي» يتبين لنا المراد من الإضافة التي بينهما. فهي تشير إلى كل المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن، من ثم جمع لفظ «علوم» ولم يفرد؛ لأنّ المراد شمول كل علم يبحث في القرآن مِن أيّ ناحية من نواحيه المتعددة. فيشمل ذلك: "علم التفسير" و"علم الرسم العثماني" و"علم القراءات" و"علم غريب القرآن" و"علم إعجاز القرآن" و"علم الناسخ والمنسوخ" و"علم المحكم والمتشابه" و"علم إعراب القرآن" و"علم مجاز القرآن" و"علم أمثال القرآن" إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة التي توسع العلماء في بحثها، وأفردوا لها المؤلفات الكثيرة.

تعريف "علوم القرآن" بالمعنى اللقبي (أي: الفنّ المدوَّن في الاصطلاح):

«علم ذو مباحث كليّة تتعلّق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه وجمعه، وكتابته، وقراءاته وتفسيره، وإعجازه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم».

موضوعه:

موضوع هذا العلم «القرآنُ الكريم» من أيّة ناحية من هذه النواحي السابقة في تعريفه، بخلاف علوم القرآن بالمعنى الإضافي؛ فإن موضوع كل علم منها

إنما هو «القرآن الكريم» من هذه الناحية فحسب، فعلم التفسير مثلا موضوعه: القرآن الكريم من حيث بيان شرحه ومعناه والمراد منه بقدر الطاقة البشرية. وعلم القراءات موضوعه: القرآن الكريم من حيث لفظه وأدائه. وعلم الرسم موضوعه: القرآن الكريم من حيث طريقة كتابته، هكذا.....

فائدة "علوم القرآن" وغرضه:

١- إنه يساعد على دراسة القرآن الكريم، وفهمه حقَّ الفهم واستنباط الأحكام والآداب منه. إذ كيف يتأتى لدارس القرآن ومفسِّره أن يتوصل إلى إصابة الحقّ والصواب، وهو لا يعلم كيف نزل؟ ولا متى نزل؟ وعلى أيّ حال كان ترتيب سوره وآياته؟ وبأيّ شيء كان إعجازه؟ وكيف ثبت؟ وما هو ناسخه ومنسوخه؟ إلى غير ذلك مما يذكر في هذا الفن وإلا كان عرضة للزلل والخطأ.

فهذا العلم بالنسبة للمفسِّر مفتاح له. ومثله مثل «علوم الحديث» بالنسبة لمن أراد أن يدرس الحديث دراسة حقة. وقد صرّح بذلك الإمام السيوطي في مقدمة "الإتقان" حيث قال: «ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين. إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث».

٢- إنّ الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوي حاد ضدّ غارات أعداء الإسلام التي شنّوها على القرآن الكريم زورا وبهتانا، واختلفوا عليه ما شاء لهم هواهم أن يختلفوا. ولا شكَّ أنّ الدفاع عن القرآن -الذي هو أصل الإسلام- من أوجب الواجبات على الأمّة الإسلاميّة.

٣- إنّ الدارس لهذا العلم يكون على حظّ كبير من العلم بالقرآن. وبما

يشتمل عليه من أنواع العلوم والمعارف. ويحظى بثقافة عالية وواسعة فيما يتعلّق بالقرآن الكريم.

تاريخ التدوين لـ"علوم القرآن":

لم تكن علوم القرآن وغيرها من العلوم مدونة في العصر الأوّل في الكتب والصحف. بل كانت مدوّنة على صفحات القلوب، وإنما كان المدون والمكتوب هو «القرآن الكريم»، فحسب، وذلك لما ورد في الصحيح من النهي عن كتابة غير القرآن.

روى مسلم في صحيحه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: ((لا تكتبوا عنّي غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدِّثوا عنّي ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))[1].

فمِن ثَمَّ تحرّج كثير من الصحابة والتابعين من كتابة وتدوين غير القرآن حتى الحديث الشريف لم يدوّنوه، واكتفوا فيه وفي علومه بالحفظ والرواية إلى أن كان عهد عليّ رضي الله عنه فأمر أبا الأسود الدؤلي بوضع علم النحو فكان هذا فاتحة خير لتدوين علوم القرآن، واللغة العربية.

وفي العهد الأموي: اتسعت دائرة التدوين والتأليف عن ذي قبل، وفي هذا العهد رأى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن يجمع الأحاديث فأمر علماء الأمصار بجمع أحاديث الرسول مخافة أن يذهب شيء منها بذَهاب العلماء، وحتى يتميّز الصحيح من السقيم، والمقبول من المردود.

وفي العصر العباسيّ: اتسعت دائرة التأليف، واتسعت حتى شملت معظم

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

علوم الدين واللغة العربية بل وغيرها من العلوم كالفلسفة وفروعها فقد ترجم كثير من كتب الفلسفة في هذا العصر. وهكذا نرى أنّ حركة التأليف والتدوين نشطت نشاطا قويا في هذا العصر، وكان لعلوم القرآن من هذا النشاط حظّ غير قليل.

تاريخ التدوين في علوم القرآن بالمعنى الإضافي أي: العام:

وكان من الطبيعي أن يكون أوّل ما يدون من علوم القرآن هو علم التفسير؛ إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبّره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام ومعرفة الحلال من الحرام. فألّف في تفسير القرآن "سفيان الثوري" المتوفى سنة ١٦١هـ، و"سفيان بن عيينة" المتوفى سنة ١٩٨هـ، و"وكيع بن الجراح" المتوفى ١٩٧هـ. و"شعبة بن الحجاج" المتوفّى سنة ١٦٠هـ، و"مقاتل بن سليمان" المتوفّى سنة ١٥٠هـ، وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين.

ثم تلاهم "محمد بن جرير الطبري" المتوفّى سنة ٣١٠هـ، فألّف تفسيره المشهور وهو من أجل التفاسير، وأعظمها؛ لأنه أوّل من تعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض. وبذلك يعتبر أوّل من حاول مزج التفسير بالمأثور بالتفسير بالرأي والاجتهاد.

وكان تفسير ابن جرير الطبري قطرة تلاها غيثٌ كثير، فألّف في التفسير بقسميه: المأثور وغير المأثور، خلقٌ لا يحصون من أجلّة العلماء ما بين مطنب ومتوسط وموجز وما بين مفسِّر للقرآن كلّه ومفسر لبعضه.

وقد شملت هذه الحركة التأليفيّة كل نوع من أنواع علوم القرآن تقريبا فألّف في أسباب النزول: "عليّ بن المديني" شيخ البخاري المتوفّى سنة ٢٣٤هـ.

وفي الناسخ والمنسوخ: "أبو عبيد القاسم بن سلام" المتوفّى سنة ٢٢٤هـ، و"أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس" سنة ٣٣٨هـ.

وألّف في غريبه ومفرادته: "أبو عبيدة معمر بن المثنى" المتوفّى سنة ٢٠٩هـ، و"أبو بكر السجستاني" المتوفّى ٢٣٠هـ، و"الراغب الأصفهاني" المتوفّى سنة ٥٠٢هـ.

وألّف في إعرابه: "محمد بن سعيد الحوفي" المتوفّى سنة ٤٣٠هـ، و"أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري" المتوفّى سنة ٦١٦هـ.

كما ألّف في إعجاز القرآن: "الرماني" المتوفّى ٢٨٤هـ، و"الخطابي" المتوفّى سنة ٣٨٨هـ، و"أبو بكر الباقلاني" المتوفّى سنة ٤٠٣هـ وغيرهم.

وفي مجاز القرآن: "ابن قتيبة" المتوفّى سنة ٢٨٦هـ، و"الشريف الرضي" المتوفّى ٤٠٦هـ، و"العز بن عبد السلام المتوفّى سنة ٦٦٠هـ.

وفي قراءاته: "علم الدين السخاوي" المتوفّى ٦٤٣هـ، و"ابن الجزري" المتوفّى ٨٣٣هـ.

وفي أقسامه: "ابن القيم الجوزية" المتوفّى سنة ٧٥١هـ.

وفي أمثاله: "أبو الحسن الماوردي" المتوفّى سنة ٤٥٠هـ.

وألّف في جدله: "نجم الدين الطوفّي" المتوفّى سنة ٧١٦هـ.

وفي فضائله: "أبو عبيد" المتوفّى ٢٢٤هـ، و"النسائي" المتوفّى سنة ٣٠٣هـ، و"ابن كثير" المتوفّى سنة ٧٧٣هـ إلى غير ذلك من المؤلَّفات الكثيرة التي تناولت كلّ نواحي القرآن العديدة.

وقد سلك هؤلاء العلماء في تأليفاتهم طريقة الاستيعاب والاستقراء لأجزاء الأنواع التى ألفوا فيها. فمن دون في مجاز القرآن يتتبع كل آية فيها مجاز، ومن يؤلّف في أمثاله يتتبع كل آية فيها مثل، ومن يؤلف في أقسامه

يتتبع كل آية فيها قسم، حتى تكوّنت من كل ذلك ثروة ضخمة في علوم القرآن وبحسبك أن تتناول فهرسا لمكتبة من المكاتب العامّة، وأنّ المؤلّفات التي تدور في فلك القرآن في العصور المتعاقبة تملأ خزانة كثيرة فسيحة.

تدوين علوم القرآن بمعنى الفن المدوّن:

وهناك طريقة أخرى في التأليف، فقد رأى بعض العلماء أن يجمعوا هذه الأنواع في كتاب مستقلّ على غرار ما صنع المحدّثون في علوم الحديث فاستخلصوا من هذه العلوم علما واحدا، يكون كالفهرس لها يجمع خصائصها ومقاصدها وإن لم يحط بكلّ مسائلها وأجزائها، فكان هذا العلم الذي سمّوه «علوم القرآن».

وقد جاء التدوين على هذه الطريقة متأخرا عن التدوين على الطريقة الأولى ثم سارا بعد ذلك جنبا إلى جنب، فكان بعض العلماء يؤلف في العلم كفن مستقل، والبعض يؤلف في نوع من أنواعه.

كان المعروف لدى المؤلفين في هذا الفن أن ظهور هذا الاصطلاح كان في القرن السادس الهجري على يد "أبي الفرج ابن الجوزي" استنتاجا مما ذكره السيوطي في مقدمة "الإتقان".

ففي القرن السادس الهجري ألّف "الإمام أبو الفرج بن الجوزي" المتوفّى سنة ٥٩٧هـ كتابا سمّاه "فنون الأفنان في علوم القرآن" وكتابا آخر سمّاه "المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن".

وفي القرن السابع ألّف "الشيخ علم الدين علي بن محمد السخاوي" المتوفّى سنة ٦٤٣هـ كتابا سمّاه "جمال القراء". وألّف "العلامة أبو شامة" المتوفّى سنة ٦٦٥هـ كتابا سمّاه "المرشد الوجيز في علوم تتعلّق بالقرآن العزيز".

ثم أهل القرن الثامن فألّف فيه "الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي" المتوفّى سنة ٧٩٤هـ كتابا سمّاه "البرهان في علوم القرآن". وهو كتاب جليل لا يفوقه في هذا العلم إلا كتاب الإتقان للسيوطي، وقد اعتمد عليه السيوطي في تأليف إتقانه كما ستعلم فيما بعد.

ثم طلع القرن التاسع فترعرع فيه هذا العلم وخطا خطوات فسيحة، فقد ألّف فيه "الإمام محمد بن سليمان الكافيجي" المتوفّى سنة ٨٧٣هـ كتابا، وذكره العلامة السيوطي في «الإتقان». وفي هذا القرن أيضا وضع "الإمام جلال الدين البلقيني" المتوفّى سنة ٨٢٤هـ كتابا سمّاه "مواقع العلوم من مواقع النجوم". ثم جاء فارس هذه الحلبة "الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي" المتوفى سنة ٩١١هـ فألّف كتابا سمّاه "التحبير في علوم التفسير" ضمنه ما ذكره شيخه البلقينيّ من الأنواع مع زيادة مثلها، وقد فرغ منه سنة ٨٧٢هـ لكن نفسه التوَّاقةَ إلى المعرفة والاستقصاء لم تقنع بهذا المجهود، فعزم على تأليف كتاب جامع يسلك فيه مسلك الإحصاء والجمع والضبط مع حسن الترتيب والتبويب، وفي هذه الآونة وقف على كتاب "البرهان" للزركشي ولم يكن اطلع عليه من قبل فقوى عزمه على إبراز ما أراد. وسَأَدَعُ من "الودع". السيوطيَّ يتحدّث عن نفسه في هذه الفترة التي خطر له فيها تأليف هذا الكتاب الجامع فيقول: «فبينا أنا أجيل في ذلك فكرا، أقدّم رِجلا وأُؤخِّر أخرى، إذ بلغني أنّ "الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي" ألّف كتابا في ذلك حافلا يسمّى "البرهان في علوم القرآن" فتطلبته حتى وقفت عليه، ثم قال: «ولما وقفتُ على هذا الكتاب ازددتُّ به سرورا، وحمدتُ الله كثيرا،

وقوي العزم على إبراز ما أضمرته، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان الكثير الفوائد والإتقان، ورتبت أنواعه ترتيبا أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصّلت ما حقّه أن يبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ما يشنف الآذان، وسمّيته بـ"الإتقان في علوم القرآن"».

التصانيف الجديدة في "علوم القرآن":

١ - «مناهل العرفان في علوم القرآن» للعلّامة الكبير محمد عبد العظيم الزرقاني. وهو كتاب حافل واسع المحتوى، عذب الأسلوب يقع في مجلدين.

٢ - «المدخل إلى دراسة القرآن الكريم» لفضيلة الدكتور العلّامة الشيخ محمد بن محمد أبي شبهة.

٣ - «علوم القرآن الكريم» للأستاذ الدكتور العلّامة نور الدين عتر.

٤ - «البيان في علوم القرآن»، لفضيلة الدكتور العلّامة الشيخ عبد الوهاب غزلان.

٥ - «مباحث في علوم القرآن»، للأستاذ الدكتور صبحي الصالح.

٦ - «من روائع القرآن»، للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا محمّد وعلى آله وصَحبِه أجمعين.

أمّا بعد: فالقرآن الكريم كتاب الله ختم اللهُ به الكُتُب، وأنزله على نبيٍّ ختم به الأنبياءَ بدين عامٍّ خالد ختم به الأديانَ.

فهو دستور الخالق لإصلاح الخَلْق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه مُنَزِّلُه كلَّ تشريع وأودعه كلَّ نهضة وناط به كلَّ سعادة، وهو حُجَّة الرسول صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم، وآيته الكبرى يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته ناطقا بنبوته دليلا على صدقه وأمانته.

وهو مَلاذ الدين الأعلى[اسم الظرف من "اللوذ".]، ويستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه.

وهو عماد لغة العرب الأسمى[اسم التفضيل من "السمو".]، تَدِيْنُ له اللغةُ في بقائها وسلامتها، وتستمدّ علومها منه على تنوّعها وكثرتها وتفوق سائر اللّغات العَالَمِيّة به في أساليبها ومادّاتها.

لذلك كلّه كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلّى‌الله‌عليه وسلّم وصحابته رضي الله تعالى عنهم أجمعين وسلف الأمّة وخلفها جميعا إلى يوم الدين.

هذا؛ وقد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك. ولقد أفرد العلماء كلَّ ناحية من هذه النواحي بالبحث

والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم، ودوّنوا الكتب، وتبادروا في هذا الميدان الواسع أشواطا بعيدة حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام. وكانت هذه الثروة ولا تزال مفخرة نتحدّى بها أمم الأرض نُفْحِم بها أهلَ المِلَل والنحل في كلّ عصر ومصر.

هكذا أصبح بين أيدينا الآن مصنَّفات متنوّعة وموسوعاتٌ قيّمةٌ فيما نسمّيه علم القراءات وعلم التجويد، وعلم النسخ العثمانيّ، وعلم التفسير، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وما شاكل ذلك من العلوم الدينيّة والعربيّة ممّا يعتبر بحقّ أروع علم عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيِّد الكُتُب، وبات هذا المظهر معجزة إلهيّة مصدِّقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

ولقد أنجبت تلك العلوم الآنفة وليدا جديدا هو مزيج منها جميعا وسليل لها جميعا، فيه مقاصدها وأغراضها وخصائصها وأسرارها «والولد سرّ أبيه» وقد أسموه «علوم القرآن» وهو موضوع دراستنا في هذا الكتاب إن شاء الله إلا أننا نهتمّ منها بما يتعلّق بعلم التفسير لأجل سهولة خوض غمار تفسير القرآن الكريم كمفتاح للمفسِّرين فمثلها من هذه الناحية كمثل علوم الحديث بالنسبة لمن أراد أن يدرس علم الحديث.

وقد صرّح السيوطي بذلك في خطبة كتابه «الإتقان[١]» الذي منه تُلخَّص هذه الزبدة إذ قال: «ولقد كنتُ في زمن الطلب أتعجب من المتقدِّمين إذ لم يدوّنوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث».

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٢/١.

فهذه فصول في علوم القرآن لخّصناها من كتاب الإمام السيوطي رحمه الله تعالى الذي سمّاه «الإتقان في علوم القرآن» مع بعض تحقيقات وزيادات لا بدّ منها لاستكمال الفائدة وسمّيناه «زبدة الإتقان في علوم القرآن» نسأل اللهَ تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله، وجعله عملا صالحا لوجهه الكريم آمين.

وكتبه: السيد محمد بن السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني

مكّة المكرمة في: ٨ ربيع الآخر ١٤٠١هـ

مقدَّمة في علوم القرآن التي هي مُصطلَح التفسير

اعلمْ أنه لا بدّ من معرفة مصطلح التفسير قبل قراءة التفسير ليكون الإنسان على بصيرة تامّة منه، فيعرف المكيّ والمدنيّ، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ويترتّب على ذلك فهم معاني الآيات. ومَن خاض التفسير قبل معرفة مُصطلحه كان في حيرة وقلّ نشاطه والتبستْ عليه المقاصدُ.

علم التفسير هو مأخوذ من قولهم: «فسّرت الشيء إذا بيّنته» وسمّي العلم المذكور تفسيرا لأنه يبيِّن القرآن ويوضّحه.

وحَدُّه: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من جهة نزوله كمكيّه أو مدنيّه ونحوه كسنده وأدائه وألفاظه ومعانيها المتعلّقة بالأحكام وغير ذلك.

وموضوعُه: كلام الله عزّ وجلّ من الحيثيّة المذكورة.

وفائدتُه: التوصّل إلى فهم معاني القرآن والعمل بما فيه بعد الفهم.

وثمرتُه: التمسّك بالعروة الوثقى والفوز بالسعادة في الدّارين.

وواضعُه: الله تعالى ونبيّه عليه الصلاة والسّلام فهو علم إلهيّ نبويّ.

واستمدادُه: من القرآن نفسه والسُّنَّةِ وأساليب العرب.

ومسائلُه: ما يستفاد منه من أحكام وعقائد وأمثال ومواعظ.

ونسبته: أنه من العلوم الدينيّة بل رئيسها لكونها مأخوذة من الكتاب ومتوقّفةً في الاعتداد بعد الثبوت عليه.

وفضله: أنه من أشرف العلوم وأجلّها؛ لأن العلوم إنما تشرف بشرف موضوعاتها، وموضوعه أجلّ وأشرف.

وأمّا **بيان الحاجة إليه** فلأنّ فهم القرآن المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبديّة وهي العروة الوثقى[١] لا يهتدى إليها إلا بتوفيق من اللطيف الخبير حتى أنّ الصحابة رضي الله عنهم على علوّ كعبهم في الفصاحة واستنارة بَوَاطِنِهم بما أشرق عليهم من مشكاة النبوة، كانوا كثيرا ما يرجعون إليه صلّى الله عليه وسلّم بالسؤال عن أشياء لم يعرجوا عليها ولم تصل أفهامهم إليها كما وقع لعدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود. ولا شكّ أنّا محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة.

حدّ القرآن: القرآن لغةً مأخوذة من «القَرْء» وهو الجمع. وعرفا «هو الكلام المنزَّل على سيّدنا محمد المعجز بسورة منه».

فقولنا: «الكلام» جنس شامل لجميع الكلام.

وقولنا: «المنزَّل على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم» فصل مخرج للكلام النازل على غيره من الأنبياء كالتوراة والإنجيل وسائر الكُتُب والصُحُف.

وقولنا: «المعجز» فصل ثانٍ مخرج للأحاديث الربانيّة كحديث الصحيحين: ((أنا عند ظنّ عبدي بي))[٢].

ثم الاقتصار في الحدّ على الإعجاز وإن نزل القرآن لغيره أيضا؛ لأنه المحتاج إليه في التمييز فهو الأهمّ. وقولنا: «بسورة منه» بيان لأقلّ ما يحصل

---

(١) والعبارة في تفسير "الألوسي" هكذا: «وأما بيان الحاجة إليه فلأنّ فهم القرآن العظيم- المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط المستقيم- أمر عسير لا يُهتدى إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير...» إلخ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠]. وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى.

به الإعجاز وهو قدر أقصر سورة كالكوثر. وإنما كان أقلّ الإعجاز بأقلّ سورة؛ لأنه لم يكن في القرآن آية مفردة بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها فتكون ثلاث آيات.

وزاد بعضهم في الحدّ فقال: «المتعبّد بتلاوته» ليخرج منسوخ التلاوة.

والسورة: هي جملة من القرآن أقلّها ثلاث آيات مسمّاة باسم خاص لها بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلّم بأن تذكر بذلك الاسم تشتهر به.

والآية: هي جملة من السورة مميّزة بالفاصلة، وهي الكلمة التي تكون آخر الآية.

المكيّ والمدنيّ

اعلم أنّ للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

أشهرها: أنّ المكيّ ما نزل قبل الهجرة. والمدنيّ ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حَجّة الوداع أم بسفر من الأسفار. هذا هو الأصحّ في تعريفهما.

الثاني: أنّ المكي ما نزل بمكّة[1] ولو بعد الهجرة. والمدني ما نزل بالمدينة. وعلى هذا تثبت الواسطة، فما نزل في الأسفار لا يُطلَق عليه مكيّ ولا مدنيّ. بل يقال له: سفري.

الثالث: أنّ المكي ما وقع خطابا لأهل مكّة. والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

قال القاضي أبو بكر في "الانتصار": إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في ذلك قول؛ لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمّة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة الناسخ والمنسوخ فقد يُعرَف ذلك بغير نصّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم. انتهى.

ولمعرفة المكي والمدني فوائد: منها: معرفة الناسخ من المنسوخ، ومنها: معرفة ترتيب القرآن في النزول.

وقد كان لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم عناية شديدة بذلك. فمنهم: سيدنا عليّ، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم.

---

(١) **قوله**: [ما نزل بمكة...إلخ] قال السيوطي: ويدخل في مكة ضواحيها، كالمنزَّل بمنًى وعرفات والحديبية، وفي المدينة ضواحيها، كالمنزَّل ببَدَر وأُحُد وسَلْع. (الإتقان)

وقد ذكر العلماء للمكي والمدني **علامات:**

منها: أنّ كل سورة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهي مكيّة. وفي «الحجّ» اختلاف.

ومنها: كُلُّ سورة فيها ﴿كَلَّا﴾ فهي مكيّة.

ومنها: أنّ كلّ سورة فيها قصة آدم وإبليس، فهي مكيّة سوى البقرة.

ومنها: أنّ كلّ سورة فيها ذكر المنافقين، فهي مدنيّة سوى العنكبوت.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: كلّ سورة ذُكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنيّة. وكلّ ما ذكر فيها القرون الماضيّة فهي مكّيّة.

فائدة: نزلت بالمدينة تسع وعشرون سورة. البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والرعد، والحجّ، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصفّ، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، والقيامة، والزلزلة، والقدر، والنصر، والمعوّذتان.

وسائر ذلك نزل بمكّة، وهو خمس وثمانون سورة؛ إذ سُوَر القرآن كلّها مائة وأربع عشرة.

الحضريّ والسفريّ

والحضريّ: ما نزل بالحضر. **والسفريّ**: ما نزل في السفر.

وأما السفريّ فله أمثلة: منها: آية التيمّم في سورة المائدة. أوّلها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٦] الآية. فإنها نزلت بمحلّ يسمّى بذات الجيش وهي وراء ذي الحليفة. وقيل: بالبيداء وهي [بعد] ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة. وعلى كلّ فإنها نزلت في القفول من غزوة المُرَيْسِيع وهم داخلون المدينة كما ثبت في "الصحيح" عن عائشة رضي الله عنها. ومنها: سورة الفتح نزلت في شأن الحديبية كما أخرجه الحاكم في كُراع الغميم وادٍ بينه وبين المدينة نحو مائة وسبعين ميلا، وبينه وبين مكّة نحو ثلاثين ميلا. ومِن عُسفان إليه ثلاثة أميال.

وأمثلة الحضري كثيرة لكونه الأصل. فلا يحتاج إلى تمثيلٍ لوضوحه.

تنبيه: وتقسيم نزول القرآن إلى مكيّ ومدنيّ وحضريّ وسفريّ باعتبار المكان. وينقسم أيضا باعتبار الزمان إلى ليليّ ونهاريّ وصيفيّ وشتائيّ.

وأمثلة النهاري كثيرة لأنه الأصل. وأمّا الليليّ فمن أمثلته آية تحويل القبلة.

ومن أمثلة الصيفي آية الكلالة، وهي قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء:١٧٦] إلى آخر سورة النساء. وسمّاها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بـ«آية الصيف» كما ثبت في "صحيح مسلم"(١) عن عمر رضي الله عنه.

ومن أمثلة الشتائي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٌ﴾ [النور:١١-٢٦]. ففي "الصحيح": عن عائشة رضي الله عنها: «أنها نزلت في يوم شاتٍ»(٢).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهنّ بعضا.

أوّل ما نزل

اختلف في أوّل ما نزل من القرآن على أقوال:

أحدها: -وهو الصحيح- ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١] وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما فعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: أوّل ما بدئ به رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبّب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه (وهو التعبّد) الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحقّ وهو في غار حراء فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم وسلّم: قلتُ: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق:١-٣] وفي بعض الروايات: حتى بلغ ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥]. الحديث[١] بطوله.

القول الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١]، فقد روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألتُ جابر بن عبد الله أيّ القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ قلتُ: أوْ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؟ قال: أحدّثكم ما حدّثنا به رسول الله، قال رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم: إني جاورتُ بحراء فلمّا قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي ثم

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله.

نظرت إلى السماء فإذا هو -يعني جبريل- فأخذتني رجفة فأتيت خديجةَ فأمرتهم فدثّروني فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر:١-٢](١).

لكن العلماء أجابوا عن هذا التعارض بأجوبة: أشهرها: أنّ المراد بالأوّليّة في حديث جابر أوّلية مخصوصة وهي أولية الأمر بالإنذار أي: أوّل ما نزل للرسالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ وأوّل ما نزل للنبوة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وهذا جواب جيّد سديد.

وأجاب بعضهم بأنّ مراد جابر أنّ سورة المدثر أوّل سورة نزلت كاملة وهذا لا يعارض أنّ «ٱقۡرَأۡ» أوّلُ ما نزل مطلقا؛ لأنها لم تنزل كلُّها بل نزل منها صدرها. ويؤيد هذا أنه جاء في رواية أخرى عن جابر نفسه في الصحيحين أن رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم قال: بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء على كرسيّ بين السماء والأرض فرجعتُ فقلتُ: زمّلوني، زمّلوني، فدثّروني فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾(٢). فقوله في الحديث: «الملك الذي جاءني بحراء» يدلّ على أن هذه القصّة متأخرة عن قصّة حراء التي نزل فيها ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، قلتُ: وهذا أصحّ ما جاء في هذا الباب من ناحية الدليل.

وأجاب بعضهم بأنّ جابرا استخرج هذا باجتهاده، وليس هو من روايته فيقدّم عليه ما روتْه عائشة. وهذا من أحسن الأجوبة.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله.

القول الثالث: أنّ أوّل ما نزل "الفاتحة". وثبت ذلك بحديثٍ رواه البيهقي[١] أجاب عنه العلماء بأنه حديث مُرسَل[٢] أو يحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه ﴿ٱقۡرَأۡ﴾.

القول الرابع: أنّ أوّل ما نزل "بسم الله الرحمن الرحيم".

وأجاب عنه السيوطي بأن هذا لا يعدّ قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها.

وهناك أقوال أخرى في «أوّل ما نزل» وكلّ ذلك لا يثبت من ناحية السند وإن صحّ فيتأوّل بأن معنى «أوّل ما نزل» على حذف «مِن» أي: مِن أوّل ما نزل.

أوائل مخصوصة:

١: أوّل ما نزل بمكة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وأوّل ما نزل بالمدينة: سورة البقرة، وقيل: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطفّفين: ١].

٢: وآخر ما نزل بمكّة: سورة المؤمنون. وآخر ما نزل بالمدينة: سورة براءة.

٣: أوّل ما نزل في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

---

(١) **قوله**: [**بحديث رواه البيهقي**] وأخرجه البيهقي في الدلائل والواحديّ من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل: أنّ رسول الله قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداء فقد والله خشيتُ أن يكون هذا أمرا. فقالتْ معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث، فلمّا دخل أبو بكر ذكرتْ خديجة حديثه له، وقالت: اذهبْ مع محمد إلى ورقة فانطلقا فقصّا عليه، فقال: إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداء خلفي يا محمد، يا محمد، فأنطلق هاربا في الأفق فقال: لا تفعل إذا أتاك فأثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرْني فلمّا خلا ناداه يا محمد قل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾... الحديث. هذا مرسل رجاله ثقات. (الإتقان)

(٢) **قوله**: [**حديث مرسل**] هو الذي رفعه التابعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يذكر اسم الصحابي الذي رواه عنه كما فعل أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وهو تابعي. [العلميّة]

نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

٤: أوّل ما نزل في شأن الخمر: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ [البقرة:٢١٩].

٥: أوّل سورة أنزلت فيها سجدة «النَّجْم». رواه البخاري.

٦: أوّل ما نزل في الأطعمة بمكّة: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام:١٤٥]، وبالمدينة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ ...﴾ [البقرة:١٧٣].

آخِرُ ما نزل

اختلف العلماء في ذلك على أقوال أشهرها:

١- أنّ آخر ما نزل قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ...﴾ [النساء:١٧٦] رواه الشيخان(١).

٢- وقال ابن عباس: آخر آية نزلت آية الربا، رواه البخاري(٢) وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ...﴾ [البقرة:٢٧٨].

٣- وقال أيضا: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾ [البقرة:٢٨١].

٤- وقال سعيد بن المسيّب آخر آية نزلت آية الدين(٣). قال السيوطي: وهو مرسل صحيح الإسناد.

ويمكن الجمع بين القول الثاني وما بعده بأنها نزلت كلّها دفعة واحدة كترتيبها في المصحف فيصدق على كلّ منها أنها آخر ما نزل وحينئذ يتأول القول الأوّل بأنه آخر ما نزل في شأن الفرائض والأحكام.

لكن يشكل على هذا ما ورد أنّ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة:٣] نزلت بعرفة عام حجّة الوداع. ووجه الإشكال هو أن ظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها مع أنه ورد في آية الربا والدَّين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك، ولذلك فقد تأوّل العلماء هذه الآية بأنّ إكمال الدِّين المراد

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ...﴾. وصحيح مسلم، الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾.

(٣) **قوله**: [آية الدين] التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ...﴾ [البقرة:٢٨٢]. (العلميّة)

به في الآية إقرارهم بالبلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه حتى حجّه المسلمون لا يخالطهم المشركون. ويؤيد هذا قول ابن عباس: كان المشركون والمسلمون يحجّون جميعا، فلمّا نزلت «براءة» نُفِي المشركون عن البيت وحجّ المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، فكان ذلك من تمام النعمة ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣].

أقوال أخرى في آخر ما نزل والجواب عنها:

وقد روى السيوطي عن كثير من العلماء أقوالا أخرى في آخر ما نزل: فمنها أن آخر ما نزل سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١]. ومنها: أنه سورة المائدة. ومنها: أنه آية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة:١٢٨]. ومنها: أنه سورة الفتح. ومنها: أنه سورة براءة. قال البيهقي: يجمع بين هذه الاختلافات -إن صحّت- بأن كلّ واحد أجاب بما عنده. وقال القاضي أبو بكر في "الانتصار": هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وكلٌّ قال ما قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظنّ، ويحتمل أن كل واحد منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلّى الله عليه وسلّم في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيرُه سمع منه بعد ذلك.

معرفة سبب النزول

اعلمْ أنّ نزول القرآن على قسمين: قسم: نزل ابتداء. وقسم: نزل عقب واقعة أو سؤال.

وقد تتبّع العلماء القسم الثاني وصنّفوا فيه كُتُبا مخصوصة بيّنوا الآيات التي نزلتْ بسبب، وبيّنوا ذلك السبب واجتهدوا فيه اجتهادا بالغا. وأشهر مؤلَّف في هذا الموضوع "لباب النقول في أسباب النزول" للحافظ السيوطي.

وفي هذا العمل فوائد جليلة:

منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ومنها: أنه طريق قويّ في فهم معاني القرآن لأنّ العلم بالسَّبب يورث العلمَ بالمسبَّب.

هذا وإليك هاتين القصتين لتعرف بهما أنه لولا معرفة سبب النزول لزلّت أقدام كثير في فهم المعنى وإدراك المقصود. فقد قرأ مروان بن الحكم قولَه تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ...﴾ [آل‌عمران:١٨٨] الآية. وقال: لئن كان كلّ امرئ فرح بما أوتي وأحبّ أن يُحمَد بما لم يفعل معذَّبا لنُعذَّبنّ أجمعون. وهذا الذي فهمه هو صحيح بالنسبة لظاهر الآية، لكن بيّن له ابن عباس الحقيقة، وهي أنّ الآية نزلتْ في أهل الكتاب حين سألهم النبيّ صلّى‌الله عليه‌وسلّم عن شيء فكتموه إيّاه وأخبروه بغيره، وأروه أنّهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه. (أخرجه الشيخان)[١].

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ...﴾. وصحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

و حُكِي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معديكرب رضي الله عنهما: أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجّان بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة:٩٣]. ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك وهو أنّ ناسا قالوا لمّا حرّمت الخمر: كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت. أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما(١).

ولولا معرفة سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة:١١٥] لقال قائل: أنّ ظاهرها يفيد أنّ المصلّي لا يجب عليه استقبال القبلة لا سفرا ولا حضرا. وهو خلاف الإجماع لكن بمعرفة سبب نزولها يعلم أنها في نافلة السفر أو فيمن صلّى اجتهادا ثم بان له الخطأ على اختلاف الروايات في ذلك.

هل للسبب تأثير في تحديد الحكم:

ممّا يتصل بهذا المبحث مسألة مهمّة جرى الخلاف فيها بين علماء الأصول. وهي أننا إذا عرفنا سبب نزول آية متضمّنة لحكم شرعي فهل يكون ذلك الحكم خاصّا بذلك السبب الذي نزلت فيه الآية أم يكون عامّا فيشمل غيره ويعبرون عنها بقولهم: «هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟» والجواب أنّ المشهور الأصحّ هو أنّ العبرة بعموم اللفظ فالحكم يتناول غير السبب الذي نزل من أجله. وقد نزلت آيات في أسباب واتّفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان

(١) مسند أحمد: من مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن عباس. والسنن الكبرى للنسائي: كتاب الحدّ في الخمر. وسنن الترمذي: تفسير القرآن، سورة المائدة.

في شأن هلال بن أمية، وحدّ القذف في رُمَاة عائشة ثم تعدى إلى غيرهم. ومن لا يعتبر عموم اللفظ، يقول خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر.

قال الحافظ السيوطي: ومِن الأدلّة على اعتبار عموم اللفظ، احتجاج الصحابة رضي الله عنهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصّة شائعا ذائعا بينهم.

وهذا بالنسبة للآية التي يفيد لفظها العموم أما الآية التي نزلت في معين ولا عموم للفظها فإنها تقصر عليه قطعا كقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل:١٧-١٨] فإنها نزلت في أبي بكر الصدّيق بالإجماع.

ووهم مَن ظنّ أن الآية عامّة في كلّ مَن عمل عمله إجراء له على القاعدة. وهذا غلط فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم؛ إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة في جمع، زاد قوم: أو مفرد، بشرط ألا يكون هناك عهد، واللام في «الأتقى» ليست موصولة؛ لأن «ال» لا توصل بأفعل التفضيل إجماعا، و«الأتقى» ليس جمعا بل هو مفرد. والعهد موجود خصوصا مع ما يفيده صيغة «أفعل» من التمييز وقطع المشاركة فبطل القول بالعموم وتعيّن القطع بالخصوص والقصر على مَن نزلتْ فيه رضي الله عنه.

فوائد تتعلّق بأسباب النزول

مصادر أسباب النزول:

لا يحلّ القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممّن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها.

قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتّق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن. والصحابة رضي الله عنهم هم المرجع الأوّل والآخر لهذا النقل. وهم رضوان الله عنهم يعرفون ذلك بقرائن تحتفّ بالقضايا.

قلتُ: ويدركون أيضا بملازمة النبي صلّى الله عليه وسلّم ومعرفة أحواله وتتبّع ما ينزل عليه من الآيات الكريمات وشهودهم ذلك بأنفسهم.

ما معنى قول الصحابي: «هذه الآية نزلت في كذا»؟ هل يجري مجرى المسند وهل يفيد سبب نزولها؟

اختلف العلماء في قول الصحابي: «نزلت هذه الآية في كذا» هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير الذي ليس بمُسنَد؟ فالبخاريّ يُدخِله في المسند، وغيرُه لا يدخله فيه وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه؛ فإنّهم كلّهم يدخلون مثل هذا في المسند.

وعن **المسألة الثانية** وهي هل يفيد سببا لنزول الآية؟

قال الزركشي في "البرهان": قد عُرِف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال: «نزلت هذه الآية في كذا»، فإنه يريد بذلك أنها تتضمّن هذا

الحكم، لا أنّ هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع.

آية واحدة وأسباب متعدِّدة:

يذكر المفسِّرون لنزول الآية أسبابا متعدّدة فإذا حصل مثل هذا في آية واحدة وصورته أن يقول أحدهم: «هذه الآية نزلت في كذا». ويقول الآخر: «نزلت في كذا»، ويذكر شيئا غير ما ذكره الأوّل من غير تصريح بسبب النزول. فهذا غالبا ما يراد به التفسير، لا ذكر سبب النزول. ولا منافاة بين قوليهما إذا كان اللفظ يتناولهما. وإن عبّر واحد بقوله: «نزلت في كذا» وصرّح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد وذاك استنباط. مثاله ما أخرجه "البخاري" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢٢٣] في إتيان النساء في أدبارهنّ(١).

وأخرج "مسلم" عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأةً من دبرها في قُبُلها جاء الولد أحول فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾(٢) [البقرة:٢٢٣]. فالمعتمد حديث جابر؛ لأنه نقل وقول ابن عمر استنباط منه.

وإن ذَكَر واحدٌ سببا وآخرُ غيرَه فإن كان إسناد أحدهما صحيحا دون الآخر، فالصحيح المعتمد. مثاله: أنه ثبت في الصحيحين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾.

(٢) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها.

قَلَىٰ﴾[1] [الضحى:٣-١].

وروى الطبراني: أنّ جروا دخل بيت النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم فمات تحت السرير، ومكث أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي حتى تنبّهوا له وأخرجوه فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[2].

قال ابن حجر في "الفتح" قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو شهيرة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يُعرَف، فالمعتمد ما في "الصحيح". ويمكن أن يكون نزول الآية عقب السببين أو الأسباب فتحمل على ذلك. إذ لا مانع من تعدّد الأسباب، ويمكن أن يتعدّد نزول الآية ويتكرّر ويكون لكلّ نزولٍ سبب. مثاله: أن النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم وقف على حمزة رضي الله‌عنه حين استشهد وقد مُثِّل به. فقال: لأمثلنّ بسبعين مكانك، فنزل جبريل -والنبي صلّى الله عليه وسلّم واقف- بخواتيم سورة النحل، وفيها ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾[3] [النحل:١٢٦] أخرجه البيهقيّ والبزار.

وجاء أنها نزلت يوم الفتح لمّا قال الأنصار يوم أحد: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنُربينّ (أي: لنزيدنّ عليهم) عليهم. أخرجه الترمذي والحاكم. فيجمع بينهما بأنها نزلت أوّلا بمكّة قبل الهجرة مع السورة؛ لأنها مكيّة ثم ثانيا بأُحُد، ثم ثالثا يوم الفتح.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة والضحى. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: مسند النساء باب الخاء، خولة بنت عاصم.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي: باب ما جرى بعد انقضاء الحرب وذهاب المشركين في أمر القتلى والجرحى.

آيات متفرقة والسبب واحد:

وهذا واقع، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتّى. مثاله: ما أخرجه الترمذي والحاكم عن أمّ سلمة أنها قالت: يا رسول الله صلّى‌الله‌عليه وسلّم لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [آل‌عمران:١٩٥] إلى آخر الآيات في سورة آل عمران. وأخرج الحاكم أيضا عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء فأنزلت: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]. وأنزلت: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ [آل‌عمران:١٩٥].

ما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة:

الأصل في هذا الباب موافقات عمر، فقد كان يتحدّث في أمر من الأمور، وإذا بالقرآن ينزل موافقا لقوله، وهي من مناقبه المشهورة. فقد جاء في الحديث: ((أنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه))[١]. رواه الترمذي.

أخرج البخاري[٢] وغيره عن أنس قال: قال عمر رضي‌الله‌عنه: وافقتُ ربّي في ثلاث قلتُ: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة:١٢٥]. وقلتُ: يا رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم إنّ نساءك يدخل عليهنّ البرّ والفاجر فلو أمرتَهنّ أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب[٣]. واجتمع على رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم نساؤه في الغيرة، فقلتُ لهنّ:

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله، باب في مناقب عمر رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لا يرى الإعادة على سها.

(٣) **قوله**: [**آية الحجاب**] وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ...﴾ [الأحزاب:٥٩]

عسى ربّه إن طلّقكنّ أن يبدله أزواجا خيرا منكنّ، فنزلت كذلك[1]. وقد جمع الإمام السيوطي رسالة خاصّة في موافقات عمر سمّاها "قطف الثمر في مواقفات عمر".

ما تكرّر نزوله:

ذكر جماعة من العلماء المتقدّمين والمتأخّرين أنّ مِن القرآن ما تكرّر نزوله ولذلك حِكَمٌ: منها: التذكير والموعظة. ومنها: وجود المقتضي. ومنها: إظهار فضل زائد للمتنزَّل. وقد ذكر بعضهم أن من ذلك آية الروح، والفاتحة، وسورة الإخلاص. ويجوز أن يكون تكرار النزول لفائدة اختلاف حرف القراءة فتنزل الآية مرّة على حرف ومرّة أخرى على حرف غيره. ولا يبعد أن تكون الفاتحة نزلت مرّة بحرف: «مٰلِك يوم الدين» ومرّة بحرف «مَلِك يوم الدين».

(١) **قوله:** [**كذلك**] أي: بعينه وهو قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ...﴾ [التحريم:٥]

في معرفة حفّاظه ورُوَاته

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي‌الله‌عنهما قال: سمعت النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم يقول: ((خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم ومعاذ وأبي بن كعب))[١]. أي: تعلّموا منهم. والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبدوء بهما، واثنان من الأنصار. وسالم هو ابن مَعقِل مولى أبي حذيفة، ومعاذ هو ابن جبل رضي‌الله‌عنهم. وليس معنى هذا أنّ هؤلاء فقط هم الحفّاظ بل هناك غيرهم مثلهم. وفي الصحيح في غزوة بئر معونة أنّ الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القُرّاء وكانوا سبعين رجلا.

وروى البخاري أيضا عن قتادة رضي‌الله‌عنه قال: سألتُ أنس بن مالك: مَن جمع القرآن على عهد رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم؟ فقال: أربعة كلّهم مِن الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلتُ: مَن أبو زيد؟ قال أحد عُمُومتي[٢]. وروى أيضا من طريق ثابت عن أنس قال: مات النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد[٣]. وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين: أحدهما: التصريح بصيغة الحصر في الأربعة. والآخر: ذكر أبي الدرداء بدل أبي بن كعب رضي الله عنهما. وقد استنكر جماعة من الأئمّة الحصر في الأربعة.

وقال المازري: لا يلزم من قول أنس رضي‌الله‌عنه: «لم يجمعه غيرهم» أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك؛ لأنّ التقدير أنّه لا يعلم أن سواهم جمعه،

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن ثابت.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد؟ وهذا لا يتمّ إلا إن كان لقي كلّ واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهذا في غاية البُعد في العادة، وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك. قال: وقد تمسّك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه فإنا لا نسلّم حمله على ظاهره فإن سلّمناه لا يلزم من كون كلّ من الجمّ الغفير لم يحفظه كلّه ألا يكون حفظ مجموعه الجمّ الغفير، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه، بل إذا حفظ الكلُّ الكلَّ ولو على التوزيع، كفى.

وقال القرطبي: قد قُتِل يوم اليمامة سبعون من القرّاء، وقُتِل في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم ببئر معونة مثل هذا العدد. قال: وإنما خصّ أنس الأربعة بالذكر لشدّة تعلّقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: الجواب عن حديث أنس من أوجه:

أحدها: أنه لا مفهوم له، فلا يلزم ألّا يكون غيرهم جمعه.

الثاني: المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.

الثالث: لم يجمع ما نُسِخ منه بعد تلاوته، وما لم ينسخ إلّا أولئك.

الرابع: أن المراد بجمعه: تلقيه مِن فِي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا بواسطة بخلاف غيرهم، فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة.

الخامس: أنهم تصدّوا لإلقائه وتعليمه، فاشتهروا به وخفي حال غيرهم عمّن عَرَف حالهم، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك.

السادس: المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب.

السابع: المراد أنّ أحدا لم يُفصِح بأنه جمعه بمعنى: أكمل حفظه في عهد رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم إلّا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك، لأنّ أحدا منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم حين نزلت آخر آية. فلعلّ هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممّن جمع جميع القرآن قبلها، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير.

الثامن: أن المراد بجمعه السمع والطاعة له، والعمل بموجبه، وقد أخرج أحمد في "الزهد" من طريق أبي الزاهريّة: أنّ رجلا أتى أبا الدرداء فقال: إنّ ابني جمع القرآن، فقال اللّٰهُمَّ غفرا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع.

قال ابن حجر: وفي غالب هذه الاحتمالات تكلّف، ولا سيما الأخير، قال: وقد ظهر لي احتمال آخر، وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القَبِيلتين مِن المهاجرين، لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: افتخر الحيّان: الأوس والخزرج، فقال الأوس: منّا أربعة: مَن اهتزّ له العرش: سعد بن معاذ، ومَن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومَن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومَن حمته الدَبْرُ[1] عاصم بن ثابت.

---

(١) **قوله:** [**حمته الدبر**] قيل: هي النحل، وقيل الزنابير، كان عاصم بن ثابت قتل عظيما من عظماء المشركين من قريش يوم بدر، فإذا قتله بنو لحيان في غزوة الرجيع أرادو أن يحتزوا رأسه، فبعث الله عليه مثل الظلّة من الدبر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء. (العلميّة)

فقال الخزرج: منّا أربعة: جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم فذكرهم. قال: والذي يظهر من كثير من الأحاديث أنّ أبا بكر رضي الله عنه يحفظ القرآن في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ففي الصحيح: أنه بنى مسجدا بفناء داره، فكان يقرأ فيه القرآن[1]، وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك. قال: وهذا ممّا لا يرتاب فيه مع شدّة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي صلّى الله عليه وسلّم وفراغ باله له وهما بمكّة، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر، حتى قالت عائشة: إنّه صلّى الله عليه وسلّم كان يأتيهم بكرة وعشيا. وقد صحّ حديث ((يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله))[2] وقد قدّمه صلّى الله عليه وسلّم في مرضه إماما للمهاجرين والأنصار، فدلّ على أنه كان أقرأهم.

وذكر أبو عبيدة في كتاب "القراءات": القُرّاء من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم فعَدّ من المهاجرين: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعدا، وابن مسعود، وحذيفة، وسالما، وأبا هريرة، وعبدَ الله بن السائب، والعبادلة، وعائشة، وحفصة، وأمّ سلمة. ومن الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذا الذي يكنى أبا حليمة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد رضي الله عنهم. وصرّح بأن بعضهم إنما أكمله بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

أما المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة فسبعة: عثمان، وعليّ، وأُبيّ، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، كذا ذكرهم الذهبي في "طبقات القرّاء"، قال: وقد قرأ على أُبيّ جماعةٌ من الصحابة، منهم:

(١) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب إمامة العبد والمولى.

أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا، وأخذ عنهم خلقٌ من التابعين.

فممّن كان بالمدينة: ابن المسيّب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاءٌ ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاري وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.

وبمكّة: عبيد بن عُمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مليكة.

وبالكوفة: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس والربيع بن خيثم وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السُّلَمي وزرّ بن حبيش وعبيد بن نُضيلة وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي.

وبالبصرة: أبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحي بن يعمر، والحسن، وابن سيرين، وقتادة.

وبالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء.

ثم تجرّد قوم، واعتنوا بضبط القراءة أتمّ عناية، حتى صاروا أئمّة يقتدى بهم ويُرحَل إليهم. فكان بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبه بن نَصَاح، ثم نافع بن أبي نعيم.

وبمكّة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن أبي محيصن.

وبالكوفة: يحي بن وثاب، وعاصم بن أبي النَّجُود، وسليمان الأعمش، ثم

حمزة، ثم الكسائي.

وبالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي.

وبالشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

واشتهر مِن هؤلاء في الآفاق الأئمّة السبعة:

١- نافع[١]: وقد أخذ عن سبعين من التابعين، منهم: أبو جعفر[٢].

٢- وابن كثير[٣]: وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابي.

٣- وأبو عمرو[٤]: وأخذ عن التابعين.

٤- وابن عامر[٥]: وأخذ عن أبي الدرداء، وأصحاب عثمان.

---

(١) **قوله**: [**نافع**] المدني، هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة ابن شعوب الليثي، أصله من إصبهان، ويكنى أبا رويم، وقيل: أبا الحسن، وقيل: أبا عبد الرحمن، أخذ القراءة عن أبي جعفر القاري وعن سبعين من التابعين. وتوفّي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة (ملخّص من كتب الأعلام).

(٢) **قوله**: [**أبو جعفر**] هو يزيد بن القعقاع القاري نسبة إلى موضع بالمدينة يسمّى "قارا". أخذ عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة عن أبي بن كعب رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. توفي أبو جعفر سنة ثلاثين ومائة وكان تابعيا جليل القدر رفيع المنزلة. وأشهر رواته عيسى بن وردان وابن جماز. (مأخوذ من كتب الأعلام)

(٣) **قوله**: [**ابن كثير**] المكيّ، هو عبد الله بن كثير الداري مولى عمرو بن علقمة الكناني، ويكنى أبا معبد، وهو من التابعين، وتوفّي بمكة سنة عشرين ومائة. (منقول عن كتب الأعلام)

(٤) **قوله**: [**أبو عمرو**] البصريّ، هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحرث، وقيل: اسمه زبان، وقيل: العريان، وقيل: يحيى، وقيل: اسمه كنيته، وقيل: غير ذلك. وتوفّي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(٥) **قوله**: [**ابن عامر**] الشاميّ، هو عبد الله بن عامر اليحصبى قاضى دمشق فى خلافة الوليد بن

٥- عاصم[١]: وأخذ عن التابعين.

٦- حمزة[٢]: وأخذ عن عاصم، والأعمش، والسبيعي، ومنصور بن المعتمر وغيره.

٧- والكسائي[٣]: وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش.

عبد الملك، ويكنى أبا نعيم وأبا عمران وهو من التابعين. وليس فى القرّاء السبعة من العرب غيرُه، وغيرُ أبي عمرو، والباقون (أي: الخمسة) هم موالٍ. وتوفّي بدمشق سنة ثماني عشرة ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(١) **قوله**: [**عاصم**] الكوفيّ، هو عاصم بن أبي النَّجُود ويقال له: ابن بهدلة، وقيل: اسم أبي النجود عبد وبهدلة اسم أمّه، وهو مولى نصر بن قعين الأسدي. ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين، لحق الحارث بن حسان وافد بنى بكر، وتوفّي بالكوفة سنة ثمان وقيل سنة سبع وعشرين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(٢) **قوله**: [**حمزة**] الكوفيّ، هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسمعيل الزيّات الفرضي التميمي مولى لهم، ويكنى أبا عمارة، وتوفّي بحلوان فى خلافة أبي جعفر المنصور سنة ستّ وخمسين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(٣) **قوله**: [**الكسائي**] الكوفيّ، هو عليّ بن حمزة النحوي مولى لبني أسد، ويكنى أبا الحسن، ولقب بـ«الكسائي» مِن أجل أنه أحرم في كساء. وتوفّي برنبوية قرية من قرى الري حين توجّه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام) وعلينا أنْ نذكر القرّاء الثلاثة الذين قراءتهم متواترة، وقيل: صحيحة فقط، وقيل: شاذّة. وَهُم: ١- أبو جعفر المدني الذي مرّت ترجمته آنفا. ٢- يعقوب البصريّ: هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل، وقرأ سلام على عاصم وعلى أبي عمرو، توفّي بالبصرة سنة ٢٠٥هـ. وممّن اشتهر بالرواية عنه روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقّب برويس وغيرهما. أما روح فهو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن بن عبدة بن مسلم الهذلي النحوي قرأ على إمام البصرة أبي محمد يعقوب بن إسحاق، وكان إماما جليلا ثقة روى عنه البخاري. وتوفي سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين. وأما رويس فهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصريّ المعروف برويس. كان من أحذق أصحاب يعقوب. وتوفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين. ٣- خلف البزار: أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي، قرأ على سليم عن حمزة،

ثم انتشرت القراءات في الأقطار، وتفرّقوا أُمما بعد أُمم، واشتهر مِن رواة كلّ طريق من طرق السبعة راويان: فعن نافع: قالون[١] ووَرَش[٢] عنه.

وعن ابن كثير: قُنبُل[٣] والبزيّ[٤] عن أصحابه عنه.

وعن أبي عمرو: الدوريّ[٥] والسوسيّ[٦] عن اليزيديّ عنه.

وعلى يعقوب بن خليفة الأعشى وعلى أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري صاحب المفضل الضبي، وعلى أبان العطار، وهم عن عاصم. وسيأتي ذكره في رواة الإمام حمزة. وممّن اشتهر بالرواية عنه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزيّ ثم البغدادي الورّاق المتوفّى سنة ستّ وثمانين ومائتين. وممّن اشتهر بالرواية عنه أيضا أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحدّاد البغدادي المتوفى سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين ومائتين. فقد تمّت هاهنا تراجم القرّاء العشرة أصحاب القراءات العشر المعروفة.

(١) **قوله**: [**قالون**] هو عيسى بن ميناء المدني الزرقي مولى الزهريين، ومعلّم العربية، ويكنى أبا موسى. و«قالون» لقب له، ويروى أن نافعا لقبه به لجودة قراءته؛ لأنّ «قالون» بلسان الروم جيّد. وتوفّي بالمدينة قريبا من سنة عشرين ومائتين. (ملخص من كتب الأعلام)

(٢) **قوله**: [**ورش**] هو عثمان بن سعيد المصريّ، ويكنى أبا سعيد، و«ورش» لقب له، ولقب به فيما يقال: لشدّة بياضه. وتوفّي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(٣) **قوله**: [**قنبل**] هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكيّ المخزومي، ويكنى أبا عمر، ويلقب قنبلا، ويقال: هم أهل بيت بمكّة يعرفون بـ«القنابلة» وتوفّي بمكّة سنة ثمانين أو إحدى وتسعين ومائتين. (ملخص من كتب الأعلام)

(٤) **قوله**: [**البزيّ**] هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المؤذّن المكّيّ مولى لبني مخزوم، ويكنى أبا الحسن، ويعرف بالبزيّ. وتوفّي بمكة بعد سنة أربعين أو خمسين ومائتين. (ملخص من كتب الأعلام)

(٥) **قوله**: [**الدوريّ**] هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزديّ الدوريّ النحويّ، والدور موضع ببغداد، ويكنى أبا عمر، وتوفّي في حدود سنة خمسين ومائتين. (ملخص عن كتب الأعلام)

(٦) **قوله**: [**السوسيّ**] هو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسمعيل الرستبيّ السوسيّ، ويكنى أبا شعيب، وكان ثقة ضابطا، وتوفي سنة إحدى وستين ومائتين. وروى هو والدوريّ القراءة عن أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي المعروف بـ«اليزيدي»، وقيل له اليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال الخلفية

وعن ابن عامر: هشام[١] وابن ذكوان[٢] عن أصحابه عنه.

وعن عاصم: أبو بكر بن عيّاش[٣] وحفص[٤] عنه.

وعن حمزة: خَلَف[٥] وخلّاد[٦] عن سليم عنه.

وعن الكسائي: الدّوريّ[٧]، وأبو الحارث[٨].

المهدي لأنه كان يؤدّب ولده. وتوفّي اليزيدي بخراسان سنة اثنتين ومائتين. (ملخص من كتب الأعلام)

(١) **قوله**: [**هشام**] هو هشام بن عمّار بن نصير بن أبان بن ميسرة السلمي القاضي الدمشقي، ويكنى أبا الوليد، وتوفّي بها سنة خمس وأربعين ومائتين روى هو وابن ذكوان القراءة عن ابن عامر بإسناد. فقد أخذ القراءة عن عراك بن خالد المزي عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر. (ملخص من كتب الأعلام)

(٢) **قوله**: [**ابن ذكوان**] هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي، ويكنى أبا محمد، وأخذ القراءة عن أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر، وتوفّي بها سنة اثنتين وأربعين ومائتين. (ملخص من كتب الأعلام)

(٣) **قوله**: [**أبو بكر بن عياش**] هو شعبة بن عيّاش بن سالم الكوفيّ الأسدي مولى لهم، وقد قيل: اسمه سالم، وقيل: كنيته، وقيل: غير ذلك. وتوفّي بالكوفة سنة أربع وتسعين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(٤) **قوله**: [**حفص**] هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزّاز الكوفي، ويكنى أبا عمرو، ويعرف بـ"حُفَيْص"، قال وكيع: كان ثقة. وقال ابن معين: هو أقرأ مِن أبي بكر، وتوفّي قريبا من سنة ثمانين أو تسعين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(٥) **قوله**: [**خَلَف**] هو خلف بن هشام البزاز، ويكنى أبا محمد، وهو من أهل فم الصلح. وتوفّي ببغداد، وهو مختفٍ زمان الجهميّة سنة تسع وعشرين ومائتين. (ملخص من كتب الأعلام)

(٦) **قوله**: [**خلّاد**] هو خلاد بن خالد ويقال ابن خليد، ويقال ابن عيسى الصيرفي الكوفي، ويكنى أبا عيسى وتوفّي بها سنة عشرين ومائتين. وروى هو وخَلَف القراءةَ عن أبي عيسى سليم بن عيسى الحنفي الكوفي عن حمزة. وتوفّي سليم بالكوفة سنة ثمان وقيل: سنة تسع وثمانين ومائة. (ملخص من كتب الأعلام)

(٧) **قوله**: [**الدوريّ**] هو حفص بن عمر الدوريّ النحويّ صاحب اليزيديّ، يكنى أبا عمر. وهو الذي ذكرنا ترجمته في الرواة عن أبي عمرو. (ملخص من كتب الأعلام)

(٨) **قوله**: [**أبو الحارث**] هو الليث بن خالد المروزي البغدادي، يكنى أبا الحارث. كان من أجلاء

جمع جهباذ بمعنى النّقّاد الخبير بغوامض الأمور.

ثم لمّا اتّسع الخرق وكاد الباطلَ يلتبس بالحقّ قام جهابذة الأمّة، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميَّزوا الصحيح والمشهور والشاذّ بأصول أصّلوها وأركانٍ فصّلوها.

فأوّل مَن صنّف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم أحمد بن جُبَير الكوفي ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون، ثمّ أبو جعفر بن جرير الطبري ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني ثم أبو بكر بن مجاهد، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها جامعا ومفردا، وموجزا ومسهبا، وأئمّة القراءات لا تحصى. وقد صنّف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي ثم حافظ القراءات أبو الخير ابن الجزري[1].

أصحاب الكسائي ثقة وضبطا. توفّي سنة أربعين ومائتين. (ملخص من كتب الأعلام)

(١) **قوله**: [**ابن الجزري**] هو محمد بن محمد بن محمد بن عليّ بن يوسف أبو الخير شمس الدين الشيرازي الشافعي، المشهور بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه. ولد ٧٥١هـ ونشأ في دمشق. ورحل إلى مصر مرارًا، ودخل بلاد الروم وسافر مع تيمور لنك إلى بلاد ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز، فولي قضاءها، ومات فيها ٨٣٣هـ. من مؤلفاته: النشر في القراءات العشر، غاية النهاية في طبقات القراء، نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات، التمهيد في علم التجويد. (ملخص من كتب الأعلام)

معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذّ والموضوع والمُدرَج

القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذّ.

وأحسن مَن تكلّم في هذا النوع إمام القرّاء في زمانه شيخ شيوخ السيوطي أبو الخير بن الجزري، قال في أوّل كتابه "النشر": «وكلّ قراءة وافقتْ العربيّةَ ولو بوجه، ووافقتْ أحدَ المصاحف العثمانيّة ولو احتمالا، وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحلّ إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمّة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمّة المقبولين[١]، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة[٢] أُطلِق عليها ضعيفة أو شاذَّة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم.

هذا هو الصحيح عند أئمّة التحقيق من السلف والخلف». ثم قال ابن الجزري: فقولنا في الضابط: «ولو بوجه» نريد به وجها من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحا، مُجمعًا عليه أم مختَلفا فيه اختلافا لا يضرّ مثله إذا

(١) **قوله:** [عن غيرهم من الأئمة المقبولين] لعلّه أراد بهم الأئمّة الذين لم يُذكَروا في الأئمة العشرة، وهم الأربعة: ١- الحسن البصريّ: هو السيّد الإمام الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصريّ الغني بشهرته عن تعريفه. المتوفى سنة عشر ومائة. ٢- ابن محيصن: هو محمد بن عبد الرحمن السهميّ المكيّ مقرئ أهل مكّة مع ابن كثير. المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائة. ٣- يحيى اليزيديّ: هو يحيى بن المبارك بن المغيرة الإمام أبو محمد العدويّ البصريّ المعروف باليزيدي. المتوفى سنة اثنتين ومائتين. ٤- الشنبوذي: هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف أبو الفرج الشنبوذيّ الشطويّ البغدادي. المتوفّى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. (ملخص عن كتب الأعلام)

(٢) **قوله:** [الأركان الثلاثة] وهي التي ذكرها بقوله: «وكلّ قراءة وافقتْ العربيّةَ ولو بوجه، ووافقتْ أحدَ المصاحف العثمانيّة، وصحّ سندها. (العلميّة)

كانت القراءة ممّا شاع وذاع، وتلقّاه الأئمّة بالإسناد الصحيح؛ إذ هو الأصل الأعظم، والركن الأقوم.

وكم مِن قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم كإسكان: «بَارِئْكُمْ» [البقرة:٥٤] و«يَأْمُرْكُمْ» [البقرة:٦٧] وخفض «وَالْأَرْحَامِ» [النساء:١].

ثم قال ابن الجزري: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ» في "البقرة" رقم الآية:١١٦. بغير واو، و«بِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ» [آل عمران:١٨٤] بإثبات الباء فيهما، فإنّ ذلك ثابت في المصحف الشاميّ، وكقراءة ابن كثير: «تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» في آخر "براءة" رقم الآية:١٠٠. بزيادة «مِن» فإنها ثابت في المصحف المكيّ، ونحو ذلك، فإن لم تكن في شيء من المصاحف العثمانيّة فشاذّ؛ لمخالفتها الرسم المُجمَع عليه.

قال: وقولنا: «وصحّ سندها» نعني به أن يروي تلك القراءة العدلُ الضابطُ عن مثله، وهكذا حتى ينتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمّة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو ممّا شذّ بها بعضُهم.

وقد أتقن الإمام ابن الجزري هذا الفصل جدّا، وقد تحرّر منه أنّ القراءات أنواع:

الأول: المتواتر: وهو ما نقله جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور: وهو ما صحّ سنده، ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربيّة والرسم، واشتهر عند القرّاء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، ويُقرأ به

على ما ذكره ابن الجزريّ. ومثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرُواة عنهم دون بعض، وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف(١) من كتب القراءات كالذي قبله، ومِن أشهر ما صُنِّف في ذلك "التيسير" للداني و"قصيدة الشاطبي"، وَأَوْعَبِه(٢) "النشر في القراءات العشر" و"تقريب النشر" كلاهما لابن الجزري.

الثالث: الآحاد: وهو ما صحّ سنده وخالف الرسم أو العربيّة أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يقرأ به، وقد عقد الترمذي في جامعه (أي: في سنن الترمذي، وفيه كتاب القراءات.) والحاكم في مستدركه لذلك بابا أخرجا فيه شيئا كثيرا صحيح الإسناد، من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجُحدريّ عن أبي بكرة: أنّ النبي قرأ «مُتَّكِئِيْنَ عَلَى رَفَارَفٍ(٣) خُضْرٍ وَّعَبَاقَرِيٍّ حِسَانٍ».

---

(١) **قوله:** [**في فرش الحروف**] أحكام الكلمات القرآنية المختلف فيها على قسمين: مطردة ومنفردة. **فالمطردة:** هي كلّ حكم جار في كلّ ما تحقّق فيه شرط ذلك الحكم كالمدّ والقصر والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحو ذلك، ويسمّى هذا القسم أصولا. والخلاف في الأصول فإنه خلاف مطرد، كأن يقرأ قارئ بالهمز في مثل: «يؤمنون» ويقرأ غيره بالإبدال «يومنون» بدون همز، فمن قرأ بالهمز يهمز دائما، ومن قرأ بالإبدال أبدل دائما. **والمنفردة:** هي ما يذكر في السور من كيفية قراءة كلّ كلمة قرآنية مختلف فيها بين القراء مع عزو كل قراءة إلى صاحبها، ويسمى **فرش الحروف** وسمّاه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول. والخلاف في فرش الحروف كأن يقرأ «تعلمون» في موضع يقرؤه غيره «يعلمون». وهذا لا يعني أن الخلاف مطرد حيثما وردت هذه الكلمة، بل ربما قرأ في موضع آخر بخلاف ما قرأ هنا، وقرأ غيره بخلافه. (العلميّة)

(٢) **قوله:** [**وأوعبه**] أي: مِن أجمعه، اسم تفضيل من «وَعَبَ، يَعِبُ» مجرور معطوف على قوله «أشهر» أي: ومِن أَوعَب ما صنّف في ذلك....إلخ، وفي أكثر النسخ بين أيدينا: «أوعية» بالياء، والظاهر هو الأول كما في بعض النسخ. (العلميّة)

(٣) **قوله:** [**متكئين على رفارف**] والقراءة المتواترة: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦].

وأخرج من حديث أبي هريرة: أنه صلّى الله عليه وسلّم قرأ: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ[١]».

وأخرج عن ابن عباس: أنه صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم قرأ: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِّنْ أَنْفَسِكُمْ» بفتح الفاء[٢]. وأخرج عن عائشة: أنه صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم قرأ «فَرُوْحٌ وَرَيْحَانٌ» يعني بضمّ الراء. (الواقعة:٨٩)

قرأها رويس عن يعقوب.

الرابع: الشاذّ وهو ما لم يصحّ سنده، وفيه كتب مؤلَّفة، من ذلك قراءة: «مَلَكَ يَوْمَ الدِّيْنِ» بصيغة الماضي، ونصب «يومَ» و«إِيَّاكَ يُعْبَدُ» ببنائه للمفعول.

الخامس: الموضوع كقراءات الخُزاعيّ.

وهناك نوع سادس[٣] يُشبِه مِن أنواع الحديث "المُدرَج"، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص: «وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ[٤]» أخرجها سعيد بن منصور.

وقراءة ابن عباس: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ فِيْ مَوَاسِمِ الْحَجِّ[٥]» أخرجها البخاري.

وقراءة ابن الزبير: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَسْتَعِيْنُوْنَ بِاللهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ» قال عمرو:

هذه الجملة مدرَجة. والآية: آل عمران:١٠٤.

(١) **قوله:** [من قرات أعين] والقراءة المتواترة بالإفراد: ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧].

(٢) **قوله:** [بفتح الفاء] والقراءة المتوتراة: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] بضم الفاء.

(٣) **قوله:** [نوع سادس] وضع هذا النوعَ الإمامُ السيوطيّ، كما قال عنه في "الإتقان في علوم القرآن": «وظهر لي سادس يشبهه...إلخ». [العلميّة]

(٤) **قوله:** [من أمّ] هذه الكلمات مدرَجة، ليست في القراءات المتواترة. والآية: النساء:١٢. [العلميّة]

(٥) **قوله:** [مواسم الحج] هذه الكلمات مدرَجة، ليست في القراءات المتواترة. والآية: البقرة:١٩٨. [العلميّة]

فما أدري أكانت قراءته أم فسّر؟ أخرجه سعيد بن منصور وأخرجه ابن الأنباريّ، وجزم بأنه تفسير.

وأخرج عن الحسن أنّه كان يقرأ: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا الْوُرُوْدُ الدُّخُوْلُ» [مريم:٧١] قال ابن الأنباري: قوله: «الورود الدخول» تفسير من الحسن لمعنى الورود. وغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن.

تنبيهات

الأوّل: أي: التنبيه الأوّل. ومِن المشكل ما نقل: أنّ ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوّذتين من القرآن، وهو في غاية الصعوبة؛ لأنّا إن قلنا: إنّ النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة يكون ذلك من القرآن، فإنكاره يوجب الكفر. وإن قلنا: لم يكن حاصلا في ذلك الزمان فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل. قال: والأغلب على الظنّ أنّ نقل هذا عن ابن مسعود نقل باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العُقْدَة. قال القاضي أبو بكر لم يصحّ عنه أنها ليست من القرآن ولا حُفِظ عنه، إنما حكّها وأسقطها من مصحفه إنكارا لكتابتها، لا جحدا لكونها قرآنا؛ لأنه كانت السنّة عنده ألّا يكتب في المصحف إلّا ما أمر النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بإثباته فيه، ولم يجده صلى الله عليه وسلم كَتَب ذلك ولا سمعه أَمَر به. والقائل: الإمام فخر الدين الرازي.

وقال النووي: وما نُقِل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح.

قال ابن حجر -بعد أن صحّح روايات إنكار ابن مسعود-: فقول من قال: "إنه كذب عليه" مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يُقْبل، بل الروايات صحيحة والتأويل محتمل.

وقال ابن قتيبة في "مشكل القرآن": ظنّ ابن مسعود أنّ المعوَّذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم يعوّذ بهما الحسن والحسين رضي‌الله عنهما فأقام على ظنّه، ولا نقول: إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار.

التنبيه الثاني: المراد من قول النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم: ((إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف))[1] والحرف بمعنى الوجه، أنّ القرآن أنزل على هذه التوسعة بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف في أداء اللفظ الواحد سبعة أوجه.

التنبيه الثالث: وقال مكي: مَن ظنّ أن قراءة هؤلاء القرّاء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطا عظيما. قال: ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمّة وغيرهم ووافق خطّ المصحف ألّا يكون قرآنا وهذا غلط عظيم. والسبب في الاقتصار على السبعة مع أنّ في أئمّة القرّاء مَن هو أجلّ منهم قدرا، أو مثلهم أكثر من عددهم أنّ الرواة عن الأئمّة كانوا كثيرا جدّا، فلمّا تقاصرت الهمم، اقتصروا ممّا يوافق خطّ المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى مَن اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة به والاتّفاق على الأخذ عنه، فأفردوا من كلّ مصر إماما واحدا، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به، كقراءة يعقوب وأبي جعفر وشيبة وغيرهم.

(خبر لـ «والسبب في الاقتصار».)

وأصحّ القراءات سندا نافع وعاصم، وأفصحها أبو عمرو والكسائي. واعلم أنّ الخارج عن السبع المشهورة على قسمين: منه: ما يخالف رسم المصحف

(١) صحيح البخاري: فضائل القرآن، أنزل القرآن على سبعة أحرف.

فهذا لا شكّ فيه أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها. ومنه: ما لا يخالف رسم المصحف، ولم تشتهر القراءة به، وإنما ورد من طريق غريب لا يعوَّل عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضا. ومنه: ما اشتهر عند أئمّة هذا الشأن القراءة به قديما وحديثا، فهذا لا وجه للمنع منه، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره.

التنبيه الرابع: باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في ﴿لَمَسْتُم﴾ و﴿لَمَسْتُمْ﴾ وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في ﴿يَطْهُرْنَ[1]﴾.
البقرة:٢٢٢

كيفيّة تحمُّله:

ولتحمّله وتلقيه وجهان[2]: القراءة على الشيخ أو السماع من لفظه: فأمّا

(١) **قوله:** [**على الاختلاف في «يطهرن»**] قرأ عاصم برواية أبي بكر، وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء يعني: حتى يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء، ومعناه: حتى يطهرن من الحيض وينقطع دمهنّ. (معالم التنزيل للبغوي)

(٢) **قوله:** [**وجهان**] من أوجه التحمّل عند أهل الحديث، وهي: **المناولة:** أن يدفع الشيخُ إلى الطالب أصل سماعه أو فرعاً مقابلا به، ويقول: "هذا سماعي، أو: روايتي عن فلان، فاروه عني، أو: أجزت لك رواته عني" ثم يملكه إياه. **والإجازة:** أن يجيز لمعين في معين، مثل: أن يقول الشيخ لبعض تلامذته: أجزتك أن تروي عني كذا وكذا مما لم يسمعه منه. **والمكاتبة:** أن يكتب الشيخ إلى الطالب بشيء من حديثه بخطّه أو بأمره. **والوصية:** وهو أن يوصي بكتبه إلى فلان من الناس. **والإعلام:** أن يُعلِم الشيخ بعضَ طلابه أنّ هذه سماعاته عن فلان، مقتصرا على ذلك من غير أن يقول: "اروه عني: أو أذنت لك في روايته" أو نحو ذلك. **والوجادة:** وهو أن يجد شيئا من الرواية مكتوبا بخطّ يعرف كاتبه، ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطّه، لا له منه إجازة لا نحوها. فله أن يقول: "وجدت بخطّ فلان، أو: قرأت بخط فلان، أو: في كتاب فلان بخطّه: أخبرنا فلان

القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفا وخلفا، وأمّا السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا؛ لأنّ الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي صلّى الله عليه وسلّم لكن لم يأخذ به أحد من القرّاء، والمنع فيه ظاهر؛ لأن المقصود هنا كيفيّة الأداء، وليس كل مَن سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته بخلاف الحديث. فإنّ المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، وأمّا الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي صلّى الله عليه وسلّم لأنه نزل بلغتهم.

وممّا يدلّ للقراءة على الشيخ عرض النبي صلّى الله عليه وسلّم القرآن على جبريل في رمضان كل عام. ويحكى أنّ الشيخ شمس الدين ابن الجزري لمّا قدم القاهرة وازدحمت عليه الخَلْق، لم يتسع وقته لقراءة الجميع فكان يقرأ عليهم الآية، ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة فلم يكتف بقراءته.

وتجوز القراءة على الشيخ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم. وقد كان الشيخ علم الدين السخاويّ يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة، ويردّ على كلّ منهم وكذا لو كان الشيخ مشتغلا بشغل آخر كنسخ أو مطالعة.

وأمّا القراءة من الحفظ فالظاهر أنّها ليست بشرط بل يكفي ولو من المصحف.

بن فلان" ويذكر شيخه، ويسوق سائر الإسناد والمتن. (العلميّة)

كيفيّات القراءة

للقراءة ثلاث كيفيات: **إحداها: التحقيق** وهو إعطاء كلّ حرف حقّه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتُّؤَدَةِ[١] وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس[٢]، ولا إسكان محرَّك ولا إدغامه وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ.

ويُسْتَحَبّ الأخذ به على المتعلّمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتحريك السواكن، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنّات، كما قال حمزة لبعض مَن سمعه يبالغ في ذلك: أمَا علمتَ أنّ ما فوق البياض بَرَص، وما فوق الجعودة قَطَط، وما فوق القراءة ليس بقراءة.

الثانية: الحَدْر بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين، وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير، وتخفيف الهمزة، ونحو ذلك ممّا صحّت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ.

وتمكين (وفي الإتقان: تمكّن.) الحروف بدون بَتْر حروف المدّ واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة والتفريط إلى غاية لا تصحّ بها القراءة.

---

(١) **قوله:** [**والتُؤَدَةِ**] بضمّ التاء وفتح الهمزة والدال على زنة فُعَلَة وفيه لغات تُؤْدَة، وتُوْدَة والمعنى: التأنّي والرَّزانَة والتمهُّل، أصله وُؤَدَةٌ فأبدلت الواو المضمومة تاءً استثقالا لها كما في تقاة وتُجاه وتُراث أصلها وُقَاة وَوُجَاه وَوُرَاث. (تاج العروس بزيادة)

(٢) **قوله:** [**ولا اختلاس**] انتقاض الحركة والميل بها إلى السكون. (العلميّة)

الثالثة: التدوير وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر وهو الذي ورد عن أكثر الأئمّة ممن مدّ المنفصل، ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهب سائر القرّاء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء.

ومن المهمّات تجويد القرآن، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف ومنهم الدانيّ وغيره، أخرج عن ابن مسعود: أنّه قال: جوِّدوا القرآن.

التجويد:

قال القرّاء: التجويد حِلْية القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها وردُّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسُّف ولا إفراط ولا تكلُّف، وإلى ذلك أشار صلّى الله عليه وسلّم بقوله: ((مَن أحبّ أن يقرأ القرآن غضّا كما أُنزِل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد))[1] يعني ابن مسعود. وكان رضي الله عنه قد أُعطِي حظّا عظيما في تجويد القرآن.

ولا شكّ أنّ الأمّة كما هم متعبَّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، هم متعبَّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصِّفة المتلقّاة مِن أئمّة القرّاء المتصلة بالحضرة النبويّة. وقد عدّ العلماءُ القراءةَ بغير تجويد لحنا.

فصل: في كيفيّة الأخذ بإفراد القراءات وجمعها

الذي كان عليه السلف أخذ كل ختمة برواية، لا يجمعون رواية إلى غيرها إلى أثناء المائة الخامسة، فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة، واستقرّ عليه العمل ولم يكونوا يسمحون به إلا لمَن أفرد القراءات، وأتقن طرقها، وقرأ لكل قارئ بختمة على حدة، بل إذا كانت للشيخ روايات قرؤوا لكل راوٍ بختمة،

(١) سنن ابن ماجه: مقدّمة، فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ثم يجمعون له، وهكذا.

وتساهل قوم فسمحوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمة سوى نافع وحمزة؛ فإنّهم كانوا يأخذون بختمة لقالون، ثم ختمة لورش، ثم ختمة لخلف، ثم ختمة لخلاد، ولا يسمح أحد بالجمع إلّا بعد ذلك. نعم إذا رأوا شخصا أفرد وجمع على شيخ معتبر، وأُجِيز وتأهّل وأراد أن يجمع القراءات في ختمة لا يكلّفونه الإفراد لعلمهم بوصوله إلى حدّ المعرفة والإتقان. ثم لهم في الجمع مذهبان:

أي: اختلاف

أحدهما: الجمع بالحرف بأن يشرع في القراءة فإذا مرّ بكلمة فيها خُلْفٌ أعادها بمفردها حتى يستوفي ما فيها، ثم يقف عليها إن صلحت للوقف، وإلّا وصلها بآخر وجه، حتى ينتهي إلى الوقف. وإن كان الخلف يتعلّق بكلمتين كالمدّ المنفصل وقف على الثانية، واستوعب الخلاف، وانتقل إلى ما بعدها. وهذا مذهب المصريّين.

الثاني: الجمع بالوقف، بأن يشرع بقراءة مَن قدّمه حتى ينتهي إلى وقف، ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إلى ذلك الوقف ثم يعود، وهكذا حتى يفرغ وهذا مذهب الشاميّين، وهو أشدّ استحضارا، وأطول زمنا، وأجود مكانا.

وذكر أبو الحسن القَيجَاطِيّ في قصيدته وشرحها: لجامع القراءات شروطا سبعة، حاصلها خمسة:

أحدها: حسن الوقف.

ثانيها: حسن الابتداء.

ثالثها: حسن الأداء.

رابعها: عدم التركيب فإذا قرأ القارئ لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتمّ ما فيها.

الخامس: رعاية الترتيب في القراءة والابتداء بما بدأ به المؤلّفون في كتبهم فيبدأ بنافع قبل ابن كثير وبقالون قبل ورش.

قال ابن الجزري: والصواب أنّ هذا ليس بشرط بل مستَحَبّ.

وأما قدر ما يقرأ حال الأخذ: فقد كان الصدر الأوّل لا يزيدون على عشر آيات لكائن من كان، وأمّا من بعدهم فرأوه بحسب قوّة الآخذ.

فائدة: أُولى ادّعى ابنُ خير الإشبيلي الإجماعَ على أنه ليس لأحد أن ينقل حديثا عن النبيّ صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم ما لم يكن له به رواية، ولو بالإجازة، فهل يكون حكم القرآن كذلك، فليس لأحد أن ينقل آية أو يقرأها ما لم يقرأها على شيخ، قال السيوطي: لم أر فيه نقلا، ولذلك وجه من حيث إن الاحتياط في أداء ألفاظ القرآن أشدّ منه في ألفاظ الحديث، ولعدم اشتراطه فيه وجه من حيث إنّ اشتراطه ذلك في الحديث إنما هو لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه، أو يتقوّل على النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم ما لم يقله، والقرآن محفوظ متلقّى متداول ميسّر، وهذا هو الظاهر.

فائدة ثانية:

الإجازة من الشيخ غير شرط جواز التَّصدي للإقراء والإفادة، فمَن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك، وإن لم يُجِزْه أحدٌ، وعلى ذلك السلف الأوّلون والصدر الصالح، وكذلك في كل علم وفي الإقراء والإفتاء خلافا لما يتوهّمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطا، وإنما اصطلح الناس على الإجازة؛ لأنّ أهليّة

الشخص لا يعلمها غالبا من يريد الأخذ عنه مِن المبتدئين ونحوهم لقصور مقامهم عن ذلك، والبحث عن الأهليّة قبل الأخذ شرط، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالأهليّة.

استحباب الإكثار من قراءة القرآن:

يُستَحَبّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته. قال تعالى مُثنِيا على مَن كان ذلك دأبه: ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [آل‌عمران:١١٣] وفي الصحيحين[١] من حديث ابن عمر رضي‌الله‌عنهما: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار)). وروى "الترمذي" من حديث ابن مسعود رضي‌الله‌عنه: ((من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها))[٢].

وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم: ((يقول الربّ سبحانه وتعالى: مَن شغله القرآنُ وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطِي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه))[٣].

وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة رضي‌الله‌عنه: ((اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه))[٤].

---

(١) **قوله:** [**في الصحيحين**] صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلّمه وفضل من تعلّم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلّمها.

(٢) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر.

(٣) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(٤) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

وأخرج البيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها: ((البيت الذي يُقرَأ فيه القرآن يَتَرَاءى لأهل السماء كما تَتراءى النجوم لأهل الأرض))[١].

وأخرج من حديث أنس رضي الله عنه: ((نوِّرُوا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن))[٢].

وأخرج من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: ((أفضل عبادة أمّتي قراءة القرآن))[٣]. وأخرج من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: ((كلّ مُؤْدِب يحبّ[٤] أن تؤتى مَأْدُبَتُه ومأدبة الله القرآن فلا تهجروه))[٥].

عادات السلف في قدر القراءة:

وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات فقد جاء أن بعضهم كان يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرّات وبعضهم مرّتين وبعضهم مرّة، وقيل غير ذلك.

وقد ذمّت عائشة ذلك، فأخرج ابن أبي داود عن مسلم بن مخراق قال: قلتُ لعائشة رضي الله عنها: ((إن رجالا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرّتين أو ثلاثا، فقالت: قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع رسول الله ليلة التمام[٦] فيقرأ

---

(١) شعب الإيمان: التاسع عشر من شعب الإيمان، باب في تعظيم القران، فصل في إدمان تلاوة القرآن.

(٢) شعب الإيمان: التاسع عشر من شعب الإيمان، باب في تعظيم القران، فصل في إدمان تلاوة القرآن.

(٣) شعب الإيمان: التاسع عشر من شعب الإيمان، باب في تعظيم القران، فصل في إدمان تلاوة القرآن.

(٤) **قوله:** [**كل مؤدب يحب...إلخ**] المَأْدَبَة بفتح الدال مصدر بمنزلة الأدب وهو الدعاء إلى الطعام كالمعتبة بمعنى العتب، وأما المأُدبة بضم الدال فاسم للصنيع نفسه كالوليمة فالمعنى: أنّ كل مولم يحبّ أن يأتيه الناس في وليمته إذا دعاهم، وضيافة الله لخلقه القرآنُ فلا تتركوه بل داوموا على قراءته. (فيض القدير للمناوي، ٥/٣٨)

(٥) شعب الإيمان، التاسع عشر من شعب الإيمان، باب في تعظيم القران، فصل في إدمان تلاوة القرآن.

(٦) **قوله:** [**ليلة التّمام**] هي ليلة أربعة عشر من الشهر لأنّ القمر يتمُّ فيها نورُه. وتفْتح تاؤها وتُكسر.

بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمرّ بآية فيها استبشار إلّا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف إلّا دعا واستعاذ))[١].

ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين، ويليه من كان يختم في كلّ ثلاث وهو حسن.

وكره جماعات الختم في أقلّ من ذلك، لما روى أبو داود والترمذي وصحّحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: ((لا يفقه من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث))[٢].

وأخرج ابن داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا، قال: ((لا تقرؤوا القرآن في أقلّ من ثلاث))[٣].

وأخرج أحمد وأبو عبيد عن سعيد بن المنذر[٤] -وليس له غيره- قال: ((قلتُ: يا رسول الله أَقرأ القرآن في ثلاث قال نعم إن استطعت))[٥].

ويليه مَن خَتَمَ في أربع، ثمّ في خمس، ثمّ في ستّ، ثم في سبع، وهذا أوسط الأمور وأحسنها، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم.

وقيل: ليلة التِّمام -بالكسر- أطْول ليلة في السَّنَة. (النهاية في غريب الحديث والأثر، باب التاء مع الميم)

(١) مسند أحمد بن حنبل: باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) سنن أبي داود: كتاب شهر رمضان، باب تحزيب القرآن. وسنن الترمذي: كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: جماع أبواب القراءة، باب مقدار ما يستحب له أن يختم فيه القرآن من الأيام.

(٤) **قوله:** [**سعيد بن المنذر**] هكذا وجدناه في نسخ "زبدة الإتقان" التي بين أيدينا حتى في "الإتقان في علوم القرآن" لكن الصحيح «سعد بن المنذر» كما في كتب الحديث. (العلميّة)

(٥) المعجم الكبير للطبراني: باب السين، سعد بن المنذر الأنصاري.

أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال: قال لي رسول الله: اقْرأ القرآنَ في شهر، قلتُ: إني أجد قوّة، قال: اقرأْه في عشر، قلتُ: إني أجد قوّة، قال: اقرأْه في سبع ولا تزد على ذلك))[١].

وأخرج أبو عبيد وغيره من طريق واسع بن حبان عن قيس بن أبي صعصعة -وليس له غيره- ((أنه قال: يا رسول الله في كم أقرأ القرآنَ؟ قال في خمسة عشر، قلتُ: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: اقْرأْه في جمعة))[٢].

ويلي ذلك: مَن ختم في ثمان، ثمّ في عشر، ثمّ في شهر، ثمّ في شهرين.

أخرج ابن أبي داود[٣] عن مكحول، قال: كان أقوياء أصحاب رسول الله يقرؤون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك.

وقال أبو الليث في "البستان": ينبغي للقارئ أن يختم في السَّنَة مرّتين إن لم يقدر على الزيادة.

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة: أنه قال مَن قرأ القرآن في كلّ سَنَة مرّتين، فقد أدّى حقّه لأنّ النبيّ عرض على جبريل في السَّنَة التي قبض فيها مرتين.

وقال النووي في "الأذكار": المختار أنّ ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن. وصحيح مسلم: كتاب الصيام، النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب الصلاة، باب كم يقرأ في الليل.

(٣) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي، ٥٠٧/٤.

معه كمال فهم ما يقرأ، وكذلك مَن كان مشغولا بنشر العلم، أو فصل الحكومات، أو غير ذلك من مهمّات الدين والمصالح العامّة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مشتغل به، ولا فوات كماله، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ المَلَل أو الهَذرَمة في القراءة.

آداب تلاوة القرآن

يُستحَبّ الوضوء لقراءة القرآن؛ لأنه أفضل الأذكار، وقد كان يكره أن يذكر الله إلّا على طهر، كما ثبت في الحديث.

وتُسنّ القراءة في مكان نظيف، وأفضله المسجد، وكره قوم القراءة في الحمّام، والطريق.

ويُستحَبّ أن يجلس مستقبلا متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه.

ويُسنّ أن يستاك تعظيما وتطهيرا، وقد روى ابن ماجة عن عليّ موقوفا، والبزّار بسند جيد عنه مرفوعا: ((إنّ أفواهكم طرق للقرآن فطَيِّبُوها بالسواك))(١).

ويُسنّ التعوّذ قبل القراءة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل:٩٨] أي: أردتَّ قراءته.

قال النووي: وصفته المختارة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وكان جماعة من السلف يزيدون «السميع العليم».

وعن حميد بن قيس: «أعوذ بالله القادرمن الشيطان الغادر».

وعن أبي السمال: «أعوذ بالله القويّ من الشيطان الغوي».

وعن آخرين: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم».

وفيها ألفاظ أخر. قال الحلواني في جامعه: ليس للاستعاذة حدّ ينتهى إليه، من شاء زاد ومن شاء نقص.

وليحافظ على قراءة البسملة أوّل كلّ سورة غير براءة؛ لأنّ أكثر العلماء

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب السواك.

على أنها آية فإذا أخلّ بها كان تاركا لبعض الختمة عند الأكثرين، فإذا قرأ من أثناء سورة استحبت له أيضا، نص عليه الشافعي.

يُسَنّ الترتيل في قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤].

وروى أبو داود وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها: ((أنها نعتت قراءة النبي قراءة مفسَّرة حرفا حرفا))[١]، وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه: ((أنه سئل عن قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: كانت مدّا، ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» يمدّ «الله» ويمدّ «الرحمن» ويمدّ «الرحيم»))[٢].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه: ((أنّ رجلا قال له: إني أقرأ المفصّل في ركعة واحدة فقال: «هذّا[٣] كهذّ الشعر» إنّ قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع))[٤].

وأخرج الآجُري في حملة القرآن عن ابن مسعود رضي الله عنه: ((قال لا تنثروه نثر الدَّقل، ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة))[٥]. وأخرج من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعا: ((يقال لصاحب القرآن اقرأْ وارْقَ في الدرجات، ورتّلْ كما كنتَ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة.

(٣) **قوله**: [**هذّا**] هو الإسراع المفرط بحيث يخفي كثير من الحروف أو لا تخرج من مخارجها وهو المكروه أمّا الإسراع في القراءة من غير وصول إلى حد الهذّ فلا شيء فيه. (العلميّة)

(٤) صحيح البخاري: صفة الصلاة، باب الجمع بين السورتين في الركعة. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذّ.

(٥) شعب الإيمان: التاسع عشر من شعب الإيمان باب في تعظيم القرآن، فصل في إحضار القاري قلبه ما يقرأه والتفكر فيه.

تُرَتِّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنتَ تقرأها))[1].

قال في شرح المهذب: واتّفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع.

قالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل.

قالوا: واستحباب الترتيل للتدبّر؛ لأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشدّ تأثيرا في القلب.

واختُلِف: هل الأفضل الترتيل وقلّة القراءة أو السرعة مع كثرتها؟ وأحسن بعض أئمّتنا، فقال: إنّ ثواب قراءة الترتيل أجلّ قدرا وثواب الكثرة أكثر عددا؛ لأنّ بكل حرف عشر حسنات. وفي "البرهان" للزركشي: كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه وألّا يُدغَم حرف في حرف.

وقيل: هذا أقلّه وأكمله أن يقرأه على منازله، فإن قرأ تهديدا لفظ به لفظ التهديد أو تعظيما لفظ به على التعظيم.

وتُسنّ القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النساء:٨٢] وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكّر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كلّ آية ويتأمّل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك. فإن كان ممّا قصّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوّذ، أو تنزية نزّه وعظّم، أو دعاء تضرع وطلب. أخرج مسلم عن حذيفة

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة. وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن وما له من الأجر.

رضي الله عنه قال: ((صليتُ مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، ثم النساء فقرأها يقرأ مترسلا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ))[١].

ومِن التدبّر: أن يجيب نداء القرآن إذا اقتضى ذلك، وهو ما أشار إليه الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي: ((من قرأ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومَن قرأ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١] فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ فليقل: بلى، ومَن قرأ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ ۝١﴾، فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:٥٠] فليقل: آمنا بالله))[٢].

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس: ((أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] قال: سبحان ربي الأعلى))[٣].

وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر قال: ((خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: لقد قرأتُها على الجنّ فكانوا أحسن مردودا منكم، كنتُ كلّما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: ولا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد))[٤].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة.

(٣) مسند أحمد: من مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس. و سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة.

(٤) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرحمن. والمستدرك: كتاب التفسير،

وأخرج ابن مردويه والديلمي وابن أبي الدنيا في الدعاء –وغيرهم- بسند ضعيف جدّا عن جابر: ((أنّ النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم قرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ [البقرة:١٨٦] الآية، فقال اللّهم أمرتَ بالدعاء وتكفّلتَ بالإجابة، لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك، أشهد أنّك فرد أحد صمد، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفؤا أحد، وأشهد أنّ وعدك حقّ، ولقاءك حقّ، والجنّة حقّ، والنار حقّ، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّك تبعث مَن في القبور))(١).

وأخرج أبو داود وغيره عن وائل بن حجر: ((سمعت النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم قرأ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقال: آمين يمدّ بها صوته))(٢). وهو معنى إجابة القرآن.

وأخرجه الطبراني بلفظ قال: «آمين» ثلاث مرّات، وأخرجه البيهقي بلفظ قال: «رب اغفر لي آمين».

قال النووي: ومِن الآداب إذا قرأ نحو: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] أن يخفض بها صوته. كذا كان النخعيّ يفعل.

يُستَحَبّ البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمَن لا يقدر عليه والحزن والخشوع، قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [بني إسرائيل:١٠٩].

وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود رضي‌الله‌عنه على النبي صلّى‌الله‌عليه

باب تفسير سورة الرحمن.

(١) كنز العمال: كتاب الأذكار، الفصل السادس في جوامع الأدعية.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام.

وسلّم وفيه: «فإذا عيناه تذرفان»[١].

وفي "الشعب" للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعا: ((إنّ هذا القرآن نزل بحزن وكآبة فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا))[٢]. وفيه مِن مُرسَل عبد الملك بن عمير أنّ رسول الله قال: ((إنّي قارئ عليكم سورة فمن بكى فله الجنة، فإن لم تبكوا فتباكوا)).

وفي "مسند أبي يعلى" حديث: ((اقرؤوا القرآن بالحزن فإنّه نزل بالحزن))[٣].

وعند الطبراني: ((أحسن الناس قراءة مَن إذا قرأ القرآن يتحزن به))[٤].

قال في شرح المهذّب: وطريقه في تحصيل البكاء أنْ يتأمّل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود ثمّ يفكّر في تقصيره فيها، فإنْ لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك؛ فإنّه من المصائب.

يُسنّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبّان وغيره: ((زيّنوا القرآن بأصواتكم))[٥]، وفي لفظ عند الدارمي: ((حسّنوا القرآن بأصواتكم؛ فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا))[٦].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن. صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل استماع القرآن.

(٢) شعب الإيمان: التاسع عشر من شعب الإيمان، فصل في البكاء عند قراءة القرآن.

(٣) وجدناه بعينه في "معجم أبي يعلى"، وأما في "مسند أبي يعلى" فلفظه هكذا: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا». (مسند سعد بن أبي وقاص، هذا القرآن نزل بحزن).

(٤) المعجم الكبير للطبراني: باب العين، أحاديث عبد الله بن عباس.

(٥) صحيح ابن حبان: كتاب الرقائق، باب قراءة القرآن.

(٦) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن.

وأخرج البزار وغيره حديث: ((حسن الصوت زينة القرآن))[١]، وفيه أحاديث صحيحة كثيرة. فإن لم يكن حسن الصوت حسّنه ما استطاع بحيث لا يخرج إلى حد التمطيط والغناء لما جاء في الحديث: ((اقرؤوا القرآنَ بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق، فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيّة، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم))[٢]. أخرجه الطبراني والبيهقي.

قال النووي: ويستحبّ طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها، للحديث الصحيح، ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها.

يستحبّ قراءته بالتفخيم؛ لحديث الحاكم: ((نزل القرآن بالتفخيم))[٣].

قال الحليمي: ومعناه أنه يقرؤه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء.

قال: ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القرّاء وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم، فرُخِّص مع ذلك في إمالة ما يحسُنُ إمالته.

---

(١) وجدناه بهذه الألفاظ في "مسند أبي الجعد"، وأما لفظ مسند البزار فهكذا: «إِنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ تَزْيِينٌ لِلْقُرْآنِ». (مسند البزار ١/٢٦٣)".

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: باب الميم، من اسمه محمد. وشعب الإيمان: باب تعظيم القرآن، فصل في ترك التعمق في القرآن.

(٣) اللفظ في "المستدرك": «أُنْزِل القرآن بالتفخيم»، كتاب التفسير، باب قراءات النبي عليه السلام.

رفع الصوت بالقراءة:

وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراءة، وأحاديث تقتضي الإسرار وخفض الصوت. فمِن الأوّل حديث الصحيحين: ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به))[١].

ومِن الثاني حديث أبي داود والترمذي والنسائي: ((الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمُسِرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة))[٢].

قال النووي: والجمع بينهما أنّ الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء، أو تأذّى مصلّون أو نيام بجهره، والجهر أفضل في غير ذلك؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأنّ فائدته تتعدّى إلى السامعين، ولأنّه يوقظ قلب القارئ ويجمع هَمّه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط. ويدلّ لهذا الجمع حديث أبي داود بسند صحيح عن أبي سعيد: ((اعتكف رسول الله في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر، وقال: ألا إنّ كلَّكم مناجٍ لربّه، فلا يُؤذِين بعضكم بعضا، ولا يرفع بعضكم على بعضكم في القراءة))[٣].

وقال بعضهم: يستحبّ الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها لأن المسرّ قد يَمَلّ فيأنس بالجهر، والجاهر قد يَكِلّ فيستريح بالإسرار.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن. صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين قصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل. وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر. وسنن النسائي: كتاب الزكاة، باب المسر بالصدقة.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل.

القراءة في المصحف:

القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه، لأن النظر فيه عبادة مطلوبة.

قال النووي: هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضا. ولم أر فيه خلافا.

قال: ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبّره في حالة القراءة فيه ومن الحفظ، ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولا حسنا. قال السيوطي: ومِن أدلّة القراءة في المصحف ما أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أوس الثقفي مرفوعا: ((قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة))[١]. وأخرج أبو عبيد بسند ضعيف ((فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة))[٢].

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود مرفوعا: ((مَن سرَّه أن يحبّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف))[٣] وقال: إنّه منكر.

وأخرج بسند حسن عنه رضي الله عنه موقوفا: ((أديموا النظر في المصحف))[٤].

---

(١) شعب الإيمان: التاسع عشر، باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن من المصحف. والمعجم الكبير: باب ألف، أوس بن حذيفة الثقفي.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد الله: باب فضل قراءة القرآن نظرا وقراءة الذي لا يقيم القرآن.

(٣) وألفاظ الحديث في شعب الإيمان: ((مَن سرّه أن يعلم أنه يحبّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف)) باب في تعظيم القرآن.

(٤) شعب الإيمان: باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن من المصحف.

↰أي: اضطرب والتبس.

ومن آداب القراءة أنه: إذا ارتجّ على القارئ فلم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فسأل عنه غيره فينبغي أن يتأدّب بما جاء عن ابن مسعود والنخعي وبشير بن أبي مسعود، قالوا: إذا سأل أحدكم أخاه عن آية فليقرأ ما قبلها ثم يسكت ولا يقول كيف كذا وكذا فإنه يلبس عليه. انتهى.

ومن آداب القراءة: أن يقرأ على ترتيب المصحف، قال في "شرح المهذب": لأن ترتيبه لحكمة، فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع كصلاة صبح يوم الجمعة بـ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢] و﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ [الدهر:١] ونظائره، فلو فرّق السور أو عكسها جاز وترك الأفضل. قال: وأمّا قراءة السورة من آخرها إلى أوّلها فمتّفق على منعه؛ لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ويزيل حكمة الترتيب.

قلت: وفيه أثر، أخرج الطبراني بسند جيّد عن ابن مسعود: ((أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوسا، قال: ذاك منكوس القلب))[١].

وأما خلط سورة بسورة، فعدّ الحليمي تركه من الآداب لما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيّب: ((أنّ رسول الله مرّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: يا بلال مررتُ بك وأنت تقرأ مِن هذه السورة ومن هذه السورة، قال: خلطت الطيّب بالطيّب، فقال: اقرأ السورةَ على وجهها -أو قال- على نحوها))[٢] مرسل صحيح، وهو عند أبي داود موصول عن أبي هريرة

(١) المعجم الكبيرللطبراني: باب العين، عبد الله بن مسعود.

(٢) هذا الحديث في مصنف ابن أبي شيبة بتغيير يسير هكذا «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: مررت بك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: بأبي أنت يا رسول الله، إني أردت أن أخلط الطيب بالطيب، قال: اقرأ السورة على نحوها». (مصنّف ابن أبي شيبه، كتاب الصلاة، الرجل يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة). (العلميّة)

بدون آخره.

وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر، عن عمر مولى غفرة: ((أن النبي صلّى‌الله عليه‌وسلّم قال لبلال: إذا قرأتَ السورة فأنفذها))[1].

وقال حدّثنا معاذ عن ابن عون قال: سألتُ ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها، ويأخذ في غيرها، قال: ليتق أحدكم أن يأثم إثما كبيرا وهو لا يشعر.

وأخرج عن ابن مسعود رضي‌الله‌عنه قال: إذا ابتدأت في سورة، فأردتَ أن تتحوّل منها إلى غيرها فتحوّل إلى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] فإذا ابتدأتَ فيها فلا تتحوّل منها حتى تختمها.

وأخرج عن ابن أبي الهذيل قال: كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويَدَعُوا بعضَها.

قال أبو عبيد: الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة كما أنكر رسول الله على بلال وكما أنكره ابن سيرين. وأما حديث عبد الله، فوجهه عندي أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامها، ثمّ يبدو له في أخرى، فأمّا مَن ابتدأ القراءة وهو يريد التنقّل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن فإنما يفعله من لا علم له؛ لأنّ الله لو شاء لأنزله على ذلك. انتهى.

قال الحليميّ: يُسَنّ استيفاء كل حرف أثبته قارئ ليكون قد أتى على جميع

---

(١) **قوله [فأنفذها]** هكذا في أكثر الكتب ونسخ "الإتقان" و"زبدة الإتقان"، ولكن في البعض «فأنفدها» أي أتمها، والمعنى على "الإنفاذ" على ما بيّنه القاضي أبو بكر الباقلاني في "الانتصار": «اقرأها على وجهها إلى آخرها، ولا معنى لإنفاذها هاهنا إلا هذا». (العلميّة)

ما هو قرآن. وقال ابن الصلاح والنووي: إذا ابتدأ بقراءة أحد من القرّاء فينبغي ألا يزال على تلك القراءة ما دام الكلام مرتبطا، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أخرى، والأَولى دوامه على الأُولى في هذا المجلس.

ويُسنّ الاستماع لقراءة القرآن وترك اللَّغَط والحديث بحضور القراءة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]. يسنّ السجود عند قراءة آية السجدة.

قال النووي: الأوقات المختارة للقراءة أفضلها ما كان في الصلاة ثم الليل ثم نصفه الأخير. وهي[1] بين المغرب والعشاء محبوبة. وأفضل النهار بعد الصبح. ولا تكره في شيء من الأوقات لمعنى فيه. وأمّا ما رواه ابن أبي داود عن معاذ بن رفاعة عن مشائخه: أنّهم كرهوا القراءة بعد العصر -وقالوا: هو دراسة يهود- فغير مقبول، ولا أصل له. ويختار من الأيام: يوم عرفة، ثم الجمعة، ثم الاثنين والخميس. ومِن الأعشار: العشر الأخير من رمضان، والأوّل من ذي الحجّة. ومن الشهور: رمضان.

ويُختَار لابتدائه ليلة الجمعة، ولختمه ليلة الخميس، فقد روى ابن أبي داود عن عثمان بن عفّان أنه كان يفعل ذلك.

والأفضل الختم أوّل النهار أو أوّل الليل؛ لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص قال: ((إذا وافق ختم القرآن أوّل الليل صلّتْ عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختمه أوّل النهار صلّت عليه الملائكة حتى يمسي))[1].

[1] أي: القراءة.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن.

قال في الإحياء: ويكون الختم أوّل النهار في ركعتي الفجر، وأوّل الليل في ركعتي سُنّة المغرب.

يُسَنّ صوم يوم الختم، أخرجه ابن أبي داود عن جماعة من التابعين، وأن يحضر أهله وأصدقاؤه. أخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه: أنّه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا.

وأخرج ابن أبي داود عن الحكم بن عتيبة قال: أرسل إليّ مجاهد وعنده ابن أبي أمامة، وقالا: إنا أرسلنا إليك؛ لأنا أردنا أن نختم القرآن والدعاء يستجاب عند ختم القرآن.

وأخرج عن مجاهد، قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن، ويقول: عنده تنزل الرحمة.

ويُستحَبّ التكبير من الضحى إلى آخر القرآن، وهي قراءة المكّيين.

أخرج البيهقي في "الشعب" وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة سمعتُ عكرمة بن سليمان قال: قرأتُ على إسماعيل بن عبد الله المكّي فلمّا بلغتُ الضحى، قال: «كَبِّرْ حتى تختم»، فإنّي قرأتُ على عبد الله بن كثير، فأمرني بذلك وقال: قرأتُ على مجاهد فأمرني بذلك. وأخبره مجاهد أنّه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أُبيّ بن كعب فأمره بذلك[1]، كذا أخرجناه موقوفا، ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن ابن أبي بزة مرفوعا. وأخرجه من هذا الوجه -أعني المرفوع- الحاكم في مستدركه وصحّحه، وله طرقٌ كثيرة عن البزّي.

(١) شعب الإيمان: باب في تعظيم القرآن، فصل في استحباب التكبير عند الختم.

وعن موسى بن هارون قال: قال لي البزِّي: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: إن تركتَ التكبير، فقدتَ سُنَّةً من سنن نبيّك.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: وهذا يقتضي تصحيحه للحديث.

ويُسَنّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم، لحديث الترمذي وغيره: ((أحبّ الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلّما حلّ ارتحل))[١].

وأخرج "الدارمي" بسند حسن عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنهم ((أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان إذا قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] افتتح من «الحمد» (أي: سورة الفاتحة)، ثم قرأ من البقرة إلى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام))[٢].

ويكره قطع القراءة لمكالمة أحد، قال الحليمي: لأنّ كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره.

وأيّده البيهقي بما في "الصحيح": كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ لم يتكلّم حتى يفرغ منه.

ويكره أيضا الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهي. ولا يجوز قراءة القرآن بالعجميّة مطلقا سواء أحسن العربيّة أم لا، في الصلاة أم خارجها.

ولا تجوز القراءة بالشاذّ، نقل ابن عبد البر الإجماعَ على ذلك لكن ذكر موهوب الجزري جوازها في غير الصلاة قياسا على رواية الحديث بالمعنى.

---

(١) سنن الترمذي: أبواب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

(٢) وجدناها في "النشر في القراءات العشر" للجزري، ولم نجدها في غيره من الكتب.

يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها، وأخرج الآجري من حديث عمران بن الحصين مرفوعا: ((مَن قرأ القرآن فليسأل الله به؛ فإنه سيأتي قوم يقرؤون القرآن يسألون الناس به))[١].

ويكره أن يقول: «نسيتُ آية كذا» بل «أُنسِيتها»، لحديث الصحيحين في النهي عن ذلك. ونسيانه كبيرةٌ لحديث أبي داود وغيره: ((عُرضتْ عليّ ذنوبُ أمّتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن، أو آية أوتيها رجل ثمّ نسي))[٢].

(١) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له الأجر.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في كنس المسجد.

الاقتباس وما جرى مجراه

الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعضَ القرآن، لا على أنه منه بألّا يقال فيه: قال الله تعالى ونحوه. فإنّ ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا. وقد اشتهر عن المالكيّة تحريمه وتشديد النكير على فاعله.

وقد تعرّض له جماعة من المتأخرين، فسُئِل عنه الشيخ عزُّ الدين عبد السلام فأجازه واستدلّ له بما ورد عنه صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم من قوله في الصلاة وغيرها: ((وجهت وجهي)) إلى آخره وقوله: ((اللّهُمَّ فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنّي الدَّين وأغنني من الفقر))[1].

وفي شرح "بديعية ابن حجّة": الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول ومباح ومردود.

فالأوّل: ما كان في الخُطَب والمواعظ والعُهود.

والثاني: ما كان في القول والرسائل والقصص.

والثالث على ضربين: أحدهما ما نسبه الله إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان: إنّه وقع على مطالعة فيها شكاية عمّاله: «إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابهم». والآخر تضمين آية في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك، كقوله:

أوحى إلى عُـشّاقِـه طَرفُـه ... هيهات هيهات لما تُوعَدُونَ

وَرِدْفُـه يَنطـقُ مِن خَلْفِـه ... لـمثل ذا فَلْيَعمل العَامِلون

وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي منصور

(١) موطأ الإمام مالك: كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء.

عبد القاهر بن الطاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعيّة وأجلائهم أنّ من شعره قوله:

يا مَن عدا ثمّ اعتدى ثمّ اقترف ثمّ انتهى ثمّ ارعوى ثم اعترفْ
أبشرْ بقول الله في آياته إن ينتهوا يغفرْ لهم ما قد سلف

قال السيوطي: ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله، وقد قدّمنا أنّ ذلك خارج عنه.

والورع اجتناب ذلك كلّه، وأن ينزَّه عن مثله كلام الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم وإن ثبت استعمال الأئمّة الأجلاء له، كالإمام أبي القاسم الرافعي الذي قال:

الملك لله الذي عنت الوجو ه له وذلّت عنده الأرباب
متفرد بالملك والسلطان قد خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم المُلك يوم غرورهم فسيعلمون غدا من الكذاب

وروى البيهقي في "شعب الإيمان" عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، قال أنشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه:

سل الله من فضله واتقه فإنّ التُّقى خير ما تكتسب
ومن يتق الله يصنع له ويرزقه من حيث لا يحتسب

في معرفة غريبه

الغريب: هو معنى الألفاظ التي يحتاج إلى البحث عنها في اللغة، ومرجعه: النقل والكتب المصنَّفَة فيه، وينبغي الاعتناء به.

فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا: ((أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه))(١)، وأخرج مثله عمر، وابن عمر، وابن مسعود موقوفا.

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا: ((مَن قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ومَن قرأه بغير إعراب كان له بكلّ حرف عشر حسنات))(٢).

المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المُصطَلَح عليه عند النُّحاة وهو ما يقابل اللحن؛ لأنّ القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها. وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفنّ وعدم الخوض بالظنّ، فهذه الصحابة -وهم العرب العَرَبَاء، وأصحاب اللغة الفصحى، ومَن نزل القرآن عليهم وبلغتهم- توقّفوا في ألفاظٍ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا. فأخرج أبو عبيد في الفضائل عن إبراهيم التيميّ: أنّ أبا بكر الصديق سُئِل عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] فقال: أيّ سماء تُظلّني أو أيّ أرضٍ تُقلّني إنْ أنا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم(٣). أي: تحملني.

وأخرج عن أنس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ

(١) شعب الإيمان: التاسع عشر، باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب.

(٢) شعب الإيمان: التاسع عشر، باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، من كره أن يفسر القرآن، ١٣٦/٦.

هذا لهو الكلَف[١] يا عمر[٢].

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنتُ لا أدري ما فاطر[٣] السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها يقول: أنا ابتدأتها.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير: أنه سئل عن قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم:١٣] فقال: سألتُ عنها ابنَ عباس فلم يُجِب فيها شيئا.

وأخرج الفريابيّ: حدّثنا إسرائيل حدّثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: كلّ القرآن أعلمه إلا أربعا: ﴿غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٦] ﴿وَحَنَانًا﴾ و﴿أَوَّاهٌ﴾ [هود:٧٥] و﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف:٩].

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: قال ابن عباس: ما كنتُ أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩] حتى سمعتُ قول بنت ذي يزن: «تعال أفاتحك» تريد: تعال أخاصمك[٤]. وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: ما أدري ما «الغسلين»؟ ولكني أظنّه الزقُّوم.

فصل:

معرفة هذا الفن للمفسِّر ضروريّة. قال في البرهان: ويحتاج الكاشف عن

---

(١) **قوله**: [**لهو الكلف**] هكذا في "زبدة الإتقان" و"الإتقان"، ولكن وجدنا في كتب كثيرة "التكلف" مكان "الكلف". وفي "الاعتصام" للشاطبي: إنّ القول في القرآن والسنّة بغير علم "تكلّفٌ" وهو منهيّ عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]. (العلميّة)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، من كره أن يفسر القرآن، ٦/١٣٦.

(٣) **قوله**: [**ما فاطر السموات**] أي: ما معناه؟ وهو المذكور في قوله تعالى أول سورة فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١].

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، سورة الأعراف.

ذلك إلى معرفة علم اللغة: أسماء وأفعالا وحروفا، فالحروف لقلّتها تكلّم النُّحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللّغة.

قال السيوطي: وأَوْلى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه؛ فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الصحيحة. وممّا ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة -وهي من أصحّ الطُرُق عنه- في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدّقون، ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتمادون، ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾: من القذر والأذى، ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: المصدِّقين بما أنزل الله، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾: نعمة، ﴿وَفُومِهَا﴾[البقرة:٦١]: الحنطة، ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[البقرة:٧٨]: أحاديث. وساق السيوطي في الإتقان جميع ما ورد من ذلك على وجه الإتقان والاستيعاب مرتِّبا على السور.

فائدة: استُشكِل دخول الغريب في القرآن مع أن السلامة من الغرابة من شروط الفصاحة، والقرآن أفصح الكلام، فيجب أن يكون خاليا من ذلك. أجيب بأن الغرابة لها معنيان: المعنى الأول: استعمال اللفظ الوحشي غير المأنوس الاستعمال، وهذا مما يُخِلّ بالفصاحة.

والمعنى الثاني: استعمال ما لا مدخل للرأي فيه بل يرجع معناه إلى النقل مثل ﴿قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر:٥١] للأسد، وهذا النوع واقع في القرآن، وهو محتاج إلى البيان من أهل هذا الشأن.

فصل:

قال أبو بكر الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاجُ

على غريب القرآن ومشكله بالشعر.

قال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه.

ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب.

وقال أبو عبيد في فضائله: حدّثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبد الرحمن بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يُسأَل عن القرآن فينشد فيه الشعر. قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير.

قال السيوطي: قد روينا عن ابن عباس كثيرا من ذلك، وأوعب ما رويناه عنه: "مسائل نافع بن الأزرق"، وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في "كتاب الوقف"، والطبراني في معجمه "الكبير" ومن ذلك قول نافع لابن عباس رضي الله عنهما: أخبرْني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج:٣٧] قال: العزون: حِلَق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أَمَا سمعتَ عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرْني عن قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]؟.

قال: الوسيلة الحاجة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم أَمَا سمعتَ عنترة وهو يقول:

إنّ الرجال لهم إليكِ وسيلة إن يأخذوك تكحَّلي وتَخضَّبي

ما وقع فيه بغير لغة العرب

اختلف الأئمّة في وقوع المعرّب في القرآن فالأكثرون، ومنهم: الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر، وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت:٤٤]، وقد شدّد الشافعي النكير على القائل بذلك. وقال أبو عبيدة: إنما أُنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمَن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومَن زعم أنّ كذا بالنبطيّة، فقد أكبر القول.

ويقابل هذا القول ما جاء عن بعضهم بجواز وقوع ذلك، وأن هناك ألفاظا غير عربية استعملها العرب، وجرت مجرى الفصيح، فوقع بها البيان، ونزل القرآن.

وقال آخرون: كلّ هذه الألفاظ عربية صِرفَة، ولكن لغة العرب متَّسعة جدّا، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجِلّة، وقد خفي على ابن عباس معنى «فاطر» و«فاتح».

قال الشافعي في "الرسالة": «لا يحيط باللّغة إلّا نبيّ».

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: والصواب عندي: أنّ هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، ولكنّها وقعت للعرب، فعرّبتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمَن قال إنها عربية فهو صادق، ومَن قال: أعجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي، وابن الجوزي، وآخرون.

وهذه أمثلةٌ لتلك الألفاظ:

﴿أَبَارِيْقَ﴾ الواقعة:١٨. حكى الثعالبي في "فقه اللغة" أنها فارسية. وقال الجواليقي: الإبريق فارسي مُعرَّب ومعناه: طريق الماء، أو صبّ الماء على هينة.

«أبّ» عبس:٣١. قال بعضهم: هو الحشيش بلغة أهل الغرب، حكاه شيدلة.

﴿ٱبْلَعِي﴾ هود:٤٤. أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبّه في قوله تعالى: ﴿ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود:٤٤] قال: بالحبشية: «ازْدَرِدِيْهِ»(١).

﴿أَخْلَدَ﴾ الأعراف:١٧٦. قال الواسطي في "الإرشاد": أخلد إلى الأرض: ركن بالعِبريّة.

﴿الْأَرَائِكِ﴾ الكهف:٣١. حكى ابن الجوزي في "فنون الأفنان"، أنها السُّرُر بالحبشيّة.

﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ الرحمن:٥٤. أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك: أنه الديباج الغليظ بلغة العجم.

﴿أَسْفَارًا﴾ الجمعة:٥. قال الواسطي في "الإرشاد": هي الكُتُب بالسريانية.

﴿إِصْرِيْ﴾ آل عمران:٨١. قال أبو القاسم في "لغات القرآن" معناه: عهدي بالنبطية.

﴿أَكْوَابٍ﴾ الزخرف:٧١. حكى ابن الجوزي أنها الأكواز بالنبطيّة.

﴿إِنَىٰهُ﴾ الأحزاب:٥٣. نُضجُه بلسان أهل المغرب.

﴿أَوَّاهٌ﴾ هود:٧٥. أخرج أبو الشيخ ابن حبّان من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأواه: المُوقِن بلسان الحبشة.

---

(١) **قوله:** [**ازْدَرِدِيْهِ**] أصله «ازتردي» على زنة «اجتنبي» من «ازترد، يزترد، ازترادا». (علمية)

في قواعد مهمّة يحتاج المفسِّر إلى معرفتها

قاعدة في الضمائر:

مرجع الضمير: لا بدّ له من مرجع يعود إليه، ويكون **ملفوظا به** سابقا مطابقا له نحو: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [هود:٤٢] ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه:١٢١]، ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ [النور:٤٠]، **أو متضمّنا له** نحو: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٨]. **أو دالا عليه بالالتزام نحو:** ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر:١] أي: القرآن؛ لأنّ الإنزال يدلّ عليه التزاما. ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة:١٧٨] فـ«عفي» يستلزم عافيا أعيد عليه «الهاء» من «إليه». **أو متأخّرا لفظا لا رتبة** مطابقا نحوه: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ [طه:٦٧]، ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨]، ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:٣٩].

وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه، نحو: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر:١١] أي: عمر معمر آخر.

وقد يعود على لفظ شيء، والمراد به الجنس من ذلك الشيء. قال الزمخشري: كقوله: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء:١٣٥] أي: بجنسي الفقير والغني، لدلالة «غنيا أو فقيرا» على الجنسين ولو رجع إلى المتكلّم به لوحده.

قد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورَين نحو: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢] وإنما يخرج من أحدهما.

وقد يجيء الضمير متصلا بشيء وهو لغيره، نحو: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ

مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] يعني آدم، ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون:١٣] فهذه لولده، لأنّ آدم لم يُخلَق من نطفة.

وهذا هو باب الاستخدام(١)، ومنه: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ [المائدة:١٠٢] أي: أشياء أخرى مفهومة من لفظ «أشياء» السابقة.

وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له، نحو:﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦] أي: ضحى يومها، لا ضحى العشية نفسها، لأنه لا ضُحى لها.

قاعدة:

جمع العاقلات لا يعود عليه الضمير غالبا إلا بصيغة الجمع، سواء كان للقلّة أو للكثرة نحو: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة:٢٢٨] وورد الإفراد في قوله تعالى:﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥] ولم يقل: «مطهرات».

وأما غير العاقل فالغالب في جمع الكثرة الإفراد، وفي القلّة الجمع وقد اجتمعا في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة:٣٦] إلى أن قال: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]، فأعاد «منها» بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة، ثم قال: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ﴾[التوبة:٣٦] فأعاده جمعا على «أربعة حرم» وهي للقلّة.

---

(١) **قوله**: [**باب الاستخدام**] هو ذكر لفظ له معنيان يراد به أحدهما وبالضمير العائد لذلك اللفظ معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحد معنييه ثم بالآخر الآخر. (التعاريف للمناوي)

قاعدة:

إذا اجتمع في الضمائر مراعاةُ اللفظ والمعنى بُدِئ باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة:٨] ثم قال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] أفرد أوّلا باعتبار اللفظ، ثم جمع باعتبار المعنى. وكذا: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنعام:٢٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة:٤٩].

قال الشيخ علم الدين العراقي: ولم يجئ في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلّا في موضع واحد، وهو قوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾[الأنعام: ١٣٩] فأنّث «خالصا» حملا على معنى «ما» ثم راعى اللفظ فذكّر فقال: ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ انتهى.

قاعدة في التعريف والتنكير:

اعلم أنّ لكل منهما مقاما لا يليق بالآخر، **أمّا التنكير** فله أسباب:

أحدها: إرادة الوحدة، نحو: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر:٢٩].

الثاني: إرادة النوع، نحو:﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ [ص:٤٩] أي: نوع من الذكر، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧] أي: نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس، بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦] أي: نوع منها، وهو الازدياد في المستقبل، لأنّ الحرص لا يكون على الماضي ولا على الحاضر. ويحتمل الوحدة والنوعيّة معا قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور:٤٥] أي: كل نوع من أنواع الدوابّ من نوع من

أنواع الماء، وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف.

الثالث: التعظيم بمعنى أنّه أعظم من أن يعين ويعرف نحو: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾ [البقرة:٢٧٩] أيْ: بحرب أيّ حرب.

الرابع: التكثير، نحو: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء:٤١] أي: وافرا جزيلا. ويحتمل التعظيم والتكثير معا قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ [فاطر:٤] أي: رسل عظام ذوو عدد كثير.

الخامس: التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حدّ لا يمكن أن يعرف نحو: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية:٣٢] أي: ظنًّا حقيرا لا يعبأ به.

السادس: التقليل نحو:﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] أي: رضوان قليل منه أكبر من الجنات، لأنّه راس كل سعادة.

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

وأمّا **التعريف** فله أسباب، فبالإضمار؛ لأنّ المقام مقام التكلّم أو الخطاب أو الغيبة.

وبالعَلَمِيّة؛ لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختصّ به، نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩] أو لتعظيم أو إهانة فمِن التعظيم ذكر يعقوب بلقبه إسرائيل لما فيه من المدح والتعظيم بكونه صفوة الله أو سريّ الله. ومِن الإهانة: قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [اللهب:١] وفيه أيضا نكتة أخرى: وهي الكناية عن كونه جهنميّا.

وبالإشارة؛ لتمييزه أكمل تمييز بإحضاره في ذهن السامع حسّا نحو: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان:١١] وللتعريض بغباوة

السامع حتى أنّه لا يَتميّز له الشيءُ إلا بإشارة الحسّ، وهذه الآية تصلح لذلك. ولقصد تحقيره بالقرب، كقول الكفّار: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [الأنبياء:٣٦]، ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان:٤١]، ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞ﴾ [العنكبوت:٦٤]. ولقصد تعظيمه بالبعد، نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢] ذهابا إلى بُعْد درجته. أي: عُلوّ.

وبالموصوليّة؛ لكراهة ذكره بخالص اسمه إمّا سترا عليه أو إهانة له أو لغير ذلك، نحو: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف:١٧]، ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيۡتِهَا﴾ [يوسف:٢٣]. وقد يكون لإرادة العموم، نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] الآية، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِى سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ [غافر:٦٠].

وبالموصوليّة؛ لكراهة ذكره بخالص اسمه إمّا سترا عليه أو إهانة له أو لغير ذلك، نحو: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف:١٧]، ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيۡتِهَا﴾ [يوسف:٢٣]. وقد يكون لإرادة العموم، نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] الآية، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِى سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ [غافر:٦٠].

وللاختصار، نحو: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ [الأحزاب:٦٩] أي: قولهم: «إنه آدِر»؛ إذ لو عدّ أسماء القائلين لطال وليس للعموم، لأنّ بني إسرائيل كلّهم لم يقولوا في حقّه ذلك.

وفي الإتقان: «بخاصّ».

قاعدة أخرى تتعلّق بالتعريف والتنكير:

إذا ذُكِر الاسم مرّتين فله أربعة أحوال؛ لأنه إما أن يكونا معرفتين أو نكرتين أو الأوّل نَكِرة والثاني مَعرِفة أو بالعكس.

فإن كانا معرفتين فالثاني هو الأوّل غالبا دلالةً على المعهود الذي هو في الأصل في اللام أو الإضافة نحو: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ

عَلَيۡهِمۡ﴾، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [غافر:٩].

وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأوّل غالبا، وإلا لكان المناسب هو التعريف بناءً على كونه معهودا سابقا، نحو: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضُعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضُعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضُعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾ [الروم:٥٤]. فإنّ المراد بالضعف الأوّل: النطفة، وبالثاني: الطُفوليّة، وبالثالث: الشيخوخة. وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح:٥-٦] فالعسر الثاني هو الأوّل، واليسر الثاني غير الأوّل، ولهذا قال صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم في الآية: ((لن يغلب عُسرٌ يُسرَين))[1].

قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد. (اللباب)

وإن كان الأول نكرة والثاني معرفة، فالثاني هو الأوّل، حملا على العهد، نحو: ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل:١٥-١٦]، ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ﴾ [النور:٣٥]، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣]، ﴿مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ [الشورى:٤٢-٤١].

وإن كان الأوّل معرفة والثاني نكرة، فلا يطلق القول بل يتوقّف على القرائن، فتارة تقوم قرينة على التغاير، نحو: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾ [الروم:٥٥]. وتارة تقوم قرينة على الاتّحاد نحو: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر:٢٧-٢٨].

تنبيه

قال الشيخ بهاء الدين في "عروس الأفراح" وغيره: إنّ الظاهر أنّ هذه

(١) المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة «ألم نشرح».

القاعدة غير محرّرة فإنّها منتقضة بآيات كثيرة:

منها في القسم الأوّل: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠] فإنّهما معرفتان والثاني غير الأوّل[1]. ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ﴾ [البقرة:١٧٨] الآية ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ...﴾ [الإنسان:١] ثمّ قال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ [الإنسان: ٢] فإنّ الأوّل آدم والثاني ولده، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ [العنكبوت:٤٧] فإنّ الأوّل القرآن والثاني التوراة والإنجيل.

ومنها في القسم الثاني: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ [الزخرف:٨٤]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢١٧] فإنّ الثاني فيهما هو الأوّل وهما نكرتان.

ومنها في القسم الثالث: ﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود:٣]، ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ [هود:٥٢]، ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح:٤]، ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨]، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ [يونس:٣٦] فإنّ الثاني فيها غير الأوّل.

قال السيوطي: لا انتقاض بشيء من ذلك عند التأمّل؛ فإنّ «اللام» في «الإحسان» للجنس فيما يظهر، وحينئذ يكون في المعنى كالنكرة، وكذا آية النفس والحرّ بخلاف آية العسر؛ فإنّ «أل» فيها إمّا للعهد أو للاستغراق كما يفيده الحديث. وكذا آية الظنّ لا نسلّم فيها أنّ الثاني فيها غير الأوّل بل هو

(١) **قوله:** [**والثاني غير الأول**] فإنّ الأوّل العمل، والثاني الثواب. (الإتقان)

عينه قطعا؛ إذ ليس كل ظنّ مذموما، كيف وأحكام الشريعة ظنّيّة. وكذا آية الصلح، لا مانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور وهو الذي بين الزوجين واستحباب الصلح في سائر الأمور مأخوذ من السُنَّة، ومن الآية بطريق القياس، بل لا يجوز القول بعموم الآية، وأنّ كل صلح خير؛ لأنّ ما أحلَّ حراما من الصلح أو حرّم حلالا فهو ممنوع. وكذا آية القتال ليس الثاني فيها عين الأوّل بلا شك؛ لأنّ المراد بالأوّل المسؤول عنه: القتال الذي وقع في سَرِية ابن الحضرمي سنة اثنتين من الهجرة لأنّه سبب نزول الآية، والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك بعينه.

وأمّا آية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، فقد أجاب عنها الطِيبيّ: أنّها من باب التكرير لإفادة أمر زائد بدليل تكرير ذكر الربّ فيما قبله من قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزخرف:٨٢] ووجهه الإطناب في تنزيهه تعالى عن نسبة الولد إليه، وشرط القاعدة ألّا يقصد التكرير.

قاعدة في الإفراد والجمع:

مِن ذلك: **السماء والأرض**، حيث وقع في القرآن ذِكرُ الأرض فإنّها مفردة، ولم تجمع بخلاف السموات؛ لثقل جمعها وهو أرضون، ولهذا لمّا أُرِيد ذكر جميع الأرضين قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] وأمّا السماء فذكرت تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الإفراد؛ لنُكَتٍ تليق بذلك المحلّ، والحاصل: أنّه حيث أريد العدد أُتي بصيغة الجمع الدالّة على سعة العظمة والكثرة، نحو: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:١] أي: جميع سكّانها على كثرتهم،

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الإسراء:٤٤] أي: كلّ واحدة على اختلاف عددها. وحيث أريد الجهة أُتي بصيغة الإفراد، نحو: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الذاريات:٢٢]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦] أي: من فوقكم.

ومن ذلك: **الريح** ذكرت مجموعة ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت أو في سياق العذاب أفردت.

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي بن كعب قال: «كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب». ولهذا ورد في الحديث: ((اللَّهُمَّ اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا))[1] وذكر في حكمة ذلك: أنّ رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهابات والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكانت في الرحمة رياحا. وأمّا في العذاب فإنّها تأتي مِن وجه واحد ولا معارض لها ولا دافع.

وقد خرج عن هذه القاعدة قولُه تعالى في سورة يونس: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس:٢٢] وذلك لوجهين: **لفظي**: وهو المقابلة في قوله: ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ [يونس:٢٢] ورُبّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالا نحو: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٥٤]. **ومعنوي**: وهو أنّ تمام الرحمة هناك إنّما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها؛ فإنّ السفينة لا تسير إلّا بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح كان سبب الهلاك والمطلوب هنا ريح واحدة، ولهذا أكّد هذا المعنى بوصفها بالطيب، وعلى ذلك أيضا جرى قوله: ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ﴾ [الشورى:٣٣]. وقال ابن المنير: إنّه على القاعدة؛

(١) مسند الشافعي: كتاب العيدين، ما هبت ريح قط إلاّ جثا النبي صلى الله عليه وسلم.

لأنّ سكون الريح عذاب وشدّة على أصحاب السفن.

ومن ذلك: إفراد **النور** وجمع **الظلمات** وإفراد **سبيل الحقّ** وجمع **سبل الباطل** في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] لأنّ طريق الحق واحدة، وطريق الباطل متشعبة متعدّدة، والظلمات بمنزلة طُرُق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحقّ، بل هُما هما[1]، ولهذا وحّد «ولي المؤمنين» وجمع «أولياء الكفّار» لتعدّدهم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

ومن ذلك: إفراد **النار** حيث وقعت، **والجنّة** وقعت مجموعة ومفردة؛ لأنّ الجنان مختلفة الأنواع، فحسن جمعها والنّار مادّة واحدة، ولأنّ الجنّة رحمة والنّار عذاب، فناسب جمع الأُولى وإفراد الثانية على حدّ الرياح والريح.

ومن ذلك: إفراد **الصديق** وجمع **الشافعين** في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء:١٠٠-١٠١] وحكمته كثرة الشفعاء في العادة وقلّة الصديق.

قال الزمخشري: ألا ترى أنّ الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم، نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأمّا الصديق فأعزّ مِن بَيْض الأَنُوق.

ومن ذلك: إفراد **السمع** وجمع **البصر**؛ لأنّ السمع غلب عليه المصدريّة، فأفرد بخلاف البصر؛ فإنّه اشتهر في الجارحة، ولأنّ متعلق السمع الأصوات

---

(١) **قوله**: [**هُمَا هُمَا**] أي: الظلمة هو الباطل والنور هو الحّق. (العلميّة)

وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان والأكوان، وهي حقائق مختلفة، فأشار في كل منهما إلى متعلّقه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [النحل:٧٨].

ومن ذلك: مجيء **المشرق والمغرب** بالإفراد والتثنية والجمع فحيث أفردا فاعتبارا للجهة كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [الشعراء:٢٨]، وحيث ثنيا فاعتبارا لمشرق الصيف والشتاء ومغربهما كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن:١٧] وحيث جمعا فاعتبارا لتعدّد المطالع في كلّ فصل من فصلي السنة كقوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠].

قاعدة في السؤال والجواب:

الأصل في الجواب أن يكون مطابقا للسؤال إذا كان السؤال متوجّها[١]، وقد يُعدَل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيها على أنّه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك، ويسمّيه السكاكي الأسلوب الحكيم.

وقد يجيء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال، وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحال ذلك.

مثال ما عدل عنه قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩] سألوا عن الهلال: لِمَ يبدو دقيقا مثل الخيط، ثمّ يتزايد قليلا قليلا حتّى يمتلئ، ثمّ لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، فأجيبوا ببيان حكمة ذلك تنبيها على أنّ الأهمّ السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه. وهذا إذا قلنا: إنّ سؤالهم كان كذلك[٢]؛ إذ يحتمل أنّهم سألوا عن الحكمة وحينئذ

---

(١) **قوله:** [**متوجها**] أي: عرض السؤال بجهة معينة مخصوصة. (العلميّة)

(٢) **قوله:** [**إن سؤالهم كان كذلك**] أنكر السيوطي كون هذه الآية مثالاً للعدول في الجواب من

فالمطابقة ظاهرة.

ومثال الزيادة في الجواب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام:٦٤] في جواب ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٦٣].

وقول موسى عليه السلام: ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه:١٨] في جواب ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:١٧] زاد في الجواب استلذاذا بخطاب الله تعالى.

وقول قوم إبراهيم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١] في جواب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠] زادوا في الجواب إظهارا للابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها ليزداد غيظ السائل.

مقتضى السؤال وأثبت أنّ الجواب في الآية كان مطابقاً للسؤال، كما قال في "الإتقان": «ليت شعري من أين لهم أنّ السؤال وقع عن غير ما حصل الجواب به؟ وما المانع من أن يكون إنّما وقع عن حكمة ذلك ليعلموها؟ فإنّ نظم الآية محتمل لذلك كما أنّه محتمل لما قالوه والجواب ببيان الحكمة دليل على ترجيح الاحتمال الذي قلناه وقرينة ترشد إلى ذلك إذ الأصل في الجواب المطابقة للسؤال، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل ولم يُرَدْ بإسناد لا صحيح ولا غيره أنّ السؤال وقع على ما ذكروه، بل ورد ما يؤيّد ما قلناه، فأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال بلغنا أنّهم قالوا يا رسول الله لم خُلقتِ الأهلةُ؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩] فهذا صريح في أنّهم سألوا عن حكمة ذلك لا عن كيفيته من جهة الهيئة ولا يَظنُّ ذو دين بالصحابة الذين هم أدقّ فهما وأغزر علما أنّهم ليسوا ممن يطّلع على دقائق الهيئة بسهولة وقد اطّلع عليها آحاد العجم الذين أطبق الناس على أنّهم أبلد أذهانا من العرب بكثير، نعم المثال الصحيح لهذا القسم جواب موسى لفرعون حيث قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٤] لأنّ "ما" سؤال عن الماهية والجنس، ولمّا كان هذا السؤال في حقّ الباري سبحانه وتعالى خطأ؛ لأنّه لا جنس له فيذكر، ولا تدرك ذاتُه، عدل إلى الجواب بالصواب ببيان الوصف المرشد إلى معرفته». (الإتقان)

في معرفة الوجوه والنظائر

فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يُستعمَل في عدة معان، كلفظ الأُمّة[١].

والنظائر كالألفاظ المتواطئة.

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقلّ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

أخرج ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفا: لا يفقه الرجل كلَّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة.

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة، وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر.

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس: أنّ علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج، فقال اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجّهم بالقرآن فإنّه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسّنّة.

وهذه عيون من أمثلة هذا النوع. من ذلك: «**الهدى**»: يأتي على سبعة عشر[٢] وجها:

١- بمعنى الثبات: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٥].

٢- والبيان: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة:٥].

٣- والدين: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل‌عمران:٧٣].

---

(١) **قوله:** [**كلفظ الأمّة**] يستعمل في معنى الجماعة، والقيامة، الملك، وأتباع الأنبياء، والرجل الصالح للخير. (العلميّة)

(٢) **قوله:** [**على سبعة عشر**] هكذا نصّ السيوطيّ في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" لكن ذكر ثمانية عشر وجها وأمثلتها. (العلميّة)

٤- والإيمان: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

٥- والدعاء: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣].

٦- وبمعنى الرُسُل والكُتُب: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة:٣٨].

٧- والمعرفة: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦].

٨- وبمعنى النبيّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٥٩].

٩- وبمعنى القرآن:﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

١٠- والتوراة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [غافر:٥٣].

١١- والاسترجاع: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧].

١٢- والحجّة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨] بعد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٨] أي: لا يهديهم حجّة.

١٣- والتوحيد: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص:٥٧].

١٤- والسُّنَّة: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢]

١٥- والإصلاح: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢].

١٦- والإلهام: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] أي: ألهمهم المعاش.

١٧- والتوبة: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

١٨- والإرشاد: ﴿أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص:٢٢].

ومن ذلك: «**السوء**»: يأتي على أوجه:

١- الشدّة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٤٩].

٢- والعَقْر: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف:٧٣].

٣- والزنى: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف:٢٥]، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم:٢٨].

٤- والبرص: ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه:٢٢].

٥- والشرك: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل:٢٨].

٦- والقتل والهزيمة: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤].

٧- والعذاب: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ [النحل:٢٧].

ومن ذلك: «**الصلاة**» تأتي على أوجه:

١- الصلوات الخمس: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣].

٢- وصلاة العصر: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:١٠٦].

٣- وصلاة الجمعة: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ [الجمعة:٩].

٤- والجنازة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ [التوبة:٨٤].

٥- والدعاء: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

٦- والدّين: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود:٨٧].

٧- والقراءة: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء:١١٠].

٨- والرحمة والاستغفار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦].

ومن ذلك: «**الرحمة**»: وردت على أوجه:

١- الإسلام: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:١٠٥].

٢- والإيمان: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود:٢٨].

٣- والجَنّة: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧].

٤- والمطر: ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧].

ومن ذلك: «**الفتنة**»: وردت على أوجه:

١- الشرك: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١].

٢- والإضلال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران:٧].

٣- والقتل: ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء:١٠١].

٤- والمعذرة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام:٢٣].

٥- والقضاء: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:١٥٥].

٦- والمرض: ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ﴾ [التوبة:١٢٦].

٧- والعبرة: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [يونس:٨٥].

ومن ذلك: «**الروح**»: ورد على أوجه:

١- الأمر: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١].

٢- والوحي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل:٢].

٣- والقرآن: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

٤- وجبريل: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم:١٧].

٥- وروح البدن: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء:٨٥].

ومن ذلك: «الذكر» ورد على أوجه:

١- ذكر اللسان: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ [البقرة:٢٠٠].

٢- والحفظ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٦٣].

٣- والطاعة والجزاء: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢].

٤- والحديث: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] أي: حدّثه بحالي .

٥- والقرآن: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ [طه:١٢٤].

٦- والشرف: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ﴾ [الزخرف:٤٤].

٧- والعيب: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [الأنبياء:٣٦].

٨- واللوح المحفوظ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

٩- والثناء: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

١٠- والصلاة: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فوائد:

قال ابن فارس في كتاب "الأفراد": كلّ ما في القرآن من ذكر «**الأسف**» فمعناه الحزن إلّا ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف:٥٥] فمعناه أغضبونا.

وكلُّ ما فيه من ذكر «**البروج**» فهي الكواكب إلّا ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء:٧٨] فهي القصور الطوال الحصينة.

وكلّ ما فيه من ذكر «**البر والبحر**» فالمراد بالبحر الماء، وبالبرّ التراب اليابس إلّا ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم:٤١] فالمراد به البريّة والعمران.

وكلّ ما فيه من «**البعل**» فهو الزوج إلّا ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ [الصافات:١٢٥] فهو الصنم.

وكلّ ما فيه من «**الدحض**» فالباطل إلّا ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾ [الصافات:١٤١]

فمعناه من المقروعين.

وكلّ ما فيه من «**الرجم**» فهو القتل إلّا ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾ [مريم:٤٦] فمعناه لأشتمنك، و﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الكهف:٢٢] أي: ظنّا.

وكلّ «**شهيد**» فيه غير القتلى فمن يشهد في أمور الناس إلّا ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣] فهو شركاؤكم.

وكلّ ما فيه من «**أصحاب النار**» فأهلها إلّا ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المدثر:٣١] فالمراد خزنتها.

وكلّ «**نبأ**» فهو خبر إلّا ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ [القصص:٦٦] فهي الحجج.

وقال ابن خالويه: ليس في القرآن «**بعد**» بمعنى «قبل» إلّا حرف واحد: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، قال مغلطاي في كتاب "المُيَسَّر": قد وجدنا حرفا آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠].

قال أبو موسى في كتاب "المغيث": معناه هنا «قبل» لأنّه تعالى خلق الأرض في يومين، ثم استوى إلى السماء، فعلى هذا خلق الأرض قبل خلق السماء. انتهى.

قد تعرّض النبيُّ والصحابة والتابعون بشيء من هذا النوع. فأخرج الإمام أحمد في مسنده، وابن أبي حاتم وغيرهما من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة))[1]. هذا إسناده جيد وابن حبّان يصحّحه.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: كل شيء

(١) تفسير ابن أبي حاتم: سورة البقرة، قوله: «بل له ما في السموت والأرض وكل له قانتون».

في القرآن «أليم» فهو المُوجِع.

وأخرج من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كلّ شيء في القرآن «قتل» فهو لعن.

وأخرج من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كل شيء في كتاب الله من «الرجز» يُعنى به العذاب.

وقال الفريابي: حدّثنا قيس عن عمّار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال كل تسبيح في القرآن صلاة وكل سلطان في القرآن حجّة.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن «الدِّيْن» فهو الحساب.

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبيّ بن كعب قال: كل شيء في القرآن من «الرياح» فهي رحمة، وكلّ شيء فيه من «الريح» فهو عذاب.

وأخرج عن أبي مالك قال: «وراء» في القرآن «أمام» كلّه غير حرفين ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون:٧] يعني: سِوى ذلك، ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢٤] يعني: سوى ذلكم.

وأخرج عن أبي بكر بن عياش قال: ما كان «كِسْفا» فهو عذاب، وما كان «كِسَفا» فهو قطع السحاب.

وأخرج ابن جرير عن أبي رَوْق قال: كلّ شيء في القرآن «جعل» فهو خلق.

وفي صحيح البخاري قال سفيان بن عيينة: ما سمّى الله المطر في القرآن إلّا عذابا وتسمّيه العرب الغيث[1]. قال السيوطي: استثني من ذلك ﴿إِن

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء:١٠٢] فإنّ المراد به الغيث قطعا.

وقال أبو عبيدة: إذا كان في العذاب فهو «أمطرت» وإذا كان في الرحمة فهو «مطرت».

وأخرج عن سفيان بن عيينة قال: كل شيء في القرآن «وما يدريك» فلَمْ يخبرْ «وما أدراك» فقد أخبر به.

قلتُ: وأكثر هذه المسائل التي ذكرها هؤلاء بقولهم: «كل شيء في القرآن كذا فهو كذا» إنّما خرج مخرج الغالب وإلّا فإنّ هناك أمورا منها تحتاج إلى استثناء.

معرفة إعرابه

أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر بن الخطاب قال: ((تَعلَّمُوا اللحن والفرائض والسُّنن كما تَعلَّمون القرآن))[١].

وأخرج عن يحيى بن عتيق قال: قلتُ للحسن: يا أبا سعيد! الرجلُ يتعلّم العربيّة يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، قال حسن يا ابن أخي فتعلّمْها فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها.

وعلى الناظر في كتاب الله تعالى -الكاشف عن أسراره- النظرُ في الكلمة وصيغتها ومحلّها ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك.

ويجب عليه مراعاةُ أمور:

أحدها: وهو أوّل واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يُعرِبه مفردا أو مركبا قبل الإعراب؛ فإنّه فرع المعنى ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنّها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

قال ابن هشام: وقد زلّت أقدام كثيرٍ من المُعرِبين راعوا في الإعراب ظاهر اللفظ ولم ينظروا في موجب المعنى، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هود:٨٧] فإنّه يتبادر إلى الذهن عطف «أن نفعل» على «أن نترك» وذلك باطل؛ لأنّه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنّما هو عطف على «ما» فهو معمول للترك، والمعنى أن نترك أن نفعل. وموجب الوهم المذكور أنّ المُعرِب

(١) مصنّف ابن أبي شيبة، كتاب الفرائض، باب ما قالوا في تعليم الفرائض.

يرى «أن» والفعل مرّتين، وبينهما حرف العطف.

الثاني: أن يراعي ما تقتضيه الصناعة، فربّما راعى المُعرِب وجها صحيحا، ولا ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ.

من ذلك قول بعضهم في: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ [النجم:٥١] إنّ ثمودا مفعول مقدّم وهذا ممتنع؛ لأنّ لـ«ما» النافيّة الصدرَ فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على «عادا» مِن قوله: ﴿أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم:٥٠] أو على تقدير: وأهلك ثمود.

وكذا قول غيره في: ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الأحزاب:٦١] إنّه حال من معمول ﴿ثُقِفُوٓاْ﴾ أو ﴿أُخِذُواْ﴾ باطل؛ لأنّ الشرط له الصدر، بل هو منصوب على الذمّ.

الثالث: أن يتجنب الأمور البعيدة، والأوجه الضعيفة، واللّغات الشاذّة ويخرّجَ على القريب والقوي والفصيح، فإن لم يظهر فيه إلّا الوجه البعيد فله عذر. وإن ذكر الجميع لقصد الإغراب والتكثير فصعب شديد، أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحَسَن في غير ألفاظ القرآن، أمّا التنزيل فلا يجوز أن يُخرَّج إلّا على ما يغلب على الظنّ إرادتُه فإن لم يغلب شيء فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسُّف، ومِن ثَمَّ خُطِّئ مَن قال في: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨] إنّ الوقف على «جناح» و«عليه»[١] (أي: «عليه أن يطوف» إغراء.) إغراء؛ لأنّ (بيان وجه الخطأ.) إغراء الغائب ضعيف.

ومَن قال في: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ [الأنعام:١٥٤] بالرفع، إنّ أصله

(١) **قوله:** [«وعليه»] اعلمْ أنّ قوله هذا معطوف على اسم «إنّ» أي: الوقف، و«إغراء» خبره. فتأمّل. (العلميّة)

«أحسنوا» فحذفت الواو اجتزاء عنها بالضمة؛ لأنّ بابَ ذلك الشِّعْرُ[١]. والصواب تقدير مبتدأ، أي: هو أحسنُ.

ومَن قال في: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣] إنّه منصوب على الاختصاص[٢]، لضعفه بعد ضمير المخاطب، والصواب أنه منادى.

لأنه يذكر بعد ضمير المتكلّم في الأصل.

الرابع: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة فتقول في نحو: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] يجوز كون «الأعلى» صفة للربّ، وصفة للاسم. وفي نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ﴾ [البقرة:٢-٣] يجوز كون «الذين» تابعا ومقطوعا إلى النصب بإضمار «أعني» أو «أمدح» وإلى الرفع بإضمار «هُم».

الخامس: أن يراعي الرسم، ومِن ثَمَّ خُطِّئ مَن قال في: ﴿سَلَٰسِلَا﴾ [الدهر:١٨] إنّها جملة أمرية، أي: سَلْ طريقًا موصلا إليها؛ لأنّها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة.

ومَن قال في: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه:٦٣] «إنّها» إن واسمها أي: إنّ القصّة، و«ذان» مبتدأ، خبره «لساحران»، والجملة خبر «إنّ»، وهو باطل برسم

---

(١) **قوله:** [**لأنّ باب ذلك الشعر**] هذا بيان علّة القول الضعيف، وتوضيحه: الاجتزاء بحركة ما قبلها يخصّ بضرورة الشعر عند جماهير النحاة. كما قال الشاعر:

إذا مَا شَاءُ ضَرُّوا مَن أرَادُوا ولا يَأْلُوهُمُ أحَدٌ ضِرَارا (العلميّة)

(٢) **قوله:** [**على الاختصاص**] مِن المواضع التي يضمر فيها الفعل قياسا بابُ الاختصاص. ويكون الاختصاص على طريقة النّداء بأن يكون منقولا وذلك بأن يذكر المتكلّم أوّلا ضميرَ المتكلّم ويؤتي بعده بلفظ «أيّ» ويجري مجراه في النداء من ضمّه والإتيان بعده بهاء التنبيه ووضعه بذي اللام، نحو: أَنَا أَفْعَل كَذَا أَيُّهَا الرَّجُلَ، أي: أنا أفعل كذا مختصا من بين الرجال بفعله. أو يذكر بعد ضمير المتكلّم في مقام لفظ «أيّ» اسم مضاف دالّ على مفهوم ذلك الضمير نَحو: نحن مَعَاشِرَ الأنبياءِ لا نُورث مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ. (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم)

«إن» منفصلة، وهذان متصلة.

ومَن قال في: ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ﴾ [مريم:٦٩] إنّ «هم أشدّ» مبتدأ وخبر، و«أيّ» مقطوعة عن الإضافة، وهو باطل برسم «أيّهم» متّصلة.

ومَن قال في: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين:٣] إنّ «هُم» ضمير رفع مؤكّد للواو، وهو باطل برسم الواو فيهما بلا ألف بعدها (أي: بعد الواو.)[1]، والصواب أنّه مفعول.

السادس: أن يجتنب إطلاق لفظ «الزائد» في كتاب الله تعالى؛ فإنّ الزائد قد يُفهَم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزّه عن ذلك، ولذا فرّ بعضهم إلى التعبير بدله (أي: بدل الزائد.) بالتأكيد، والصلة، والمقحم[2].

وقال ابن الخشاب: اختلف في جواز إطلاق لفظ الزائد في القرآن فالأكثرون على جوازه نظرا إلى أنّه نزل بلسان القوم ومتعارفهم، ولأنّ الزيادة بإزاء الحذف هذا (أي: هذا الحذف.) للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطئة، ومنهم مَن أَبى ذلك وقال: هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصّها فلا أقضي عليها بالزيادة.

قال: والتحقيق أنّه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل؛ لأنه عبث فتعين أن إلينا به حاجة، ولكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد فليست الحاجة إلى اللفظ الذي عده هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه. انتهى.

---

(١) **قوله**: [**بلا ألف بعدها**] لأنّ ضمير رفع مؤكّد يُكْتَب بالألف، نحو: «ضربوا هم». (العلميّة)

(٢) **قوله**: [**والمقحم**] يعني: زائد بحيث لو حذف لا يتأثر الكلام. لكن يُذكَر في الكلام للمبالغة أو التأكيد. (العلميّة)

قال السيوطي: بل الحاجة إلى الأوّل كالحاجة إلى الثاني سواء بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة.

تنبيه:

قال أبو عبيد في "فضائل القرآن": حدّثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألتُ عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء:١٦٢] وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة:٦٩] فقالت: ((يا ابن أخي هذا عمل الكتّاب أخطؤوا في الكتابة))[١]. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

وقال: حدّثنا حجاج عن هارون بن موسى أخبرني الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: لمّا كُتِبتْ المصاحفُ عُرِضتْ على عثمان فوجد فيها حروفا من اللحن[٢]، فقال لا تغيّروها؛ فإنّ العرب ستغيرها أو قال ستعربها بألسنتها.

---

(١) فضائل القرآن للأبي عبيد، باب تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره.

(٢) **قوله**: [**فوجد فيها حروفا من اللحن...إلخ**] قال الإمام الرازي في تفسيره الشهير "التفسير الكبير": ففيه أقوال: **الأوّل**: روي عن عثمان وعائشة أنهما قالا: إن في المصحف لحنا، وستقيمه العرب بألسنتها. واعلمْ أنّ هذا بعيد؛ لأن هذا المصحف منقول بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه. **الثاني**: وهو قول البصريين: أنه نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، قالوا: إذا قلت: مررت بزيد الكريم فلك أن تجر الكريم لكونه صفة لزيد، ولك أن تنصبه على تقدير «أعني»، وإن شئتَ رفعت على تقدير هو الكريم، وعلى هذا يقال: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، والتقدير جاءني قومك أعني المطعمين في المحل وهم المغيثون في الشدائد فكذا ههنا تقدير الآية: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة، طعن الكسائي في هذا القول، وقال: النصب على المدح إنما يكون بعد تمام الكلام، وههنا لم يتمّ الكلام، لأنّ قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ منتظر للخبر، والخبر هو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء:١٦٢]. والجواب: لا نسلم أنّ الكلام لا يتم إلا عند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لأنا بينا أنّ الخبر

أخرجه ابن الأنباري في كتاب "الردّ على مَن خالف مصحف عثمان" وابن أشته في كتاب "المصاحف". ثمّ أخرج ابن الأنباري نحوه من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، وابنُ أشته نحوه من طريق يحيى بن يعمر.

وأخرج من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير: أنّه كان يقرأ ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٦٢] ويقول: هو لحن من الكاتب.

وهذه الآثار مشكلة جدا، وكيف يُظَنّ بالصحابة أوّلا: أنّهم يلحنون في الكلام فضلا عن القرآن، وهم الفصحاء؟ ثمّ كيف يُظَنّ بهم ثانيا: في القرآن الذي تلقّوه من النبيّ صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه؟ ثمّ كيف يظنّ بهم ثالثا: اجتماعهم كلّهم على الخطأ وكتابته؟ ثمّ كيف يظنّ بهم رابعا: عدم تنبههم ورجوعهم عنه، ثم كيف يظنّ بعثمان أنّه ينهى عن تغييره؟ ثمّ كيف يظنّ أنّ القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ وهو مروي بالتواتر خلفا عن سلف، هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

منها: أنّ ذلك لا يصحّ عن عثمان رضي‌الله‌عنه، فإنّ إسناده ضعيف مضطرب منقطع، ولأنّ عثمان جعل للناس إماما يقتدون به، فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها، فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار، فكيف يقيمه غيرهم؟ وأيضا فإنّه لم يكتب مصحفا واحدا،

هو قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ وأيضاً لم لا يجوز الاعتراض بالمدح بين الاسم والخبر؛ وما الدليل على امتناعه؟ فهذا القول هو المعتمد في هذه الآية. **والقول الثالث:** وهو اختيار الكسائي، وهو أنّ المقيمين خفض بالعطف على «ما» في قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾، والمعنى: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة. (التفسير الكبير، النساء:١٦٢)

بل كتب عدة مصاحف. فإن قيل: إنّ اللحن وقع في جميعها، فبعيد اتفاقها على ذلك أو في بعضها فهو اعتراف بصحّة البعض ولم يذكر أحد من الناس أنّ اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قطّ مختلفة إلّا فيما هو من وجوه القراءة وليس ذلك بلحن.

وأحسن الأجوبة: أنّ تلك الآثار عن عثمان فيها تحريف، والذي بيَّن ذلك ما أخرجه ابن أشته عن سوّار بن شبيب قال: قال ابن الزبير: قام رجل إلى عمر فقال يا أمير المؤمنين! إنّ الناس قد اختلفوا في القرآن، فكان عمر قد همّ أن يجمع القرآن على قراءة واحدة فطُعِن طعنته التي مات بها، فلمّا كان في خلافة عثمان قام ذلك الرجل فذكر له فجمع عثمان المصاحف ثمّ بعثني إلى عائشة فجئت بالصُّحف، فعرضناها عليها حتى قوّمناها ثمّ أمر بسائرها فشُقِّقَت.

وأخرج ابن أشته بسنده عن عثمان أنّه قال: لمّا فُرِغ من المصحف أُتِي به عثمان فنظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا.

فائدة:

فيما قرئ بثلاثة أوجه: الإعراب أو البناء أو نحو ذلك، وفي ذلك تأليف لطيف لـ"أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني" سمّاه "تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن". ومن أمثلة ذلك:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:١] قُرِئ بالرفع على الابتداء، والنصبِ على المصدر، والكسرِ على اتباع «الدّال» في حركتها لـ«الام» من الله.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قريء بالجر على أنّه نعت، وبالرفع على القطع بإضمار

مبتدأ، وبالنصب عليه بإضمار فعل، أو على النداء.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٢] قرئ بالثلاثة.

﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾ [البقرة:٦٠] قرئ بسكون الشين، وهي لغة تميم، وكسرها وهي لغة الحجاز، وفتحها وهي لغة بَلِيّ[1].

﴿بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ﴾ [البقرة:١٠٢] قرئ بتثليث الميم، لغات فيه.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران:٣٤] قرئ بتثليث «الذّال».

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء:١] قُرِئ «والأرحام» بالنصب عطفا على لفظ الجلالة، وبالجر عطفا على ضمير «به»، وبالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي: والأرحام مما يجب أن تتّقوه وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه.

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] قرئ «غير» بالرفع صفة لـ«القعدون»، وبالجر صفة لـ«المؤمنين»، وبالنصب على الاستثناء.

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة:٦] قرئ «وأرجلكم» بالنصب عطفا على الأيدي، وبالجر على الجوار أو غيره، وبالرفع على الابتداء والخبر محذوف دلّ عليه ما قبله.

---

(١) **قوله:** [**بليّ**] بفتح الموحّدة وكسر اللام، وشدّ التحتية وهي اسم قبيلة من قضاعة بضم القاف ومعجمة فألف فمهملة. (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية)

المُحكَم والمُتَشَابِه

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧].

وقد حكى ابن حبيب النيسابوري في المسألة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ القرآن كلَّه محكم، لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١].

الثاني: كلَّه متشابه، لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر:٢٣].

الثالث: -وهو الصحيح- انقسامه إلى محكم ومتشابه، للآية المصدر بها.

والجواب عن الآيتين أنّ المراد بإحكامه: إتقانه وعدم تطرّق النقض[١] والاختلاف إليه، وبتشابهه: كونه يشبه بعضُه بعضا في الحقّ والصدق والإعجاز.

وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال:

فقيل: المحكم ما عرف المراد منه، إمّا بالظهور وإمّا بالتأويل.

والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل: المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه.

وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجها واحدا. والمتشابه ما احتمل أوجها.

وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى. والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان، قاله الماوردي.

---

(١) **قوله:** [النقض] في نسخة: «النقص» وكلاهما صحيح. (العلميّة)

وقيل: المحكم ما استقلّ بنفسه. والمتشابه ما لا يستقلّ بنفسه إلّا بردّه إلى غيره.

وقيل: المحكم ما تأويله تنزيله. والمتشابه ما لا يدرى إلّا بالتأويل.

وقيل: المحكم ما لم تتكرّر ألفاظه ومقابله المتشابه.

وقيل: المحكم الفرائض والوعد والوعيد. والمتشابه القصص والأمثال.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المحكمات: ناسخُه وحلالُه وحرامه وحدوده وفرائضه، وما يؤمن به ويعمل به. والمتشابهات: منسوخه ومقدّمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يُؤمَن به ولا يُعمَل به.

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال: المحكمات: ما لم يُنسَخ منه. والمتشابهات ما قد نُسِخ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: المتشابهات فيما بلغنا: ﴿الٓمٓ﴾، و﴿الٓمٓصٓ﴾، و﴿الٓمٓر﴾، و﴿الٓر﴾.

قال ابن أبي حاتم وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما: أنّ المحكم الذي يُعمَل به، والمُتَشَابِه الذي يُؤمَن به ولا يُعمَل به.

فصل:

اختُلِف هل المتشابه ممّا يمكن الاطلاع على علمه، أو لا يعلمه إلّا الله؟ على قولين: منشؤهما الاختلاف في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل‌عمران:٧] هل هو معطوف و﴿يَقُولُونَ﴾ حال؟ أو مبتدأ، خبره ﴿يَقُولُونَ﴾ والواو للاستئناف؟ وعلى الأول طائفة يسيرة، منهم مجاهد، وهو رواية عن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما.

فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧]، قال: أنا ممَّن يعلم تأويله.

وأمّا الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم -خصوصا أهل السنة- فذهبوا إلى الثاني، وهو أصحّ الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الحافظ السيوطي: ويدلّ لصحّة مذهب الأكثرين، ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّه كان يقرأ «وما يعلم تأويله إلّا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به» فهذا يدلّ على أنّ الواو للاستئناف؛ لأنّ هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة، فأقلّ درجاتها أن يكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن، فيُقدَّم كلامه في ذلك على من دونه.

ويؤيّد ذلك أنّ الآية دلّت على ذمّ متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وعلى مدح الذين فوّضوا العلم إلى الله، وسلّموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب. وحكى الفرّاء أنّ في قراءة أُبيّ بن كعب أيضا: «ويقول الراسخون».

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق الأعمش قال في قراءة ابن مسعود: «وإن تأويله إلّا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به».

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالتْ: تلا رسولُ الله هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] قالت: قال رسول الله: فإذا رأيت الذين يتّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذرهم.

وأخرج الطبراني في "الكبير" عن أبي مالك الأشعري: ((أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لا أخاف على أمتي إلّا ثلاث خصال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله، وما يعلم تأويله إلّا الله))[١]. الحديث.

وأخرج ابن أبي حاتم أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه، ولا يعلمونه.

وأخرج الدارمي[٢] في مسنده عن سليمان بن يسار: «أنّ رجلا يقال له صَبِيْغ[٣] قدم المدينةَ فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه، وقد أعدّ له عراجين النخل، فقال: مَن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن صَبِيغ[٤] فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه، وفي رواية عنده: فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة، ثمّ تركه حتى برأ، ثمّ عاد له ثمّ تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال: إن كنتَ تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألّا يجالسه أحد من المسلمين».

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: باب الحاء، الحارث أبو مالك الأشعري.

(٢) سنن الدارمي: المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع.

(٣) **قوله**: [**صبيغ**] قال ابن حجر العسقلاني في كتابه "الإصابة": «بوزن عَظِيْم وآخره معجمة، ويقال بالتصغير أي: صُبَيْغ. (العلميّة)

(٤) **قوله**: [**أنا عبد الله بن صبيغ**] كذا في "الإتقان" و"زبدة الإتقان" بلفظ «ابن» والصحيح بدون «ابن»، أي «عبد الله صبيغ» كما ورد في بعض الكتب، فـ«صبيغ» بدل مِن «عبد الله»، والمعنى أنا عبدٌ لله صبيغ، ويؤيّده ما ورد في بعض الكتب أن عمر رضي الله عنه قال في جوابه: «وأنا عبد الله عمر...إلخ»، وكذلك يظهر من كثير من الكتب أن اسمه «صبيغ»، انظر للتفصيل"تاريخ دمشق" لابن عساكر، و"الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة" للخطيب البغدادي. (العلميّة)

فهذه الأحاديث والآثار تدلّ على أنّ المتشابه مما لا يعلمه إلّا الله، وأنّ الخوض فيه مذموم.

وقد أشار بعضهم إلى حكمة وجود المتشابه في القرآن مع العجز عن معرفته فقال: العقل مُبتَلَى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة كالحكيم إذا صنّف كتابا أجمل فيه أحيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه، وكالملك يتّخذ علامة يمتاز بها مَن يُطْلِعه على سرّه.

وقيل: لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمرّ العالم في أُبَّهَةِ العلم على التمرّد، فبذلك يستأنس إلى التذلل بعزّ العبودية، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاما واعترافا بقصورها. وفي ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل‌عمران:٧] تعريض بالزائغين، ومدح للراسخين يعني من لم يتذكر ويتّعظ ويخالف هواه فليس من أولي العقول، ومن ثَمّ قال الراسخون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل‌عمران:٨] إلى آخر الآية، فخضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللدنيّ، بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفسانيّ.

أي: العظمة والكبر.

وإذا علمت أنّ الخوض في المتشابه مذموم، فلا بدّ من تحديد المتشابه، وهذا هو الأَولى ليعلم المذموم فيجتنب، ولذلك قال الخطابي: المتشابه على ضربين:

أحدهما: ما إذا ردّ إلى المحكم واعتبر به عرف معناه.

والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله ولا يبلغون كُنهَه، فيرتابون فيه فيفتتنون.

فصل:

من المتشابه: آيات الصفات، ولـ"ابن اللّبان" فيها تصنيف مفرد، نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾[طه:٣٩]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح:١٠]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧].

وجمهور أهل السنة: منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها المرادِ منها إلى الله تعالى، ولا نُفَسِّرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها المتبادرةِ إلى الذهن المعروفة مِن ظاهر اللفظ.

وذهبت طائفة من أهل السنة على أنّنا نُؤَوِّلها على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا مذهب الخلف. وكان إمام الحرمين[١] يذهب إليه، ثمّ رجع عنه فقال في "الرسالة النظامية" الذي نرتضيه دينا، وندين الله به عقدا اتباع سلف الأمّة، فإنّهم درجوا على ترك التعرّض لمعانيها.

وقال ابن الصلاح[٢]: على هذه الطريقة مضى صدر الأمّة وساداتها، وإياها

---

(١) **قوله**: [**إمام الحرمين**] هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجوينى الأشعرى الشافعى الشهير بإمام الحرمين، تُوفّي ليلة الأربعاء خامس وعشرين ربيع الآخر من سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بنيسابور. (العلميّة)

(٢) **قوله**: [**ابن الصلاح**] عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر الكردي، أبو عمرو، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح: أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه واسم الرجال. وانتقل إلى دمشق، فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث. وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ قيل: ٦٣٧هـ. وله كتاب "معرفة أنواع علم الحديث" يعرف بـ«مقدمة ابن الصلاح»،

اختار أئمّة الفقهاء وقاداتها، وإليها دعا أئمّة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلِّمين من أصحابنا يصدق عنها ويأباها.

وتوسّط ابن دقيق العيد فقال: إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر، أو بعيدا توقفنا عنه، وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه. قال: وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرا مفهوما مِن تخاطب العرب، قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦] فنحمله على حقّ الله وما يجب له.

ومن المتشابه: أوائل السور والمختار فيها أيضا أنّها من الأسرار التي لا يعلمها إلّا الله تعالى، أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي: أنّه سئل عن فواتح السور، فقال إنّ لكل كتاب سرّا وإنّ سرَّ هذا القرآن فواتح السور.

وخاض في معناها آخرون، فأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق أبي الضحى عن ابن عباس في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة:١] قال: أنا الله أعلم، وفي قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف:١] قال: أنا الله أفصل، وفي قوله: ﴿الٓرٰ﴾ [هود:١] أنا الله أرى.

و"الأمالي"، و"الذخيرة السنية"، و"شرح الوسيط" في فقه الشافعية، و"صلة الناسك في صفة المناسك". (الأعلام للزركلي)

في مقدَّمه ومؤخَّره

وهو قسمان: الأول: ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلمّا عرف أنّه من باب التقديم والتأخير اتّضح. وهو جدير أن يفرد بالتصنيف وقد تعرّض السلف لذلك في آيات:

فأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [التوبة:٨٥]، قال هذا من تقاديم الكلام، يقول: «لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنّما يريد الله ليعذبّهم بها» أي: في الآخرة. وأخرج عنه أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ [طه:١٢٩] قال: هذا من تقاديم الكلام يقول: «لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما».

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:١] قال هذا من التقديم والتأخير: «أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا».

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥] قال: هذا من المقدّم والمؤخّر، أي: رافعك إليّ ومتوفيك.

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، قال: هذا من التقديم والتأخير يقول: «لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا».

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:٨٣] قال: هذه الآية مقدّمة

أي: أخرج في تفسيره.

ومؤخّرة إنّما هي «أذاعوا به[1] إلّا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير».

وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] قال: إنّهم إذا رأوا الله فقد رأوه، إنّما «قالوا جهرة أرنا الله» قال: هو مقدَّم ومؤخَّر، قال ابن جرير: يعني أنّ سؤالهم كان جهرة.

ومنه: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣] والأصل «هواه إلهه» لأنّ مَن اتّخذ إلهه هواه غير مذموم، فقدّم المفعول الثاني للعناية به.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى:٤-٥] فـ«غثاء» معناه: جافّا هشيما، و«أحوى» يطلق على الأخضر الذي يضرب إلى السواد وهو لا يكون جافا هشيما إلّا بعد كونه أخضر، فحينئذ يكون السياق هكذا: «أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء». أي: أخرج المرعى أخضر شديد الخضرة فجعله جافّا هشيما. وقدّم غثاء، وأخّر أحوى رعاية للفاصلة.

وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [فاطر:٢٧]، والأصل «سود غرابيب»؛ لأنّ الغربيب الشديد السواد.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾ [هود:٧١]، أي: فبشّرناها فضحكت.

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤] أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، وعلى هذا فالهمّ منفيّ عنه.

الثاني: ما ليس كذلك، وقد ألّف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ

---

(١) **قوله:** [**أذاعوا به**] هذه الجملة مذكورة أول الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء:٨٣] (العلميّة)

كتابه "المقدِّمة في سرّ الألفاظ المقدَّمة".

قال فيه: الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك الاهتمام، كما قال سيبويه في كتابه: كأنّهم يقدِّمون[1] الذي بيانُه أهمّ، وهُمْ ببيانه أعنى.

قال: هذه الحكمة إجمالية وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره، فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع، منها:

الأوّل: **التبرّك**، كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران:١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٤١] الآية.

الثاني: **التعظيم**، كقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٦٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب:٥٦]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢].

الثالث: **التشريف**، كتقديم الذكر على الأنثى نحو: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] الآية، والحرّ في قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة:١٧٨]، والحيّ في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥] الآية، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[فاطر:٢٢]، والخيل في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل:٨] والسمع في قوله:

---

(١) **قوله**: [**كأنهم يقدمون...إلخ**] وذكر الجرجاني مثاله بقوله: «إنّ الناس إذا تعلّق غرضهم بقتل خارجي مفسد ولا يبالون من صدر القتل منه، وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدّم ذكر الخارجي، فيقول: قتل الخارجيَّ زيدٌ، ولا يقول: قتل زيدٌ الخارجيَّ؛ لأنه يعلم أن قتل الخارجي هو الذي يعنيهم، وإن كان قد وقع قتلٌ مِن رجل يبعد في اعتقاد الناس وقوعُ القتل من مثله، قدّم المخبرُ ذكرَ الفاعل فيقول: قتل زيدٌ رجلاً لاعتقاد الناس في المذكور خلاف ذلك، انتهى كلام الجرجاني». (العلميّة)

﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [البقرة:٧] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقوله: ﴿إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾ [الأنعام:٤٦].

حكى ابن عطية عن النقّاش: أنّه استدل بها على تفضيل السمع على البصر، ولذا وقع في وصفه تعالى: ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:٦١] بتقديم السميع.

ومِن ذلك تقديمه صلى الله عليه وسلم على نوح ومَن معه عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾ [الأحزاب:٧] الآية، وتقديم الرسول في قوله: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢] وتقديم المهاجرين في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠] وتقديم الإنس على الجنّ حيث ذكرا في القرآن، وتقديم النبيين ثمّ الصدّيقين ثمّ الشهداء ثمّ الصالحين في آية النساء، وتقديم إسماعيل على إسحاق؛ لأنّه أشرف؛ بكون النبي صلّى الله عليه وسلّم من ولده وأسنّ، وتقديم جبريل على ميكائيل في آية البقرة؛ لأنه أفضل، وتقديم العاقل على غيره في قوله: ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [النازعات:٣٣]، ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾ [النور:٤١].

الرابع: **المناسبة**، وهي إمّا مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل:٦]، فإنّ الجمال بالجمال، وإن كان ثابتا حالتي السراح والإراحة، إلّا أنّها حالة إراحتها وهو مجيئها من المرعى آخر النهار يكون الجمال بها أفخر؛ إذ هي فيه بطان، وحالة سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأوّل؛ إذ هي فيه خماص، ونظيره قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان:٦٧] قدّم نفي الإسراف؛ لأنّ الشرف في الإنفاق. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [الرعد:١٢]،

لأنّ الصواعق تقع مع أوّل برقة ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات.

الخامس: **الحثّ عليه والحضّ** على القيام به حذرا من التهاون به، كتقديم الوصية على الدَّين في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [النساء:١١] مع أنّ الدَّين مقدَّم عليها شرعا.

السادس: **السبق** وهو إمّا في الزمان باعتبار الإيجاد بتقديم اللَّيل على النَّهار، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وهود على عيسى، وداود على سليمان، والملائكة على البشر في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥] وعاد على ثمود، والأزواج على الذريّة في قوله: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب:٥٩]، والسِّنَة على النوم في قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥].

أو باعتبار الإنزال، كقوله: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٩]، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران:٣-٤].

أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ [الحج:٧٧]، ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ [المائدة:٦] الآية ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨] ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: ((نبدأ بما بدأ الله به)). أو بالذات نحو: ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣].

السابع: **السببيّة**، كتقديم العزيز على الحكيم؛ لأنّه عزّ فحَكَمَ، والعليم عليه؛ لأنّ الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم، وأما تقديم الحكيم عليه في سورة الأنعام؛ فلأنّه مقام تشريع الأحكام.

ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة؛ لأنّها سبب حصول

الإعانة. وكذا قوله: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]؛ لأنّ التوبة سبب الطهارة، ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية:٧] لأنّ الإفك سبب الإثم ﴿يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ [النور:٣٠] لأنّ البصر داعية إلى الفرج.

الثامن: **الكثرة**، كقوله: ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ [التغابن:٢] لأنّ الكفّار أكثر. ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢] الآية، قدّم الظالم لكثرته ثمّ المقتصد ثمّ السابق. ولهذا قدّم السارق على السارقة؛ لأنّ السرقة في الذكور أكثر، والزانية على الزاني؛ لأنّ الزنى فيهنّ أكثر.

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالبا، ولهذا ورد ((إنّ رحمتي غلبت غضبي)).

التاسع: **الترقي من الأدنى إلى الأعلى**، كقوله:

﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف:١٩٥] الآية. بدأ بالأدنى لغرض الترقي؛ لأنّ اليد أشرف من الرجل، والعين أشرف من اليد، والسمع أشرف من البصر.

ومن هذا النوع تأخير الأبلغ، وقد خرج عنه تقديم «الرحمن» على «الرحيم»، و«الرءوف» على «الرحيم»، و«الرسول» على «النبيّ»، في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:٥٤]، وذكر لذلك نُكَت أشهرها مراعاة الفاصلة.

العاشر: **التدلّي من الأعلى إلى الأدنى**، وخرج عنه ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف:٤٩].

في عامّه وخاصّه

العامّ لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر، وصيغته «كلّ» مبتدأة نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، أو تابعة نحو: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر:٣٠].

و«الذي والتي» وتثنيتهما وجمعهما، نحو: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف:١٧] فإنّ المراد به كل من صدر منه هذا القول بدليل قوله بعد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [الأحقاف:١٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [البقرة:٨٢]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ [آل عمران:١٥].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الطلاق:٤] الآية، ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ﴾ [النساء:١٥] الآية، ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء:١٦].

و«أي» و«ما»، و«مَن» شرطا واستفهاما وموصولا، نحو: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣].

والجمع المضاف، نحو: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء:١١].

والمُعرَّف بـ«أل» نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:٥].

واسم الجنس المضاف، نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] أي: كل أمر الله.

والمعرّف بـ«أل»[أي: تعريفَ الجنس مفردا.] نحو: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة:٢٧٥] أي: كل بيع، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢] أي: كل إنسان بدليل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر:٣].

والنكرة في سياق النفي والنهي، نحو: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر:٢١]، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة:٢]، ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

وفي سياق الشرط نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وفي سياق الامتنان نحو: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:٤٨].

والعامّ المخصوص[(١)] أمثلته في القرآن كثيرة جدّا، وهو أكثر من المنسوخ إذ ما من عامّ إلّا وقد خُصَّ إلّا آيات قليلة، منها: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ومنها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف:١٨٩] ومنها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣].

ومن أمثلة ما خصّ بالقرآن: قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨] خصّ بقوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ

---

(١) **قوله**: [والعام المخصوص] فصّل السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن"، وخلاصة كلامه: العامّ على ثلاثة أقسام: الأول: الباقي على عمومه، وأمثلته في القرأن كثيرة كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، ومنها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣]. الثاني: العام المراد به الخصوص، وقال في توضيحه: لم يرد شموله لجميع الأفراد، لا من جهة تناول اللفظ، ولا من جهة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها. ومثاله:﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] والقائل واحد: نعيم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة. الثالث: العام المخصوص. وقد أخذه علوي المالكي في كتابه هذا. (العلمية)

مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الأحزاب:٤٩] وبقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤].

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة:٣] خصّ من الميتة السمك، بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة:٩٦] ومن الدم الجامد بقوله تعالى: ﴿دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام:١٤٥].

وقوله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٢٠] الآية خصّ بقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٢٩]. وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢] خصّ بقوله: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء:٢٥].

وقوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] خصّ بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣] الآية.

ومن أمثلة ما خصّ بالحديث: قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة:٢٧٥] خصّ منه البيوع الفاسدة(١) -وهي كثيرة- بالسُّنَّة(٢).

﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥] خصّ منه العَرَايا(٣) بالسُّنة(٤).

---

(١) **قوله**: [**البيوع الفاسدة**] كبيع الغرر والنجش والملامسة والمنابذة وغيرها. (العلميّة)

(٢) **قوله**: [**بالسنّة**] انظرْ كتاب البيوع من صحيح البخاري وغيره من كتب الأحاديث. (العلميّة)

(٣) **قوله**: [**العرايا**] وهي أن يباع الثمر من النخيل أو الكرم رطبا على الشجر بما يساويه تقديرا من التمر أو الزبيب. وهي في الأصل ممنوعة لكون بيع التمر بشيء من جنسه بيعا ربويا، ولكن استثنى الشارع من ذلك تسهيلا على الناس لحاجتهم لمثل هذا التعامل. (العلميّة)

(٤) **قوله**: [**بالسنّة**] عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمر بالتمر ورخص في العرية أن تباع بخرصها يأكلها أهلها رطبا)). رواه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الثمر على رؤوس النخل بالذهب والفضة. (العلميّة)

وآيات المواريث خصّ منها القاتل والمخالف في الدِّين بالسُّنَّة[١].

وقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ﴾ [المائدة:٣٨]، خصّ منه من سرق دون ربع دينار[٢] بالسُّنَّة[٣].

ومن أمثلة ما خصّ بالإجماع: آية المواريث، خصّ منها الرقيق فلا يرث بالإجماع ذكره مكّيّ.

ومن أمثلة ما خصّ بالقياس: آية الزنا ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢] خصّ منها العبد بالقياس على الأَمَة المنصوصةِ في قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء:٢٥] المخصّصِ لعموم الآية، ذكره مكيّ أيضا.

فصل:

مِن خاصّ القرآن ما كان مُخصِّصا لعموم السنّة، وهو عزيز. ومِن أمثلته

---

(١) **قوله:** [**بالسنّة**] قال رسول الله عليه السلام: ((القاتل لا يرث)) رواه الترمذي في باب: ما جاء في إبطال ميراث القاتل. وابن ماجه في باب: القاتل لا يرث. وقال: ((لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم)). رواه البخاري في كتاب الفرائض، باب: لا يرث المسلم الكافر والكافر المسلم. (العلميّة)

(٢) **قوله:** [**دون ربع دينار**] لأن نصاب السرقة الذي فيه قطع عند الشافعي ربع دينار، والإمام السيوطي شافعي فلهذا ذكر قول الشافعي. وأما عند الأحناف فهو مقدّر بعشرة دراهم. والتفصيل مذكور في كتب الفقه. (العلميّة)

(٣) **قوله:** [**بالسنّة**] قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا)) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]. ودليل الأحناف ما أخرج الطحاوي في "شرح معاني الآثار" من طريق المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن أنّ عبد الله بن مسعود قال: لا يقطع اليد إلا في الدينار أو عشرة دراهم. وما أخرج عن ابن جريج قال: كان قول عطاء على قول عمرو بن شعيب: لا يقطع اليد في أقل من عشرة دراهم. (العلميّة)

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة:٢٩] خصّ عموم قوله صلّى‌الله‌عليه وسلّم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله))(١).

وقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨] خصّ عموم نهيه(٢) صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم عن الصلاة في الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض.

وقوله: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا﴾ [النحل:٨٠] الآية، خص عموم قوله صلّى الله‌عليه‌وسلّم: ((ما أُبِيْنَ مِن حيّ فهو ميّت))(٣).

وقوله: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [التوبة:٦٠] خصّ عموم قوله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم: ((لا تحلّ الصدقة لغنيّ ولا لذِي مِرَّة سويّ))(٤).

وقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ [الحجرات:٩] خصّ عموم قوله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النّار))(٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾...إلخ. صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله.

(٢) **قوله**: [**عموم نهيه**] وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيهن، أو أن نقبر فيهنّ موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب». (صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها). (العلميّة)

(٣) سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما قطع من الحي فهو ميت، بتغير يسير، و"شرح مشكل الآثار" بلفظِ «مَا قُطِعَ مِنْ حَيٍّ فَهُوَ مَيِّتٌ». (العلميّة)

(٤) سنن أبي داود: كتاب الزكاة، باب من يعطي من الصدقة وحد الغني.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾...إلخ.

فروع منثورة تتعلّق بالعموم والخصوص:

أي: الفرع الأوّل.
الأوّل: إذا سيق العامّ للمدح أو الذمّ، فهل هو باقٍ على عمومه؟ فيه مذاهب:

أحدها: نعم، إذ لا صارف عنه، ولا تنافي بين العموم وبين المدح أو الذم.

والثاني: لا، لأنه لم يسق للتعميم بل للمدح أو للذم.
أي: المذهب الثاني.

والثالث: وهو الأصح، التفصيل: فيعمّ إن لم يعارضه عامٌّ آخر لم يُسَق
أي: المذهب الثالث.
لذلك، ولا يعمّ إن عارضه ذلك، جمعًا بينهما.

مثاله -ولا معارض- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار:١٣-١٤].

ومع المعارض قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [المؤمنون:٥-٦]؛ فإنه سيق للمدح وظاهره يعمّ الأختين بملك اليمين جمعًا، وعارضه في ذلك ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ [النساء:٢٣] فإنّه شامل لجمعهما بملك اليمين[١]، ولم يسق للمدح، فحمل الأوّل على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له.

ومثاله في الذمّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة:٣٤] الآية، فإنه سيق للذمّ، وظاهره يعمّ الحُلِيَّ المباحَ[٢]، وعارضه في ذلك[٣] حديث

---

(١) **قوله**: [**لجمعهما بملك اليمين**] أي: أن يجمع في الوطء بين الأختين بأن كان يملكهما. والصحيح أنّه لا يحلّ ترجيحا لجانب التحريم. (العلمية)

(٢) **قوله**: [**يعم الحلي المباح**] أي: عموم الآية شامل للحلي المباح للنساء وخاتم الفضة للرجال، والذين لا يؤدون الزكاة فهو كنز لهم وداخل في الوعيد الذي ذكر في الآية. (العلميّة)

(٣) **قوله**: [**وعارضه في ذلك...إلخ**] معارضة الحديث لعموم الآية ثابتة عند الشافعي فقط، فلهذا عنده لا زكاة في الحلي المباح للنساء. وعند الأحناف فيه زكاة لحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك: ((قالت عائشة رضي الله عنها: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي

جابر: ((ليس في الحلي زكاة)) فحمل الأوّل على غير ذلك.

الثاني: اختُلِف في الخطاب الخاصّ به صلّى الله عليه وسلّم، نحو: يأيّها النبي، يأيها الرسول، هل يشمل الأُمّة؟ فقيل: نعم؛ لأنّ أمرَ القدوة أمر لأتباعه معه عُرفًا، والأصحّ في الأصول المنعُ؛ لاختصاص الصيغة به.

أي: الفرع الثاني.

الثالث: اختلف في الخطاب بـ«يأيها الناس» هل يشمل الرسول؟ على مذاهب:

أي: الفرع الثالث.

أي: أصح المذاهب، وهوالأوّل منها.

أصحُّها -وعليه الأكثرون- نعم؛ لعموم الصيغة له. أخرج ابن أبي حاتم عن الزهري قال: إذا قال الله: «يأيها الذين آمنوا افعلوا فالنبي صلّى الله عليه وسلّم منهم».

أي: المذهب الثاني.

والثاني: لا؛ لأنّه ورد على لسانه لتبليغ غيره، ولِمَا له من الخصائص.

أي: المذهب الثالث.

والثالث: إن اقترن بـ«قل» لم يشمله لظهوره في التبليغ، وذلك قرينة عدم شموله، وإلا فيشمله.

الرابع: الأصحّ في الأصول أن الخطاب بـ«يأيها الناس» يشمل الكافر والعبد، لعموم اللفظ.

أي: الفرع الرابع.

وقيل: لا يعمّ الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع، ولا العبد؛ لصرف منافعه إلى سيّده شرعا.

أي: الفرع الخامس.

الخامس: اختلف في «مَن» هل تتناول الأنثى؟ فالأصحّ نعم، خلافا

فتحات من ورق فقال ما هذا؟ يا عائشة! فقلتُ: صنعتُهنّ أتزين لك بهنّ يا رسول الله فقال أتؤدّين زكاتهنّ؟ قلتُ: لا أو ما شاء الله، قال: حسبك من النار)). وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وأما ما رُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم ((ليس في الحلي زكاة)) قال البيهقي باطل لا أصل له إنما يروى عن جابر من قوله. هكذا أجاب عنه ابن الهمام في شرحه "فتح القدير". (العلميّة)

للحنفيّة[1]. لنا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النساء:١٢٤] فالتفسير بهما دالّ على تناول «مَن» لهما، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣١].

واختُلِف في جمع المذكر السالم هل يتناولها؟

فالأصحّ: لا، وإنما يدخلن فيه بقرينةٍ. أمّا المُكسَّر فلا خلاف في دخولهنّ فيه.

↰أي: الفرع السادس.

السادس: اختلف في الخطاب بـ«يا أهل الكتاب» هل يشمل المؤمنين؟

فالأصحّ: لا؛ لأنّ اللفظ قاصر على مَن ذُكِر.

وقيل: إن شاركوهم في المعنى شملهم، وإلّا فلا.

واختلف في الخطاب بـ«يأيها الذين آمنوا» هل يشمل أهل الكتاب؟

فقيل: لا؛ بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع.

وقيل: نعم، واختاره ابن السمعاني، قال: وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:١٠٤] خطاب تشريف لا تخصيص.

---

(١) **قوله**: [**خلافا للحنفيّة**] نسبة قول الخلاف إلى الحنفية ليس بصحيح. كما وضّح وبيّن الزركشي في كتابه "البحر المحيط في أصول الفقه": «الثالث (أي: القسم الثالث): لفظ يشملها (أي: يشمل الأنثى) من غير قرينة ظاهرة في أحدهما "كمَن" وهذا من موضع الخلاف، فقيل: لا يدخل فيه النساء إلا بدليل. والصحيح أنّه يتناولهما بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النساء:١٢٤] فلو لا اشتماله عليه لم يحسن التقسيم بعد ذلك. وممن حكى الخلاف في هذه المسألة من الأصوليين أبو الحسين في "المعتمد" وإلكيا الهراسي في "التلويح". وحكاه غيرهما عن بعض الحنفية، وإنّهم لذلك قالوا: إنّ المرتدة لا تُقتَل لعدم دخولها في قوله: «من بدّل دينه فاقتلوه» لكن الموجود في كتبهم أنّها تعمّ الجميع، كقول الجمهور، وصرّح به البزدوي وشُراح كتابه، وابن الساعاتي وغيرهما». (البحر المحيط في أصول الفقه: فصل في اشتمال العموم على بعض من يشكل تناوله بالنسبة إلى النساء والعبيد والمخاطب وغيره)

في مُجمَلِه ومُبيَّنِه

المجمل: ما لم تتّضح دلالته، وهو واقع في القرآن خلافا لداود الظاهري[١]، وفي جواز بقائه مجملا أقوالٌ، أصحّها: لا يبقى المكلَّف بالعمل به بخلاف غيره.

اختُلِف في آيات، هل هي من قبيل المجمل أو لا؟

منها: آية السرقة، قيل: إنّها مجملة في اليد؛ لأنّها تطلق على العضو إلى الكُوع[٢] وإلى المِرفَق وإلى المَنكِب، وفي القطع لأنّه يطلق على الإبانة، وعلى الجرح، ولا ظهور لواحدٍ مِن ذلك، وإبانة الشارع من الكوع تُبيِّن أنّ المراد ذلك.

وقيل: لا إجمال فيها؛ لأنّ القطع ظاهر في الإبانة.

ومنها: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة:٦] قيل: إنّها مُجمَلَة؛ لتَردِّدها بين مسح الكلّ والبعض، ومسح الشارع الناصيةَ مبيِّن لذلك.

وقيل: لا، وإنّما هي لمطلق المسح الصادق بأقلّ ما يطلق عليه الاسم ويفيده.

ومنها الآيات التي فيها الأسماء الشرعية، نحو: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾[البقرة:١٨٥]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [آل‌عمران:٩٧]. قيل: إنّها مجملة؛ لاحتمال الصلاة

---

(١) **قوله**: [**لداود الظاهري**] داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقّب بالظاهري. ولد سنة:٢٠١هـ، وتوفّي سنة:٢٧٠هـ. تنسب إليه الطائفة الظاهريّة، وسمّيت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنّة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أوّل مَن جهر بهذا القول. (الأعلام للزركلي بحذف)

(٢) **قوله**: [**الكُوع**] طرفُ الزند الذي يلي الإبهامَ. وأمّا طرفُ الزند الذي يلي الخنصر فهو الكُرْسُوع. (القاموس المحيط)

لكلّ دعاء، والصومِ لكلّ إمساك، والحجِّ لكلّ قصد، والمراد بها لا تدلّ عليه اللغةُ، فافتقر إلى البيان.

وقيل: لا، بل يُحمَل على كلّ ما ذُكِر إلّا ما خصّ بدليل.

في ناسخه ومنسوخه

وفي هذا النوع مسائل:

الأولى: يَرِدُ النَّسخ بمعنى الإزالة، ومنه قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]. أي: المسئلة الأولى.

وبمعنى التبديل، ومنه: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ [النحل:١٠١].

وبمعنى التحويل، كتناسخ المواريث، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد.

وبمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه: «نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطّه».

الثانية: النسخ ممّا خصّ اللهُ به هذه الأُمّةَ لحِكَمٍ، منها: التيسير. أي: المسئلة الثانية.

وقد أجمع المسلمون على جوازه، وأنكره اليهود ظنّا منهم أنّه بَدَاءٌ، كالذي يرى الرأي ثم يبدو له وهو باطل؛ لأنّه بيان مدّة الحُكْم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه، والمرض بعد الصحّة وعكسه، والفقر بعد الغنى وعكسه، وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهي.

واختلف العلماء في الناسخ، فقيل: لا ينسخ القرآن إلا بقرآن لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦] قالوا: ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه إلا قرآن.

وقيل: بل ينسخ القرآن بالسُّنَّة؛ لأنّها أيضا من عند الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣] وجعل منه آية الوصية الآتية.

والثالثة: لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي، ولو بلفظ الخبر، أمّا الخبر أي: المسئلة الثالثة.

الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ، ومنه الوعد والوعيد. وإذا عرفتَ ذلك عرفتَ فساد صنع مَن أدخل في كتب النسخ كثيرا من آيات الإخبار والوعد والوعيد.

المسئلة الرابعة.
الرابعة: النسخ أقسام.

أحدها: نسخ المأمور به قبل امتثاله، وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى(١).

أي: القسم الثاني.
الثاني: نسخ ما كان شرعًا لِمَن قبلنا، كآية شرع القصاص والدِّيَة(٢) أو كان أُمِر به أمرا إجماليا، كنسخ التوجّه إلى بيت المقدس بالكعبة، وصومِ عاشوراء برمضان، وإنّما يسمّى هذا نسخًا تجوُّزًا.

الثالث: ما أُمِر به لسبب ثمّ يزول السبب، كالأمر حين الضُعف والقِلّة

---

(١) **قوله:** [**كآية النجوى**] وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ [المجادلة:١٢] كما أخرج الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه قال: إنّ في كتاب الله لآيةً ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيتُ النبي صلّى الله عليه وسلم قدّمت بين يدي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ [المجادلة:١٣] الآية. (المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة)

(٢) **قوله:** [**كآية شرع القصاص والدِّيَة**] أشار المصنِّف بهذه العبارة إلى الحديث الذي رواه البخاري والنسائي والدارقطني عن ابن عباس قال:«كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فقال الله لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ مما كتب على من كان قبلكم ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ قتل بعد قبول الدية. هذا لفظ البخاري. (العلميّة)

بالصبر والصَّفح، ثمّ نُسِخ بإيجاب القتال، وهذا في الحقيقة ليس نسخا بل هو مِن قسم المُنْسَأ[١] كما قال تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ فالمنسأ: هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون مِن أنّ الآية في ذلك منسوخة بآية السيف. وليس كذلك بل هي مِن المنسأ بمعنى أنّ كلّ أمر ورد يجب امتثاله في وقت مّا، لعلّة تقتضي ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلّة إلى حكم آخر، وليس بنسخ؛ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله.

الخامسة: قال بعضهم: سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام: المسئلة الخامسة.

قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ: وهو ثلاثة وأربعون سورة: الفاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصفّ، والجمعة، والتحريم، والملك، والحاقّة، ونوح، والجنّ، والمرسلات، وعمّ، والنازعات، والانفطار، وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن إلا التِّين والعصر والكافرين.

وقسم فيه الناسخ والمنسوخ: وهي خمسة وعشرون: البقرة وثلاث بعدها، والحج والنور وتالياها، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورى، والذاريات، والطور، والواقعة، والمجادلة، والمزمل، والمدثر، وكورت، والعصر.

وقسم فيه الناسخ فقط: وهو ستٌّ: الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والأعلى.

وقسم فيه المنسوخ فقط: وهو الأربعون الباقيّة. كذا قال، وهذا بناء على عدّ المُنْسأ والمخصوص من المنسوخ.

---

(١) **قوله:** [**المنسأ**] أي: الذي أُخِّر حكمه إلى حينه. (العلميّة)

↩أي: المسئلة السادسة.

السادسة: النَّسخ في القرآن على ثلاثة أضرب:

أحدها: ما نُسِخ تلاوته وحكمه معا. قالت عائشة: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات، فتوفّي رسول الله وهنّ مما يقرأ من القرآن. رواه الشيخان. وقد تكلّموا في قولها: «وهنّ مما يقرأ» فإنّ ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك.

وأجيب بأنّ المراد قارب الوفاة، أو أنّ التلاوة نسخت أيضا، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله فتوفّي وبعض الناس يقرؤها.

الضرب الثاني: ما نسخ حكمه دون تلاوته. وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلَّفة، وهو على الحقيقة قليل جدّا، وإنْ أَكثَر الناسُ من تعداد الآيات فيه، فإنّ المحققّين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بيّن ذلك وأتقنه.

ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] الآية منسوخة قيل: بآية المواريث[١]، وقيل: بحديث: ((ألا لا وصية لوارث))[٢] وقيل: بالإجماع، حكاه ابن العربي.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة:١٨٤] قيل: منسوخة بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] وقيل: مُحكَمَة، و«لا» مقدرةٌ.

وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ [البقرة:١٨٧] ناسخة لقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣] لأَنّ مقتضاها الموافقة

---

(١) **قوله:** [**بآية المواريث**] وهي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١-١٢].

(٢) سنن ابن ماجه في الوصايا، باب لا وصية لوارث.

فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم، ذكره ابن العربي. وحكى قولا آخر أنّه نسخ لما كان بالسُّنَّة[١].

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:٢١٧] الآية منسوخة بقوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦] الآية، أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة:٢٤٠] منسوخة بآية «أربعة أشهر وعشرا»، والوصية منسوخة بالميراث، والسكنى ثابتة عند قوم، منسوخة عند آخرين بحديث: ((ولا سكنى))[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] منسوخة بقوله بعده: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل‌عمران:١٠٢] قيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] وقيل: لا، بل هو محكم، وليس في "آل عمران" آية يصحّ فيها دعوى النسخ غير هذه الآية.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ [الأحزاب:٥٢] الآية، منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب:٥٠] الآية.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟﴾ [المجادلة:١٢] الآية، منسوخة

---

(١) عن البراء رضي الله عنه قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلّه وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾. (صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الطلاق، باب قصة فاطمة بنت قيس.

بالآية بعدها.

فإن قلتَ: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنّ القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه، والعمل به، فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه، فتركت التلاوة لهذه الحكمة. ↰أي: أبقيت تلاوة الآية.

والثاني: أنّ النسخ غالبا يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيرا للنعمة ورفع المشقة، وأمّا ما ورد في القرآن ناسخا لما كان عليه الجاهلية أو كان في شرع من قبلنا، أو في أوّل الإسلام، فهو أيضا قليل العدد كنسخ استقبال بيت المقدس بآية القبلة، وصوم عاشوراء بصوم رمضان. ↰أي: الوجه الثاني.

الضرب الثالث: ما نسخ تلاوته دون حكمه. يعني أنّ النسخ هنا بالنسبة للتلاوة فقط، فلا تثبت قرآنيته فلا يثاب على قراءته ثوابَ القرآن. وأمّا حكمه فباقٍ يُعمَل به. وأمثلة هذا الضرب كثيرة.

روى أبو عبيد عن زِرّ بن حبيش قال: قال لي أبيّ بن كعب: كأيّن تَعُدّ سورة الأحزاب؟ قلتُ: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية. قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة وإن كنّا لنقرأ فيها آية الرجم. قلتُ: وما آية الرجم؟ قال: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم».

وعن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورةٌ نحو براءةٍ ثمّ رفعت وحفظ منها: «إنّ الله سيؤيّد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أنّ لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ويتوب الله على من تاب».

حكمة هذا الضرب: ظهور طاعة هذه الأمّة في المسارعة إلى بذل النفوس،

واستجابة لحكم الله بطريق الظنّ من غير استفصال، فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام. وهو أدنى طريق الوحي.

فوائد منثورة:

قال بعضهم: ليس في القرآن ناسخ إلّا والمنسوخ قبله في الترتيب إلّا في آيتين: آية العدّة في البقرة، وقوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ [الأحزاب:٥٢] منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب:٥٠].

وزاد بعضهم ثالثة: وهي آية الحشر في الفيء على رأي مَن قال: إنّها منسوخة بآية الأنفال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنفال:٤١].

وزاد قوم رابعة وهي قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف:١٩٩] يعني الفضل مِن أموالهم على رأي مَن قال: إنّها منسوخة بآية الزكاة.

وقال ابن العربي: كلّ ما في القرآن من الصفح عن الكفّار والتولي والإعراض والكفّ عنهم فهو منسوخ بآية السيف، وهي: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:٥] الآية، نسخت مائة وأربعا وعشرين آية، ثمّ نسخ آخرها أوّلها. انتهى. وكلامه هذا فيه كما تقدّم.

وقال أيضا: بناء على كلامه المذكور: مِن عجيب المنسوخ قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ الآية، فإنّ أوّلها وآخرها وهو: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ منسوخ، ووسطها محكم، وهو: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال: ومن عجيبه أيضا آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ، ولا نظير لها وهي قوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة:١٠٥] فقوله: ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ يعني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا ناسخ لقوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾.

تنبيه:

قال ابن الحصار: إنّما يُرجَع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلّى اللهعليهوسلّم أو عن صحابيّ يقول: «آية كذا نسخت كذا».

قال: وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدّم والمتأخّر.

قال: ولا يعتمد في النسخ قول عوامّ المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح، ولا معارضة بيّنة، لأنّ النسخ يتضمّن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده صلّىاللهعليهوسلّم، والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد.

في مُشكِله ومُوهِم الاختلافِ والتناقضِ

وكلامه تعالى منزَّه عن ذلك كما قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يُوهِم اختلافا وليس به في الحقيقة فاحتيج لإزالته، كما صُنِّف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة وقد تكلّم في ذلك ابنُ عباس، وحُكي عنه التوقُّفُ في بعضها.

قال عبد الرزاق في "تفسيره": أنبأنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال رأيت أشياء تختلف عليَّ مِن القرآن، فقال ابن عباس: ما هو؟ أشكّ؟ قال: ليس بشك، ولكنّه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك. قال أسمع اللهَ يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]، وقال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢] فقد كتموا. وأسمعه يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] ثمّ قال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧]. وقال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩] حتى بلغ ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ثمّ قال في الآية الأخرى: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات:٢٧] ثمّ قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠] وأسمعه يقول: ﴿كَانَ ٱللَّهُ﴾ ما شأنه يقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٧].

فقال ابن عباس: أمّا قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣] فإنّهم لما رأوا يوم القيامة، وأنّ الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحده المشركون

رجاء أن يغفر لهم فقالوا: والله ربنا ما كنّا مشركين فختم الله على أفواههم، فتكلّمت أيديْهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا.

وأمّا قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] فإنّه إذا نفخ في الصور فصعق مَن في السموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثمّ نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وأمّا قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩] فإنّ الأرض خُلِقتْ قبل السماء وكانت السماء دخانا، فسوّاهنّ سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض.

وأمّا قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠] يقول: جعل فيها جبلا، وجعل فيها نهرا، وجعل فيها شجرا، وجعل فيها بحورا.

وأمّا قوله: ﴿كَانَ ٱللَّهُ﴾ فإنّ الله كان ولم يزل كذلك، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك.

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرتُ لك، وإن الله لم ينزل شيئا إلّا وقد أصاب الذي أراد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أخرجه بطوله الحاكم في المستدرك وصحّحه، وأصله في "الصحيح".

قال ابن حجر في شرحه: حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع:

الأوّل: نفي المسألة يوم القيامة وإثباتها.
↳أي: الموضع الأوّل.

الثاني: كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه.
↳أي: الموضع الثاني.

الثالث: خلق الأرض أو السماء أيّهما تقدّم.
↳أي: الموضع الثالث.

الرابع: الإتيان بحرف «كان» الدالّة على المضيّ مع أنّ الصّفة لازمة. (أي: الموضع الرابع.)

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول: أنّ نفي المسألة فيما قبل النفخة الثانية، وإثباتها فيما بعد ذلك.

وعن الثاني: أنّهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم.

وعن الثالث: أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة، ثم خلق السموات فسوّاهنّ في يومين ثمّ دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام للأرض.

وعن الرابع: بأنّ «كان» وإن كانت للماضي، لكنّها لا تستلزم الانقطاع بل المراد أنّه لم يزل كذلك.

وهناك موضع توقَّفَ فيه ابنُ عباس، قال أبو عبيد: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة:٥] وقوله: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج:٤] فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، اللهُ أعلمُ بهما.

قال الزركشي في "البرهان": للاختلاف أسباب:

أحدها: وقوع المُخبَر به على أنواع مختلفة وتطويرات شتّى، كقوله في خلق آدم: ﴿مِن تُرَابٖ﴾ [آل عمران:٥٩] ومرّةً ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر:٢٨] ومرّةً ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات:١١] ومرّةً ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤] فهذه ألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأنّ الصلصال غير الحمإ، والحمأ غير التراب إلّا أن مرجعها كلّها إلى جوهر وهو التراب، ومِن التراب تدَرَّجت

هذه الأحوالُ.

الثاني: لاختلاف الموضع، كقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]، وقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦] مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩] قال الحليمي: فتحمل الآية الأُولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرُسُل، والثانيةُ على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه.

وحَمَلَه غيرُه على اختلاف الأماكن؛ لأنّ في القيامة مواقف كثيرة، ففي موضعٍ يُسأَلون. وفي آخر لا يُسأَلون. وقيل: إنّ السؤالَ المثبتَ سؤال تبكيت[1] وتوبيخ، والمَنفِيَّ سؤالُ المعذرة وبيانُ الحُجَّة.

الثالث: لاختلافهما في جهتي الفعل، كقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال:١٧] أُضِيف القتلُ إليهم والرمي إليه على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير.

الرابع: لاختلافهما في الحقيقة والمجاز، كقوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحجّ:٢] أي: سكارى مِن الأهوال مجازا لا من الشراب حقيقةً.

الخامس: بوجهين واعتبارين كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:٢٨] مع قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢] فقد يُظَنّ أنّ الوجل خلاف الطمأنينة.

وجوابه: أنّ الطمأنينةَ تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجلَ يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، فتَوجَل القلوبُ لذلك، وقد جمع

(١) **قوله:** [**تبكيت**] التَّبكِيتُ: كالتقريع والتعنيف، وبَكَّتَهُ بالحُجّة تبكيتا غلبه. (مختار الصحاح)

بينهما في قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣].

ومما استشكل أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:١٤٤]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٣٢] مع قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٤] إلى غير ذلك من الآيات.

ووجه الإشكال أنّ المراد بالاستفهام هنا النفي، والمعنى: «لا أحد أظلم» فيكون خبرا، وإذا كان خبرا وأُخِذت الآياتُ على ظواهرها أدّى إلى التناقض.

وأجيب بأوجه:

منها: تخصيص كلّ موضع بمعنى صِلَته، أي: لا أحد من المعاندين أظلم ممّن منع مساجد الله، ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا، وإذا تخصّص بالصِّلات، زال التناقضُ.

في مُطلَقِه ومُقَيَّده

المطلق: الدالّ على الماهيّة بلا قيد، وهو مع المقيد كالعامّ مع الخاص. (أي: اللفظ الدالّ.)

قال العلماء: متى وجد دليل على تقييد المطلق صِيرَ إليه وإلّا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده؛ لأنّ الله تعالى خاطبنا بلغة العرب.

والضابط: أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرطٍ، ثمّ ورد حكمٌ آخر مطلقا، نُظِر: فإن لم يكن له أصلٌ يُردُّ إليه إلّا ذلك الحكم المقيّد وجب تقييده به. وإن كان له أصل غيره (أي: غير ذلك الحكم) لم يكن ردُّه إلى أحدهما بأولى من الآخر.

فالأوّل(١): مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفِراق والوصيّة في قوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:٢] وقولِه: ﴿شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦].

وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:٦]. والعدالة شرط في الجميع.

وكذلك ما اشترط في كفّارة القتل من الرقبة المؤمنة، وإطلاقها في كفارة الظهار واليمين، والمطلق كالمقيّد في وصف الرقبة(٢).

وكذلك تقييد الأيدي بقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦] في الوضوء وإطلاقه

---

(١) **قوله**: [**فالأوّل**] أي: إذا وجب تقييد الحكم المطلق بقيد. (العلميّة)

(٢) **قوله**: [**الرقبة**] هي الإنسان المملوك. جاء في كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وفي كفارة الظهار: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة:٣]، وفي كفارة اليمين: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ...﴾ [المائدة:٨٩].

في التيمم(١). وتقييد إحباط العمل بالردّة بالموت على الكفر في قوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة:٢١٧] الآية وأطلق في قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥].

وتقييد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام(٢) وأطلق فيما عداها.

فمذهب الشافعيّ حمل المطلق على المقيّد في الجميع.

ومِن العلماء مَن لا يحمله، ويجوز إعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين، كما عند الأحناف.

ويكتفي في التيمم بالمسح إلى الكوعين، ويقول: إنّ الردّة تُحبِط العمل بمجردها. كما عند الإمام مالك وأحمد ومكحول رحمهم الله. كما عند الأحناف.

والثاني(٣): مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفّارة القتل والظهار(٤)، وتقييده بالتفريق في صوم التمتع(٥)، وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان(٦) فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقا ومتتابعا.

---

(١) **قوله**: [**في التيمم**] أي: في آية التيمم وهي قوله تعالى: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء:٤٣، المائدة:٦] .

(٢) **قوله**: [**في الأنعام**] قال الله تعالى في سورة الأنعام، الآية:١٤٥ ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا...﴾ وقال في غيرها: ﴿ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [البقرة:١٧٣، النحل:١١٥] .

(٣) **قوله**: [**والثاني**] أي: إذا لم يجب تقييد الحكم المطلق، بل المطلق على إطلاقه، والمقيّد على تقييده. (العلميّة)

(٤) **قوله**: [**في كفارة القتل والظهار**] في كفارة القتل قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء:٩٢] وفي كفارة الظهار قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ...﴾ [المجادلة:٤].

(٥) **قوله**: [**في صوم التمتع**] أي: من حج متمتعا، وهو من أتى بالعمرة في أشهر الحج ثمّ أحرم بالحج من مكة دون أن يخرج إلى الميقات. قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ...﴾ [البقرة:١٩٦].

(٦) **قوله**: [**كفارة اليمين وقضاء رمضان**] قال تعالى في كفارة اليمين: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ...﴾ [المائدة:٨٩]، وقال تعالى في قضاء رمضان: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ [البقرة:١٨٤-١٨٥].

في منطوقه ومفهومه

أي: في العبارة المنطوق بها.
المنطوق: ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النُطق، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيرَه فالنصُّ نحو: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة:١٩٦].

أو مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا فالظاهر نحو: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة:١٧٣] فإنّ الباغي يُطلَق على الجاهل وعلى الظالم، وهو فيه (أي: في «الظالم».) أظهر وأغلب، ونحو: ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ [البقرة:٢٢٢] فإنّه يقال للانقطاع: طهرٌ، وللوضوء والغسل وهو في الثاني أظهر.

فإن حُمِل على المرجوح لدليلٍ فهو تأويل، ويُسمَّى المرجوحُ المحمولُ عليه مؤوّلا، كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد:٤] فإنّه يستحيل حمل المعيّة على القرب بالذات، فتعيّن صرفُه عن ذلك، وحَملُه على القدرة، والعلم، أو على الحفظ، والرعاية.

وكقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤] فإنّه يستحيل حمله على الظاهر؛ لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحةٌ، فيحمل على الخضوع وحسن الخُلق.

والمفهوم: ما دلّ عليه[1] اللفظُ لا في محلّ النطق، وهو قسمان: مفهوم موافقة[2]، ومفهوم مخالفة.

أي: مفهوم موافقة. والمراد به معنى الخطاب.
فالأوّل: ما يوافق حكمُه المنطوق، فإن كان أَوْلى سمّي «فحوى الخطاب»

---

(١) **قوله:** [ما دلّ عليه...إلخ] وقد يُعرَّف: هو المعنى اللازم للفظ ولم يصرّح به فيه. (العلميّة)

(٢) **قوله:** [مفهوم موافقة] لأنَّ المسكوتَ عنه موافقٌ للملفوظ به. (البحر المحيط، للزركشي)

كدلالة: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣] على تحريم الضرب لأنّه أشدّ، وإن كان مساويا سمّي «لحن الخطاب[١]»، أي معناه، كدلالة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء:١٠] على تحريم الإحراق لأنّه مساوٍ للأكل في الإتلاف.

أي: مفهوم مخالفة.

والثاني: ما يخالف حكمه المنطوق. وهو أنواع:

مفهومُ صفةٍ نعتا كان أو حالا أو ظرفا أو عددا نحو: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦] مفهومه: أنّ غير الفاسق لا يجب التبيَّن في خبره، فيجب قبول خبر الواحد العدل.

وشرطٍ نحو: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ [الطلاق:٦] أي: فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهنّ.

وغايةٍ نحو: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠] أي: فإذا نكحتْه فإنّها تحلّ للأوّل بشرطه.

وحصرٍ نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [طه:٩٨] أي: فغيرُه ليس بإله. ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ [الشورى:٩] أي: فغيره ليس بولي. ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [آل عمران:١٥٨] أي: لا إلى غيره، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة:٤] أي: لا غيرك.

---

(١) **قوله**: [لحن الخطاب] حكَى المَاورديّ والرُويَانيّ في باب القضاء في الفرق بين الفحوى ولحن الخطاب وجهين: أحدهما: أنَّ الفحوى: ما نبّه عليه اللفظ، واللحنَ: ما لاح في أثناء اللفظ. والثاني: الفحوى: ما دلّ على ما هو أقوى منه، ولحن القول: ما دلّ على مثله. (البحر المحيط في أصول الفقه، لمحمد بن بهادر الزركشي).

واختُلِف في الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة، والأصحّ في الجملة[١] أنّها كلُّها حجّة بشروطٍ تُطلَب في كتب الأصول.

(١) **قوله**: [**والأصحّ في الجملة...إلخ**] اعلمْ أنّ الاستدلال بمفهوم مخالفة يجوّزه الإمام الشافعي، ولم يجوّزْه أبو حنيفة وأصحابه وجماعةٌ من المالكية وابن داود وابن سريج والقفّال وابن الباقلاني وأبو المعالي الجوينيّ والغزالي والشاشي وأكثر المعتزلة والإمام فخر الدين فى "المحصول" و"المنتخب"، وأبو الحسن التميمي من أصحاب الحنابلة، والآمدى، وقال فى الانتصار فى مسألة الولي هو إحدى الروايتين عن أحمد وذكره فى التمهيد عن أكثر المتكلمين. (القواعد والفوائد الأصوليّة، لعلي بن عباس البعلي الحنبلي بتصرّف)

في وجوه مخاطباته

قال ابن الجوزي في كتابه "النفيس": الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها.

وقال غيره: على أكثر من ثلاثين وجها: ونذكر بعضها:

أحدها: خطاب العامّ، والمراد به العموم، كقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الروم:٤٠].

والثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصوص، كقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة:٦٧].

الثالث: خطاب العام والمراد به الخصوص، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، لم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

الرابع: خطاب الخاص والمراد العموم، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق:١] افتتح الخطابَ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والمراد سائر من يملك الطلاق، وقولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب:٥٠] الآية. قال أبو بكر الصيرفيّ: كان ابتداء الخطاب له، فلمّا قال في الموهوبة: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ [الأحزاب:٥٠] عُلِم أنّ ما قبلها له ولغيره.

الخامس: خطاب الجنس، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾.

السادس: خطاب النوع، نحو: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة:٤٠].

السابع: خطاب العين، نحو: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة:٣٥].

﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ [هود:٤٨]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٥] ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [النمل:١٠]، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، ولم يقع

في القرآن الخطاب بـ"يا محمد" بل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ تعظيما له وتشريفا وتخصيصا له بذلك عمّا سواه وتعليما للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه.

الثامن: خطاب المدح، نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة:١٠٤] ولهذا وقع خطابا لأهل المدينة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ [الأنفال:٧٤].

التاسع: خطاب الذمّ، نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [التحريم:٧]، ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١].

العاشر: خطاب الكرامة، كقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾.

الحادي عشر: خطاب الإهانة، نحو: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [الحجر:٣٤]، ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

الثاني عشر: خطاب التهكّم، نحو: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]. التهكُّم: الاستهزاء، والتكبُّر.

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد، نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦].

الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع، نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ [المؤمنون:٥١-٥٤] فهو خطاب له صلّى اللهعليهوسلّم وحدَه، إذ لا نبي معه ولا بعده.

وكذا قوله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ...﴾ [النحل:١٢٦] الآية. خطاب له صلّىالله عليهوسلّم وحدَه بدليل قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ...﴾ [النحل:١٢٧] الآية.

وكذا قوله: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ [هود:١٤] بدليل قوله: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ﴾ [هود:١٣].

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الاثنين، نحو: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق:٢٤]، والخطاب لمالك خازن النار، وقيل: لخزنة النار والزبانية فيكون مِن خطاب الجمع بلفظ الاثنين، وقيل: للمَلَكين الموكَّلين به في قوله: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق:٢١].

السادس عشر: خطاب الاثنين بلفظ الواحد، كقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٤٩] أي: ويا هارون.

ومثله: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه:١١٧] قال ابن عطية: أفرده بالشقاء، لأنّه المخاطب أوّلا والمقصود في الكلام.

السابع عشر: خطاب الاثنين بلفظ الجمع، كقوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ [يونس:٨٧].

فائدة:

قال بعضهم: خطاب القرآن ثلاثة أقسام.

قسمٌ لا يصلح إلّا للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وقسمٌ لا يصلح إلّا لغيره عليه الصلاة والسلام. وقسمٌ لهما.

في حقيقته ومجازه

جمع «الحقيقة».

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن، وهي كلّ لفظ بقي على موضوعه، ولا تقديم فيه ولا تأخير، وهذا أكثر الكلام.

وأمّا المجاز: فالجمهور أيضا على وقوعه فيه، وأنكره جماعة، منهم: الظاهريّة وابن القاصّ مِن الشافعيّة وابن خويز منداد من المالكيّة.

وشُبهَتُهم أنّ المجازَ أخو الكذب والقرآنَ منزّه عنه، وأنّ المتكلّم لا يعدل إليه إلّا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى.

وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتّفق البلغاء على أنّ المجاز أبلغ مِن الحقيقة. ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها.

والمجاز قسمان:

الأوّل: المجاز في التركيب، ويسمّى مجاز الإسناد، والمجاز العقليّ. وعلاقته الملابسة، وذلك أن يسند الفعلُ أو شِبهُه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢] نُسِبت الزيادة -وهي فعل الله- إلى الآيات لكونها سببا لها.

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص:٤]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى﴾ [المؤمن:٣٦] نُسِب الذبحُ -وهو فعل الأعوان- إلى فرعون، والبناءُ -وهو فعل العَمَلَة- إلى هامان لكونهما آمرَين به.

وكذا قوله: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨] نُسِب الإحلال إليهم لتسبّبهم في كفرهم بأمرهم إياهم به.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٧] نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقة:٢١] أي: مرضية.

القسم الثاني: المجاز في المفرد، ويسمّى المجاز اللغوي، وهو استعمال اللفظ في غير ما وُضِع له أوّلا. وأنواعه كثيرة.

أحدها: الحذف نحو: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أي: أهلها.

الثاني (أي: النوع الثاني): الزيادة نحو: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١] أي: ليس مثله شيء وفيه نظر.

الثالث: إطلاق اسم الكلّ على الجزء نحو: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:١٩] أي: أناملهم، ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار، فكأنهم جعلوا الأصابع، ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ﴾ [المنافقون:٤] أي: وجوههم، لأنه لم ير جملتهم.

الرابع: عكسه نحو: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] أي: ذاته، ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤] أي: ذواتكم إذ الاستقبال يجب بالصدر. ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ﴾ [الغاشية:٨]، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ [الغاشية:٢-٣] عبر بالوجوه عن جميع الأجساد؛ لأنّ التنعم والنصب حاصل لكلّها. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج:١٠]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [آل عمران:١٨٢] أي: قدمت وكسبت، ونُسِب ذلك إلى الأيدي؛ لأنّ أكثر الأعمال تزاول بها.

الخامس: إطلاق اسم الخاص على العام، نحو: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[الشعراء:١٦] أي: رُسُله.

السادس: عكسه نحو: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥] أي: المؤمنين بدليل قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر:٧].

السابع: تسمية الشيء باسم ما كان عليه نحو: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:٢] أي: الذين كانوا يتامى؛ إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ. ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٢] أي: الذين كانوا أزواجهن، ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ [طه:٧٤] سمّاه مجرما باعتبار ما كان في الدنيا من الإجرام.

الثامن: تسميته باسم ما يؤول إليه نحو: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف:٣٦] أي: عنبا يؤول إلى الخمرية، ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٧] أي: صائرا إلى الكفر والفجور، ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠] سمّاه زوجا لأنّ العقد يؤول إلى زوجيّة، لأنّها لا تنكح (أي: لا توطأ من قبل العقد.) إلّا في حال كونه زوجا.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣] وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم.

التاسع: إطلاق اسم الحالّ على المحلّ نحو: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧] أي: في الجنّة لأنّها محلّ الرحمة. ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾ [سبأ:٣٣] أي: في الليل. ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ [الأنفال:٤٣] أي: في عينك على قول الحسن(١).

---

(١) **قوله:** [**على قول الحسن**] قال الألوسي في تفسيره "روح المعاني": «وعن الحسن أنه فسّر المنام بالعين؛ لأنها مكان النوم، كما يقال للقطيفة المنامة؛ لأنها ينام فيها فلم تكن عنده هناك رؤيا أصلاً بل كانت رؤية». والجمهور على أنه كان في الرؤيا. (العلميّة)

العاشر: تسمية الشيء باسم آلته نحو: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] أي: ثناء حسنا لأنّ اللسان آلته، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤] أي: بلغة قومه.

الحادي عشر: تسمية الشيء باسم ضدّه نحو: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق:٢٤]. والبشارة حقيقة في الخبر السارّ.

الثاني عشر: إطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربته وإرادته نحو: ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ [الطلاق:٢] أي: قاربن بلوغ الأجل، أي: انقضاء العدّة لأنّ الإمساك لا يكون بعده وهو في قوله: ﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٢] حقيقة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] أي: فإذا قرب مجيئه.

﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ...﴾ [النساء:٩] الآية، أي: لو قاربوا أن يتركوا خافوا؛ لأنّ الخطاب للأوصياء، وإنّما يتوجّه إليهم قبل الترك؛ لأنّهم بعده أموات. ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ﴾ [المائدة:٦] أي: أردتم القيام.

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ﴾ [النحل:٩٨] أي: أردت القراءة، لتكون الاستعاذة قبلها. ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ [الأعراف:٤] أي: أردنا إهلاكها، وإلّا لم يصحّ العطف بالفاء.

الثالث عشر: إقامة صيغة مقام أخرى، وتحته أنواع كثيرة:

ومنها: إطلاق فاعل على مفعول نحو: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق:٦] أي: مدفوق. ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣] أي: لا معصوم، ﴿جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا﴾ [العنكبوت:٦٧] أي: مأمونا فيه.

وعكسه نحو: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم:٦١] أي: آتيا ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥] أي: ساترا. وقيل: هو على بابه، أي: مستورا على العيون لا يحسّ به أحد.

ومنها: إطلاق واحد من المفرد والمثنى والجمع على آخر منها:

مثال إطلاق المفرد على المثنى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢] أي: يرضوهما، فأفرد لتلازم الرضاءين.

وعلى الجمع، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢] أي: الأناسي بدليل الاستثناء منه، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩] بدليل ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج:٢٢].

ومثال إطلاق المثنى على المفرد: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق:٢٤] أي: ألق.

ومنه كلّ فعلٍ نُسِب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط، نحو: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢] وإنّما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦] أي: في إحداهنّ، ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف:٦١] والناسي يوشع بدليل قوله لموسى: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف:٦٣] وإنّما أضيف النسيان إليهما معا لسكوت موسى عنه، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة:٢٠٣] والتعجيل في اليوم الثاني.

ومثال إطلاقه على الجمع: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك:٤] أي: كرات؛ لأنّ البصر لا يحسر إلّا بها. ↰أي: إطلاق المثنى.

ومثال إطلاق الجمع على المفرد، ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون:٩٩] أي: ارجعني.

ومنها: إطلاق الماضي على المستقبل لتحقّق وقوعه، نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] أي: الساعة بدليل ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر:٦٨].

﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ...﴾ [المائدة:١١٦] الآية.

وعكسه، لإفادة الدوام والاستمرار فكأنّه وقع واستمرّ نحو: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ﴾ [البقرة:٤٤]، ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: تَلَتْ، ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ﴾ [الحجر:٩٧] أي: علمنا، ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [النور:٦٤] أي: علم، ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩١] أي: قتلتم.

في الحصر والاختصاص

أمّا الحصر -ويقال له القصر- فهو تخصيص أمر بأمر آخر بطريق مخصوص. ويقال أيضا: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه.

وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف. وكلّ منهما إمّا حقيقيّ وإمّا مجازيّ.

مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقيا نحو: «ما زيد إلّا كاتب» أي: لا صفة له غيرها، وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية، وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها. ولذا لم يقع في التنزيل.

ومثاله مجازيا نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران:١٤٤] أي: أنّه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموه والذي هو من شأن الإله.

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

ومثاله مجازيا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ [الأنعام:١٤٥] الآية، هذه الآية ظاهرها يدلّ على أنّ المحرمات محصورة في المذكورات. وهذا الظاهر غير مراد؛ لأنّ هناك كثيرا من المحرمات غير مذكور في الآية مثل الخمر وغيره من المسكرات ولحم كلّ ذات نابٍ.

ولذلك قال العلماء: إنّ القصر فيها مجازي، وإنّه مقيّد بسبب نزول الآية، وقد بيّن الإمام الشافعي هذه المسألة بيانا شافيا وخلاصته: إنّ الكفّار لمّا كانوا

يحلّون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به وكانوا يحرمون كثيرا من المباحات، وكانت سجيَّتُهم تخالف وضع الشرع نزلت الآية مبينة الحال الذي هم عليه ومقتصرة على ذلك بأسلوب الحصر تأكيدا لردّ قولهم وتوضيحا لكذبهم فكأنّه قال: لا حرام إلّا ما أحللتموه، والغرض الردّ عليهم والمضادَّة لا الحصر الحقيقي.

وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين.

فالأول: يُخَاطَب به من يعتقد الشركة نحو: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الأنبياء:١٠٨] خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام في الألوهيّة.

والثاني: يُخَاطَب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلّمُ له نحو: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨] خوطب به نمرود الذي اعتقد أنّه هو المحيي المميت دون الله.

والثالث: يُخَاطب به مَن تساوى عنده الأمران[1].

طرق الحصر كثيرة:

أحدها: النفي والاستثناء سواء كان النفي بـ«لا» أو «ما» أو غيرهما. والاستثناء بـ«إلّا» أو «غير»، نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل‌عمران:٦٢]، ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ [المائدة:١١٧].

الثاني «إنّما» الجمهور على أنّها للحصر.

---

(١) **قوله:** [**مَن تساوى عنده الأمران**] فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها. (الإتقان)

منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ [البقرة:١٧٣]

ومنها: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف:٢٣]، ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [هود:٣٣].

الثالث «أنّما» بالفتح عدّها من طرق الحصر الزمخشريُّ والبيضاويُّ فقالا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء:١٠٨] هي للحصر.

الرابع: تقديم المعمول نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٤] أي: لا غيرك، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران:١٥٨] وخالف فيه قوم.

السادس: ضمير الفصل نحو: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشورى:٩] أي: لا غيره ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

ما جاء في القرآن من الإيجاز والإطناب

اعلم أنّهما من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب "سرّ الفصاحة" عن بعضهم أنّه قال: «البلاغة هي الإيجاز والإطناب».

واختلفت ألفاظ العلماء في تعريف الإيجاز والإطناب.

فقال بعضهم: الإيجاز: هو أداء المقصود بأقلّ من العبارة المتعارف عليها.

والإطناب: أداؤه بأكثر منها؛ لكون المقام خليقا بالبسط.

وقال بعضهم: الإيجاز: التعبير عن المراد بلفظ ناقص وافٍ لفائدة.

والإطناب: بلفظ زائد لفائدة. وهو أخصّ من «الإسهاب».

فإنّ الإسهاب: التطويل لفائدة أو لا لفائدة.

أنواع الإيجاز:

والإيجاز قسمان: الأول: إيجاز القصر، وهو: الوجيز بلفظه كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١] جمع في أحرف العنوان والكتابة والحاجة. ومنه ما يسمّى: الإيجاز الجامع: وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعدّدة نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ...﴾ [النحل:٩٠] الآية، فإنّ العدلَ هو الصراط المستقيم المتوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط المومى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية. والإحسانَ هو الإخلاص في واجبات العبودية؛ لتفسيره في الحديث بقوله: ((أنْ تعبد الله كأنّك تراه))[1] أي: تعبده مخلصا في نيتك، وواقفا في الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى، ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠] هو الزيادة على الواجب

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام.

من النوافل، هذا في الأوامر.

وأمّا النواهي في قوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل:٩٠] فبالفحشاء الإشارةُ إلى القوّة الشهوانيّة، وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبيّة وكلّ محرم شرعا، وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهميّة، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «ما في القرآن آية أجمع للخير والشرّ مِن هذه الآية»، أخرجه في المستدرك.

ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩] فإنّ معناه كثير، ولفظه قليل؛ لأنّ معناه أنّ الإنسان إذا علم أنّه متى قَتَل قُتِلَ، كان ذلك داعيا إلى ألّا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثيرٌ مِن قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياة لهم. ↰فاعل "فارتفع".

وقد فُضِّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل» بعشرين وجها أو أكثر، وقد أشار ابن الأثير إلى إنكار هذا التفضيل وقال: لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وإنّما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم.

مِن ذلك: الأول: أنّ ما يناظره من كلامهم وهو قوله: ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أقلّ حروفا فإنّ حروفه عشرة، وحروف «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر.

الثاني: أنّ نفي القتل لا يستلزم الحياة، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه.

الثالث: أنّ تنكير «حياة» يفيد تعظيما، فيدلّ على أنّ في القصاص حياة متطاولةً كقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦] ولا

كذلك المَثَل؛ فإنّ «اللام» فيه للجنس ولذا فسّروا الحياة فيها بالبقاء.

الرابع: أنّ الآية خالية من تكرار لفظ «القتل» الواقع في المثل، والخالي من التكرار أفضل من المشتمل عليه، وإن لم يكن مخلّا بالفصاحة.

الخامس: أنّ الآية فيه مطَّرِدة بخلاف المثل، فإنّه ليس كل قتل أنفى للقتل، بل قد يكون أدعى له وهو القتل ظلما، وإنّما ينفيه قتل خاص وهو القصاص، ففيه حياة أبدا.

والقسم الثاني: إيجاز الحذف. وأسبابه:

منها: مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره.

ومنها: التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأنّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهمّ، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣] فـ«ناقة الله» تحذيرٌ بتقدير «ذروا»، «وسقياها» إغراءٌ بتقدير «الزموا».

ومنها: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، ومنه: قوله في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣] فحذف الجواب؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوسُ تقدّر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كُنْهَ ما هنالك.

وكذا قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام:٢٧] أي: لرأيت أمرا فظيعا لا تكاد تحيط به العبارة.

ومنها: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء نحو:

﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ﴾ [يوسف:٢٩].

ومنها: صيانته عن ذكره تشريفا كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ. . .﴾ [الشعراء:٢٣-٢٤] الآيات، حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرب أي: «هو رب» «الله ربكم» «الله رب المشرق» لأنّ موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما.

ومنها: صيانة اللسان عنه تحقيرا له، نحو: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ﴾ [البقرة:١٨] أي: هُمْ أو المنافقون.

ومنها: قصد العموم نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٤] أي: على العبادة، وعلى أمورنا كلِّها، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥] أي: كلَّ واحد.

ومنها: رعاية الفاصلة نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣] أي: وما قلاك.

ومنها: قصد البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة نحو: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ﴾ [النحل:٩] أي: ولو شاء هدايتكم.

وأمّا الإطناب فإنّه يكون بأمور:

منها: الإيضاح بعد الإبهام نحو: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه:٢٥] فإنّ «اشرح لي» يفيد طلب شرح شيء ما له، «وصدري» يفسِّره والمقام يقتضي التأكيد للإرسال المؤذن بتلقي الشدائد، وكذا ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١] فإنّ المقام يقتضي التأكيد لأنّه مقام امتنان وتفخيم.

ومنها: عطف الخاص بعد العامّ، وفائدته: التنبيه على فضله حتى كأنّه

ليس من جنس العامّ تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. ومِن أمثلته: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ. . .﴾ [البقرة:٩٨].

ومنها: عطف العام على الخاص، وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ. والفائدة فيه واضحة، وهو التعميم. وأفرد الأوّل بالذكر اهتماما بشأنه، ومِن أمثلته: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام:١٦٢] والنسك العبادة فهو أعم. ﴿ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧].

في تشبيهه واستعاراته

التشبيه: نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها.

قال المبرد في "الكامل": لو قال قائل: هو أكثر كلام العرب لم يبعد، وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف "أبو القاسم بن البندار البغداديّ" في كتاب سمّاه "الجُمَان".

وعرّفه جماعة، ومنهم السكاكي بأنّه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى. (أي: عرّف التشبيه.)

وأدواته: حروف وأسماء وأفعال.

فالحروف: كـ«الكاف» نحو «كرماد» مِن قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم:١٨]، و«كأنّه» نحو: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٥].

والأسماء كـ«مثل وشبه» ونحوهما مما يشتقّ من المماثلة والمشابهة، قال الطيبي: ولا تستعمل «مثل» إلّا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة. نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران:١١٧].

والأفعال نحو: ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ [النور:٣٩]، ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه:٦٦].

الاستعارة القرآنيّة:

الاستعارة: هي اللفظ المستعمل فيه شبه بمعناه الأصلي.

وقال بعضهم: حقيقة الاستعارة: أنْ تُستَعار الكلمةُ مِن شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها. وحكمة ذلك إظهار الخفيّ وإيضاح الظاهر الذي ليس

بجليّ أو حصول المبالغة أو المجموع.

مثال إظهار الخفيّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف:٤] فإنّ حقيقته: «وإنّه في أصل الكتاب» فاستعير لفظ الأمّ للأصل؛ لأنّ الأولاد تنشأ من الأمّ كإنشاء الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا، فينتقل السامع مِن حدّ السماع إلى حدّ العيان، وذلك أبلغ في البيان.

ومثال إيضاح ما ليس بجليّ ليصير جليّا قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء:٢٤] فإنّ المراد أمر الولد بالذلّ لوالديه رحمة، فاستعير للذلّ أوّلا جانبٌ ثمّ للجانب جناحٌ، وتقدير الاستعارة القريبة: «واخفض لهما جانب الذل» أي: اخفض جانبك ذلّا.

وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئيا لأجل حسن البيان. ولمّا كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذلّ لهما والاستكانة ممكنا احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ مِن الأُولى فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب لأنّ مَن يميل جانبه إلى جهة السفل أدنى ميل صدق عليه أنّه خفض جانبه، والمراد خفض بلصق الجانب بالأرض ولا يحصل ذلك إلّا بذكر الجناح كالطائر.

ومثال المبالغة قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر:١٢] وحقيقته: «وفجرنا عيون الأرض» ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما في الأوّل المشعر بأنّ الأرض كلَّها صارت عيونا.

في كناياته وتعريضه

هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة، والكناية أبلغ من التصريح، وعرّفها أهل البيان بأنّها لفظ أريد به لازم معناه. وللكناية أساليب.

أحدها: التنبيه على عظم القدرة نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف:١٨٩] كناية عن آدم.

ثانيها: أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره. ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول والسرّ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة:٢٣٥].

ثالثها: قصد البلاغة والمبالغة نحو: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:١٨] كنى عن النساء بأنّهنّ ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني، ولو أتى بلفظ «النساء» لم يشعر بذلك والمراد نفي ذلك عن الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] كناية عن سعة جوده وكرمه جدّا.

رابعها: قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعدّدة بلفظ «فعل»، نحو: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩]، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة:٢٤] أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله.

خامسها: التنبيه على مصيره، نحو قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: جهنمي مصيره إلى اللهب، ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ﴾ أي: نمّامة مصيرها إلى أن تكون حطبا لجهنّم في جيدها غلّ.

التعريض:

أمّا التعريض فهو قريب من الكناية والفرق بينهما دقيق.

قال الحافظ السيوطيّ: للناس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة.

فقال الزمخشريّ: الكناية: ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له.

والتعريض: أن تذكر شيئا يدلّ به على شيء لم تذكره.

وقال السكاكيّ: التعريض: ما سيق لأجل موصوف غير مذكورٍ.

ومنه: أن يخاطب واحد ويراد غيره.

أي: من التعريض.

ومنه[1]: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾ [البقرة:٢٥٣] أي: محمدا صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم إعلاءً لقدره أي: أنّه العَلَم الذي لا يشتبه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس:٢٢] أي: وما لكم لا تعبدون بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:٢٢] وكذا قوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [يس:٢٣]. ووجه حُسْنِه: إسماع من يقصد خطابه الحقّ على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرّح بنسبته للباطل والإعانة على قبوله إذ لم يرد له إلّا ما أراده لنفسه.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] خوطب النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا.

---

(١) **قوله**: [**ومنه**] أي: ومن مثال أن يخاطب واحد ويراد غيره. وهذا الكلام من الطيبي وبيّن فيه فوائد وعلل التعريض كما ذكره السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن" وكلامه: «قال الطيبي: وذلك يفعل إمّا لتنويه جانب الموصوف ومنه: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾ أي: محمدا إعلاء لقدره أي أنه العلم الذي لا يشتبه. وإمّا لتلطف به واحتراز عن المخاشنة نحو: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وما لكم لا تعبدون بدليل قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾...».

في الخبر والإنشاء

اعلم أنّ الحذّاق مِن النُّحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما، وأنّه ليس له قسم ثالث.

والخبر هو الذي يدخله الصدق والكذب. والإنشاء بخلافه. والقصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يَرِدُ بمعنى الأمر، نحو: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة:٢٣٣] ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وبمعنى النهي نحو: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩].

وبمعنى الدعاء نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٤] أي: أعِنّا،

ومنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [اللهب:١] فإنّه دعاء عليه. وكذا:

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة:٦٤] وجعل منه قوم:

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء:٩٠] قالوا: هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد.

فصل:

من أقسام الإنشاء: الاستفهام وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار. وأدواته: "الهمزة" و"هَل" و"ما" و"مَن" و"أي" و"كم" و"كيف" و"أين" و"أنى" و"متى" و"أيان". ويَرِدُ الاستفهام لمعان متعدّدة: الأوّل: الإنكار، والمعنى فيه على النفي وما بعده منفيّ؛ ولذلك تصحبه «إلّا» كقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥].

﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧]، وعطف عليه المنفيّ في قوله: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم:٢٩] أي: لا يهدي.

ومنه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]، ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون:٤٧] أي: لا نؤمن. ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور:٣٩]، ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:٢١] أي: لا يكون هذا، ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف:١٩] أي: ما شهدوا ذلك.

وكثيرا ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى «لم يكن» وفي المستقبل بمعنى «لا يكون» نحو ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ...﴾ [الإسراء:٤٠] الآية أي: لم يفعل ذلك. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود:٢٨] أي: لا يكون هذا الإلزام.

الثاني: التوبيخ ويعبّر عن ذلك بالتقريع[1] أيضا، نحو: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه:٩٣]، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥]، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات:١٢٥].

يسمّى استفهاماً توبيخيّاً، أو تقريعيّاً.

التَوبيخُ: التهديد والتأنيب.

وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت ووبخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع، كقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر:٣٧]، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء:٩٧].

الثالث: التقرير وهو حمل المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده.

يُسمّى استفهاماً تقريريّاً.

والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب.

---

(١) **قوله:** [**بالتقريع**] توجيه اللّوم والعتاب الشديد الموجع، وأصلُ القَرع الضَّربُ. (العلميّة)

فالأوّل كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الم نشرح:٢-١]، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ﴾ [الضحى:٧-٦]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ﴾ [الفيل:٣-٢].

والثاني نحو: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ [النمل:٨٤] على ما قرّره الجرجاني من جعلها مثل: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

وحقيقة استفهام التقرير أنّه استفهام إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفيّ إثبات، ومن أمثلته: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] وجعل منه الزمخشري: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦].

الرابع: التعجّب أو التعجيب نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨]، ﴿مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل:٢٠]. يُسمَّى استفهاماً تَعجبيًّا

وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ [البقرة:٤٤]. قال الزمخشري: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم. ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقي: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ [البقرة:١٤٢].

الخامس: العتاب كقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]. ومن ألطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٣].

السادس: التذكير وفيه نوع اختصار، كقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ [يس:٦٠]، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٣٣]، ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:٨٩].

السابع: الافتخار نحو: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف:٥١].

الثامن: التفخيم نحو: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف:٤٩].

التاسع: التهويل والتخويف، نحو: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة:١-٢]، ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١-٢].

العاشر: عكسه وهو التسهيل والتخفيف، نحو: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟﴾ [النساء:٣٩].

الحادي عشر: التهديد والوعيد نحو: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات:١٦].

الثاني عشر: التسوية، وهو الاستفهام الداخل على جملة يصحّ حلولُ المصدر محلَّها[١] نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦].

الثالث عشر: الأمر نحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران:٢٠] أي: أسلموا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١] أي: انتهوا، ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠] أي: اصبروا.

الرابع عشر: التنبيه وهو من أقسام الأمر نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان:٤٥] أي: انظر.

الخامس عشر: الترغيب نحو: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥]، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ [الصف:١٠].

---

(١) **قوله:** [**حلول المصدر محلّها**] كما في الآية: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي: استوى إنذارهُمْ وعَدَمُهُ. (العلميّة)

السادس عشر: النهي نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة:١٣] بدليل: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] أي: لا تغتر.

السابع عشر: الدعاء وهو كالنهي، إلّا أنّه من الأدنى إلى الأعلى نحو: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [الأعراف:١٥٥] أي لا تهلكنا.

الثامن عشر: الاسترشاد نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠]. إلى غير ذلك من المعاني.

فصل:

مِن أقسام الإنشاء الأمرُ وهو طلب فعل غير كفّ أي: ترك، وصيغته «افعل» و«ليفعل» وهي حقيقةٌ في الإيجاب، نحو: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام:٧٢]، ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ [النساء:١٠٢].

وتَرِدُ مجازا لمعان أُخَر:

منها: الندب نحو: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

والإباحة: نحو: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور:٣٣] نصّ الشافعيُّ على أنّ الأمر فيه للإباحة، ومنه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة:٢].

والدعاء من السافل للعالي نحو: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف:١٥١].

والتهديد نحو: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠] إذ ليس المراد الأمر بكلّ عملٍ شاءوا.

والإهانة نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩].

والتسخير: أي: التذليل نحو: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ [البقرة:٦٥] عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم، فهو أخصّ من الإهانة.

والتعجيز نحو: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] إذ ليس المراد طلب ذلك منهم، بل إظهار عجزهم.

والامتنان نحو: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام:١٤١].

والعجب نحو: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء:٤٨].

والتسوية نحو: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ [الطور:١٦].

والإرشاد نحو: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢].

والاحتقار نحو: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس:٨٠].

والإنذار نحو: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ [إبراهيم:٣٠].

والإكرام نحو: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [ق:٣٤].

والإنعام أي: تذكير النعمة نحو: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٤٢].

والتكذيب نحو: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ [آل عمران:٩٣]، ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ [الأنعام:١٥٠].

والمشورة نحو: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات:١٠٢].

والاعتبار نحو: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام:٩٩].

فصل:

ومِن أقسامه: النهيُ وهو طلب الكفّ عن فعل. وصيغته: «لا تفعل» وهي حقيقةٌ في التحريم.

وتَرِدُ مجازا لمعانٍ:

منها: الكراهة، نحو: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧].

والدعاء نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ [آل‌عمران:٨].

والإرشاد نحو: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة:١٠١].

والتسوية نحو: ﴿أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ [الطور:١٦].

والاحتقار والتقليل نحو: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ...﴾ [الحجر:٨٨] الآية، أي: فهو قليل حقير.

وبيان العاقبة نحو: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [آل‌عمران:١٦٩] أي: عاقبة الجهاد الحياة لا الموت.

واليأس نحو: ﴿لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾ [التوبة:٩٤].

والإهانة نحو: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

في فَواتِح السُوَر

اعلم أنّ الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها.

الأوّل: الثناء عليه تعالى: «التحميد» في خمس سور، و«تبارك» في سورتين، و«التسبيح» في سبع سور.

الثاني: حروف التهجي في تسع وعشرين سورة.

الثالث: النداء في عشر سور: خمس بنداء الرسول صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم: الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزمل، والمدثر.

وخمس بنداء الأمة: النساء والمائدة والحجّ والحجرات والممتحنة.

الرابع: الجُمَل الخبريّة نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الانفال:١]، ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١] ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١]، ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ [الأنبياء:١].

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور:١]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزمر:١]، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [محمد:١]، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ [الفتح:١]، ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ﴾ [الرحمن:١-٢]، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:١]، ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة:١]، ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج:١]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح:١]، ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ في موضعين[1] ﴿عَبَسَ﴾ [عبس:١]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر:١]، ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ [البينة:١] ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١]، ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ [التكاثر:١]، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ [الكوثر:١] فتلك ثلاث وعشرون سورة.

---

(١) **قوله:** [في موضعين] أي: في سورة القيامة وسورة البلد. (العلميّة)

الخامس: القَسم في خمس عشرة سورة، سورة أقسم فيها بالملائكة وهي: والصافات، وسورتان بالأفلاك: البروج والطارق. وستّ سور بلوازمها، فالنجم (أي: بلوازم الأفلاك.) قسم بالثريا، والفجر بمبدأ النهار، والشمس بآية النهار، والليل بشطر الزمان، والضحى بشطر النهار، والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان، وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر: والذاريات والمرسلات. وسورة بالتربة التي هي منها أيضا، وهي: الطور. وسورة بالنبات، وهي: والتين. وسورة بالحيوان الناطق، وهي: والنازعات. وسورة بالبهيم، وهي: والعاديات .

قلتُ: إنْ قلنا بأنّ «لا» في القيامة والبلد صلة فهما قسم بيوم القيامة والنفس اللوّامة ومكّة ووالد وما ولد.

السادس: الشرط في سبع سور: الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر.

السابع: الأمر في ستّ سور: ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ [الجن:١]، ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق:١]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ المعوّذتين [الفلق والناس].

الثامن: الاستفهام في ستّ سور: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الإنسان:١] ، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ:١]، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ [الغاشية:١]، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الم نشرح:١]، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الفيل:١]، ﴿أَرَءَيْتَ﴾ [الماعون:١].

التاسع: الدعاء في ثلاث: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة]، ﴿تَبَّتْ﴾ [اللهب:١].

العاشر: التعليل في ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١].

في خَواتِم السُوَر

هي أيضا مثل الفواتح في الحُسن؛ لأنّها آخر ما يقرع الأسماعَ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوّفٌ إلى ما يُذكَر بعد؛ لأنّها بين "أدعية" و"وصايا" و"فرائض" و"تحميد" و"تهليل" و"مواعظ" و"وعد" و"وعيد" إلى غير ذلك:

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسبّبة لغضب الله والضلال، ففصَّل جملة ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧].

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران.

والفرائضِ التي ختمت بها سورة النساء، وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كلّ حيٍّ، ولأنّها آخر ما أنزل من الأحكام.

وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة.

وكالوعد والوعيد الذي ختمت به الأنعام.

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف.

وكالحضّ على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال.

وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذي ختمت به براءة.

وتسليته عليه الصلاة والسلام الذي ختمت به يونس، ومثلها خاتمة هود.

ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به يوسف.

والردّ على مَن كذب الرسول الذي ختم به الرعد.

ومِن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ...﴾ الآية،

[إبراهيم:٥٢] ومثلها خاتمة الأحقاف، وكذا خاتمة الحجر بقوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] وهو مفسَّر بالموت؛ فإنّها في غاية البراعة.

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بُدِئت بأهوال القيامة وختمت بقوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وانظر براعة آخر آية نزلت، وهي قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة.

وكذلك آخر سورة نزلت وهي سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: ((أنّ عمر سألهم عن قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١] فقالوا: فتح المدائن والقصور، قال ما تقول يا بن عباس؟ قال: أجل ضُرِب لمحمد صلّى الله عليه وسلّم نُعِيت له نفسه))[1].

وأخرج أيضا عنه قال: ((كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضَهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنّه من قد علمتم، ثم دعاهم ذات يوم، فقال: ما تقولون في قول الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؟ فقال بعضهم: أَمَرَنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نَصرَنا وفتح علينا، وسكت بعضُهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذلك تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلتُ: هو أجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعلمه به، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:٣] فقال عمر: إني لا أعلم منها إلّا ما تقول))[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

في مناسبة الآيات والسُوَر

المناسبة في اللّغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عامّ أو خاصّ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنيّ، كالسبب والمسبّب والعلّة والمعلول والنظيرين والضدّين ونحوه.

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء. وقد أفرده بالتأليف العلامة ابو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيّان في كتاب سمّاه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" ومِن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعيّ في كتاب سمّاه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وللسيوطي جزء لطيف سمّاه "تناسق الدرر في تناسب السور".

وعلم المناسبة علم شريف، قلّ اعتناءُ المفسّرين به لدقّته، وممّن أكثر فيه الإمام فخر الدين وقال في تفسيره: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط».

وقال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حَسَن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومَن ربط ذلك فهو متكلّف بما لا يقدر عليه إلّا بربط ركيكٍ، يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نيف وعشرين سَنَةً في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

تنبيه:

مِن الآيات ما أشكلت مناسبتُها لما قبلها:

من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦] الآيات، فإنّ وجه مناسبتها لأوّل السورة وآخرها عسرٌ جدّا؛ فإنّ السورة كلَّها في أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنّه سقط من السورة شيء. وفي الصحيح: أنّها نزلت في تحريك النبي صلّى الله عليه وسلّم لسانه حالة نزول الوحي عليه.

وقد ذكر الأئمّة لها مناسبات:

منها: أنّه تعالى لمّا ذكر القيامة، وكان من شأن مَن يقصِّر عن العمل لها حبُّ العاجلة، وكان من أصل الدين أنّ المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة فنبّه على أنّه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلّ منه وهو الإصغاء إلى الوحي، وتفهُّم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصدّ عن ذلك، فأُمِر بألّا يبادر إلى التحفظ؛ لأنّ تحفيظه مضمون على ربّه، وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه. ثمّ لمّا انقضت الجملة المعترضةُ رجع الكلام إلى ما يتعلّق بالإنسان المبتدأ بذكره ومَن هو من جنسه، فقال ﴿كَلَّا﴾ وهي كلمة ردع، كأنّه قال: «بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومِن ثَمَّ تحبّون العاجلة».

ومنها: أنّ «النفس» لمّا تقدّم ذكرُها في أوّل السورة عدل إلى ذكر «نفس المصطفى»، كأنّه قيل هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس، فلتأخذ بأكمل الأحوال.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩] الآية، فقد يقال: أيّ رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت؟

وأجيب: بأنه من باب الاستطراد، لما ذكر أنها مواقيت للحج، وكان هذا من أفعالهم في الحجّ كما ثبت في سبب نزولها -ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال كما سئل عن ماء البحر فقال: ((هو الطهور ماؤه، الحِلّ ميتته)).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة:١١٥] الآية فقد يقال ما وجه اتّصاله بما قبله وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٤] الآية؟

وقال الشيخ أبو محمد الجوينيّ في تفسيره: سمعت أبا الحسن الدهّان بقول وجه اتصاله، هو أنّ ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق أي: فلا يجرمنّكم ذلك، واستقبلوه فإنّ لله المشرق والمغرب.

في إعجاز القرآن

اعلم أنّ المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي سالم عن المعارضة. وهي إمّا حسّيّة وإمّا عقليّة. وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسّيّة لبلادَتِهم وقلّة بصيرتهم. وأكثر معجزات هذه الأمّة عقليّة لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، ولأنّ هذه الشريعة لمّا كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصّت بالمعجزة العقليّة الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلّى الله عليه وسلّم: ((ما من الأنبياء نبي إلّا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنّما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)) [1] أخرجه البخاري.

قيل: إنّ معناه أنّ معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلّا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرّة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمرّ عصر من الأعصار إلّا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنّه سيكون يدلّ على صحة دعواه.

وقيل: المعنى أنّ المعجزات الواضحة الماضيّة كانت حسِّيّة تشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون مَن يتبعه لأجلها أكثر؛ لأنّ الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كلّ من جاء بعد الأوّل مستمرّا.

ولا خلاف بين العقلاء أنّ كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك.

ولمّا جاء به النبي إليهم وكانوا أفصحَ الفصحاء، ومصاقعَ الخطباء، وتحداهم

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأوّل ما نزل.

على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾ [الطور:٣٤] ثم تحدّاهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ...﴾ [هود:١٣-١٤] ثم تحدّاهم بسورة في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ...﴾ [يونس:٣٨] الآية، ثم كرّر تحدّيهم في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ..﴾ [البقرة:٢٣] الآية، فلمّا عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، هذا وَهُم الفصحاء اللُّدّ، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجّة.

ولم يُنقَل عن أحد منهم أنه حدّث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العِنَاد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: «سحر»، وتارة قالوا: «شعر»، وتارة قالوا: «أساطير الأولين» كل ذلك مِن التحيّر والانقطاع.

يقول الوليد بن المغيرة عن القرآن لمّا سمعه، وطلب منه قومُه أن يقول في شأن القرآن كلمةً ترضيهم: وماذا أقول! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منّي، ولا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر

أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطّم ما تحته.

فصل:
وجه إعجازه

وقال الإمام فخر الدين: وجه الإعجاز الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب.

قال الزَّمْلكَاني: وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاصّ به، لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزِنَةً وعلت مركباته معنى.

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحذّاق في وجه إعجازه: أنه بنظمه وصحّة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وذلك أنّ الله أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كلّه علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي: لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أوّل القرآن إلى آخره، والبشر يعمّهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة. وبهذا يبطل قول من قال: إنّ العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قطّ. ولهذا ترى البليغ ينقّح القصيدة أو الخطبة حولا، ثم ينظر فيها فيغيِّر فيها وهلمَّ جرّا. وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد. ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة.

وقامت الحجّة على العالم بالعرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنّة

المعارضة كما قامت الحجّة في معجزة موسى بالسحرة، وفي معجزة عيسى بالأطباء، فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره فكان السحر قد انتهى في مدّة موسى إلى غايته، وكذلك الطبّ في زمن عيسى، والفصاحة في زمن محمد صلّى الله عليه وسلّم.

تنبيهات:

الأول: اختُلِف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتّفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة، بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشدّ تناسبا ولا اعتدالا في إفادة ذلك المعنى منه. فاختار القاضي المنعَ، وأنّ كلّ كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا، وإن كان بعض الناس أحسن إحساسا له من بعض.

واختار أبو نصر القشيري وغيره التفاوتَ، ففي القرآن الأفصح والفصيح.

الثاني: قيل: الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره، أن القرآن منبع الحق، ومجمع الصدق، وقصارى أمر الشاعر التخييل، بتصوّر الباطل في صورة الحقّ والإفراط في الإطراء، والمبالغة في الذمّ والايذاء دون إظهار الحق وإثبات الصدق، ولهذا نزّه الله نبيَّه عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمّى أصحابُ البرهان القياساتِ المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعريّة.

وقال بعض الحكماء لم يُرَ متديّن صادق اللّهجة مفلقا في شعره.

عناية العلماء بالعلوم المستنبطة من القرآن

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها؟ قال كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم))[١]. أخرجه الترمذي وغيره.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((من أراد العلم فعليه بالقرآن فإنّ فيه خبر الأوّلين والآخرين))[٢]. قال البيهقي: يعني أصول العلم.

وأخرج البيهقي عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتبٍ، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان[٣].

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: جميع ما تقوله الأُمّة شرح للسّنّة، وجميع السُّنَّة شرح للقرآن.

وقال أيضا: جميع ما حكم به النبي صلّى الله عليه وسلّم فهو مما فهمه من القرآن، ويؤيّد هذا قولُه صلّى الله عليه وسلّم: ((إني لا أُحلّ إلّا ما أحلّ الله، ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في كتابه))[٤] أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في "الأمّ".

---

(١) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في فضل القرآن.

(٢) شعب الإيمان: التاسع عشر، باب في تعظيم القرآن، فصل في تعاليم القرآن.

(٣) شعب الإيمان: التاسع عشر، باب في تعظيم القرآن، ذكر فاتحة الكتاب.

(٤) الأمّ: باب صلاة المريض.

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله.

وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى. أخرجهما ابن أبي حاتم[١].

وقال الشافعي أيضا: ليست تنزل بأحد في الدِّين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. فإنْ قيل: من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنة، قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة؛ لأنّ كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وفرض علينا الأخذ بقوله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم.

وقال الشافعي مرّة بمكة: سلوني عمّا شئتم أُخبِركم عنه في كتاب الله، فقيل له: ما تقول في المحرم يقتل الزنبور؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

وحدّثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم أنه قال: ((اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر))[٢].

وحدّثنا سفيان عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب: أنّه أمر بقتل المحرم الزنبور.

وأخرج البخاري عن ابن مسعود أنّه قال: «لعن الله الواشمات والمتوشمات

---

(١) الدرّ المنثور: سورة طه، الآية:٤٧.

(٢) سنن الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما رضي الله عنهما.

والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، فقالت له: إنه بلغني أنك لعنتَ كيت كيت، فقال: وما لي لا ألعن مَن لعن رسولُ الله وهو في كتاب الله تعالى! فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحتين فما وجدتُ فيه كما تقول، قال: لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه أمَا قرأتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧] قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه»(١).

وحكى ابن سراقة في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد: أنه قال يوما: ما شيء في العالَم إلا وهو في كتاب الله، فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه؟ فقال في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور:٢٩] فهي الخانات.

جمع الخان: مكان مبيت المسافرين.

فقال ابن برجان: ما قال النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم من شيء فهو في القرآن به أو فيه، أصله قرب أو بعد، فهمه مَن فهمه، وعمه عنه مَن عمه، وكذا كل ما حكم به أو قضى، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده، وبذل وسعه، ومقدار فهمه.

وقال غيره: ما مِن شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمَن فهَّمه اللهُ حتى أنّ بعضهم استنبط عمر النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم ثلاثا وستين سَنَة مِن قوله في سورة المنافقين: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:١١] فإنها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

وقال ابن أبي الفضل المرسيّ في تفسيره: جمع القرآن علوم الأوّلين والآخرين،

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الحشر، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلّم بها ثمّ رسولُ الله صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم ورث ذلك عنه معظم سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس رضي‌الله‌عنهم حتى قال: لو ضاع لي عقالُ بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابةُ والتابعون مِن علومه وسائر فنونه، فنوّعوا علومَه وقامت كلّ طائفة بفنّ من فنونه. فاعتنى قومٌ بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه، وعددها وعدد كلماته وآياته وسُوَره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته، والتعليم عند كلّ عشر آيات، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة من غير تعرّض لمعانيه، ولا تدبّر لما أودع فيه، فسُمُّوا القراء.

واعتنى النحاة بالمُعرَب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدّي ورسوم خطّ الكلمات، وجميع ما يتعلّق به حتى إنّ بعضَهم أعرب مُشكلَه، وبعضَهم أعربه كلمةً كلمةً.

واعتنى المفسِّرون بألفاظه، فوجدوا منه لفظا يدلّ على معنى واحد، ولفظا يدلّ على معنيين، ولفظا يدلّ على أكثر، فأجروا الأوّل على حكمه وأوضحوا معنى الخفيّ منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كلٌّ منهم فِكرَه، وقال بما اقتضاه نَظرُه.

واعتنى الأصوليّون بما فيه من الأدلّة العقليّة والشواهد الأصليّة والنظريّة

مثل قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلّةً على وحدانية الله ووجوده وبقائه، وقِدَمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عمّا لا يليق به وسَمَّوا هذا العلم بأصول الدين.

وتأملت طائفةٌ منهم معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللّغة من الحقيقة والمجاز، وتكلّموا في التخصيص والإخبار، والنصّ والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة، واستصحاب الحال، والاستقراء وسَمَّوا هذا الفن أصول الفقه. ↰أي: من المعاني.

وأحكمت طائفةٌ صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام، فأسّسوا أصوله وفرَّعوا فروعه وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا وسمّوه بعلم الفروع وبالفقه أيضا.

وتلمَّحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم ودوّنوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسمّوا ذلك بالتاريخ والقصص.

وتنبّه آخرون لِمَا فيه من الحِكَم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا ممّا فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر فسمّوا بذلك الخطباء والوعَّاظ.

واستنبط قومٌ مما فيه من أصول التعبير، مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان، وفي منامي صاحبي السجن، وفي رؤياه الشمس والقمر

والنجوم ساجدة، وسمّوه تعبير الرؤيا. واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب، فإن عزّ عليهم إخراجها منه فمن السُنَّة التي هي شارحة للكتاب، فإن عسر فمِن الحِكَم والأمثال، ثم نظروا إلى اصطلاح العوامّ في مخاطباتهم، وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وأخذ قومٌ ممّا في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها، وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حسابَ الفرائض ومسائلَ العَوْل واستخرجوا منه أحكامَ الوصايا.

ونظر قومٌ إلى ما فيه من الآيات الدالّات على الحِكَم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علمَ المواقيت.

ونظر الكتّاب والشعراءُ إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز وغير ذلك، فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع.

ونظر فيه أربابُ الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معانٍ ودقائقُ جعلوا لها أعلاما اصطلحوا عليها، مثل الفناء والبقاء، والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك، هذه الفنون التي أخذتها الملّة الإسلامية منه.

قال الغزالي وغيره: آيات الأحكام خمسمائة آية، وقال بعضهم: مائة وخمسون، قيل: ولعلّ مرادهم المصرّح به، فإنّ آياتِ القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير مِن الأحكام.

قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام في كتاب "الإمام في أدلّة الأحكام": معظم آي القرآن لا يخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنةٍ وأخلاق جميلةٍ.

قال: ويُستدَلّ على الأحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر، وتارة بالأخبار مثل ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة:٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] وتارة بما رُتِّب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شرٍّ أو نفع أو ضرّ وقد نوّع الشارع ذلك أنواعا كثيرة ترغيبا لعباده، وترهيبا وتقريبا إلى أفهامهم.

فكلّ فعل عظَّمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعلَه لأجله، أو أحبَّه أو أحبَّ فاعله، أو رضي به أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله كالإقسام بالشفع والوتر وبخَيْل المجاهدين وبالنفس اللوَّامة، أو نصبه سببا لذكره لعبده أو لمحبته أو لثواب عاجل أو آجل أو لشكره له أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيآته أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته أو وصف فاعله بالطيب أو وصف الفعل بكونه معروفا أو نفي الحزن والخوف عن فاعله أو وعده بالأمن، أو نصب سببا لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله أو وصفه بكونه قربة أو بصفة مدح كالحياة والنور والشفاء فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

وكلّ[مبتدأ.] فعل طلب الشارع تركه أو ذمّه أو ذمّ فاعلَه أو عتب عليه أو مقت فاعله أو لعنه أو نفى محبّته أو محبّة فاعله أو الرضا به أو عن فاعله أو شبّه فاعلَه بالبهائم أو بالشياطين أو جعله مانعا من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ الأنبياءُ منه أو أبغضوه أو جعل سببا لنفي الفلاح

أو لعذاب عاجل أو آجل أو لذمّ أو لوم أو ضلالة أو معصية أو وصف بخبث أو رجس أو نجس أو بكونه فسقا أو إثما أو سببا لإثم أو رجس أو لعن أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة أو حدّ من الحدود أو قسوة أو خزي أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله ومحاربته أو لاستهزائه أو سخريته. أو جعله الله سببا لنسيانه فاعله أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم أو بالصفح عنه أو دعا إلى التوبة منه أو وصف فاعله بخبث أو احتقار أو نسبه إلى عمل الشيطان أو تزيينه أو تولي الشيطان لفاعله أو وصفه بصفة ذمّ ككونه ظلما أو بغيا أو عدوانا أو إثما أو مرضا أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله أو شَكَوا إلى الله من فاعله أو جاهروا فاعله بالعداوة أو نُهُوا عن الأسى والحزن عليه، أو نصب سببا لخيبة فاعله عاجلا أو آجلا أو رتَّب عليه حرمان الجنة وما فيها أو وصف فاعله بأنه عدوٌّ لله أو بأن الله عدوه أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله، أو حمل فاعله إثم غيره أو قيل فيه لا ينبغي هذا أو لا يكون أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه أو أمر بفعل مضادّه أو بهجر فاعله أو تلاعن فاعلوه في الآخرة أو تبرَّأ بعضُهم من بعض أو دعا بعضهم على بعض أو وصف فاعله بالضلالة، وأنه ليس من الله في شيء أو ليس من الرسول وأصحابه أو جعل اجتنابه سببا للفلاح أو جعله سببا لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين أو قيل: هل أنت منتهٍ، أو نُهِي الأنبياء عن الدعاء لفاعله أو رتب عليه إبعادا أو طردا، أو لفظة «قُتِل مَن فَعَله» أو «قاتله اللهُ» أو أخبر أن فاعله لا يكلّمه اللهُ يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكّيه ولا يصلح عمله ولا يهدي كيده أو لا يفلح أو قيَّض له الشيطان أو جعل سببا لإزاغة قلب فاعله أو صرفه عن

خبر لـ "كل فعل".

آيات الله وسؤاله عن علّة الفعل؛ فهو دليل على المنع من الفعل، ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة.

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ونفي الجناح والحرج والإثم والمؤاخذة ومن الإذن فيه والعفو عنه ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع ومن السكوت عن التحريم ومن الإنكار على مَن حرَّم الشيء من الإخبار بأنه خلق أو جعل لنا والإخبار عن فعل من قبلنا من غير ذمّ لهم عليه. فإن اقترن بإخباره مدحٌ دلّ على مشروعيته وجوبا أو استحبابا. انتهى كلام الشيخ عزّ الدين.

وقال غيره: قد يُستنبَط من السكوت، وقد استدلّ جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسانَ في ثمانية عشر موضعا، وقال: إنه مخلوق، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا، ولم يقل: إنه مخلوق، ولمَّا جمع بينهما غاير، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣].

أمثال القرآن

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتّبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال))[1].

قال الماورديّ: مِن أعظم علم القرآن علمُ أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثَّلاتِ، والمَثَل بلا ممثّل كالفرس بلا لجام، والناقةِ بلا زمام.

وقال غيره: قد عدّه الشافعيّ ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال: ثمّ معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوالّ على طاعته المبيّنة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عزّ الدين: إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذمّ أو نحوه فإنه يدلّ على الأحكام.

فصل:

أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرّح به (أي: بلفظ «مثل»)، وكامنٌ لا ذكرَ لـ«المَثَل» فيه.

فمِن أمثلة الأوّل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ [البقرة:١٧]

(١) شعب الإيمان، باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب.

الآيات، ضرب فيها للمنافقين مثلين: مثلا بالنار، ومثلا بالمطر.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا..﴾ [الرعد:١٧] ألاية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عباس، قال: هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكّها ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً..﴾ وهو الشكّ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ [الرعد:١٧] وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار كذلك يقبل اللهُ اليقينَ ويترك الشكَّ.

وأخرج عن عطاء قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

وأخرج عن قتادة قال: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به، ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما مكث هذا الماء في الأرض فأمرعت وربت بركته، وأخرجت نباتها وكذلك الذهب والفضّة حين أدخل النار، فأذهب خبثه كذلك يبقى الحقّ لأهله. وكما اضمحل خبث هذا الذهب حين أدخل في النّار كذلك يضمحل الباطل عن أهله.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ...﴾ [الأعراف:٥٨] الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن. يقول هو طيّب، وعمله طيّب، كما أن البلد الطيّب ثمرها طيّب، والذي خبث ضرب مثلا للكافر كالبلد السبخة المالحة، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [البقرة:٢٦٦] الآية أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطّاب يوما لأصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم: فيمن ترون هذه الآية نزلت؟ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة:٢٦٦] قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، وقال: قُولُوا: نعلم أو لا نعلم! فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء، فقال: يا بن أخي: قُل، ولا تحقر نفسَك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعملٍ، قال عمر: أيُّ عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله(١).

وأمّا الكامنة فقال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألتُ الحسين بن الفضل فقلتُ: إنك تخرج أمثال العرب والعجم مِن القرآن فهل تجد في كتاب الله: «خير الأمور أوساطها»؟ قال: نعم في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠]. قلتُ: فهل تجد في كتاب الله: «مَن جهل شيئا عاداه»؟ قال: نَعَم في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١].

قلتُ: فهل تجد في كتاب الله: «احذر شرَّ مَن أحسنتَ إليه»؟ قال نعم: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة:٧٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ إلى قوله: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾.

قلتُ: فهل تجد في كتاب الله: «ليس الخبر كالعيان»؟ قال في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠].

قلتُ: فهل تجد: «في الحَرَكات البَرَكاتُ»؟ قال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠].

قلتُ: فهل تجد: «كما تدين تدان»؟ قال في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، قلتُ: فهل تجد فيه قولهم: «حين تَقْلي تدري»؟[١] قال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٢]، قلتُ: فهل تجد فيه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»؟ قال: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٦٤].

قلتُ: فهل تجد فيه: «من أعان ظالما سلط عليه»؟ قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحجّ:٤].

قلتُ: فهل تجد فيه قولهم: «لا تلد الحية إلا حية»؟ قال قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٧]. قلتُ: فهل تجد فيه: «للحيطان آذان»؟ قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧].

قلتُ: فهل تجد فيه: «الجاهل مرزوق والعالم محروم»؟ قال: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم:٧٥].

قلتُ: فهل تجد فيه: «الحلال لا يأتيك إلا قوتا (أي: مقدارا قليلا.) والحرام لا يأتيك إلا جزافا (أي: مقدارا كثيرا.)»؟ قال: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف:١٦٣].

(١) يُضرَب للمَغبون الذي يَظنّ أنه الغابنُ غيرَه، وقد يقال «حين تَقلين تَدرين». (مجمع الأمثال وغيره)

فائدة:

عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابا في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل، وهذا هو النوع البديعيّ المسمّى بـ«إرسال المثل»، وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:٥٨].

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف:٥١]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس:٧٨]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج:١٠]، ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١].

﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١]، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤]، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام:٦٧]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٤]، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة:٩٩]، ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة:٩١]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ [البقرة:٢٤٩]، ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس:٩١]، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة:١٠٠]، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم:٤١]، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣]، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات:٦١]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤]، ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢] في ألفاظ أخر.

في أقسام القرآن

أفرده ابن القَيِّم بالتصنيف في مجلد سمّاه "التبيان".

والقصدُ بالقَسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] قسما وإن كان فيه إخبار بشهادة؛ لأنه لما جاء توكيدا للخبر سمّي قسما.

وقد قيل: ما معنى القسم منه تعالى؟ فإنه إنْ كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدِّق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده. وأجيب: بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القَسمُ إذا أرادت أن تؤكّد أمرا.

وأجاب أبو القاسم القشيريّ: بأنّ الله ذكر القسم لكمال الحجّة وتأكيدها، وذلك أنّ الحُكم يَفصِل باثنين: إمّا بالشهادة وإمّا بالقَسَم، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:١٨]. وعن بعض الأعراب أنه لمّا سمع قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ [الذاريات:٢٢-٢٣] صرخ وقال: مَن ذا الذي أغضب الجليلَ حتى ألجأه إلى اليمين.

ولا يكون القَسَم إلا باسم معظَّم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع: الآية المذكورة بقوله: ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ﴾ [يونس:٥٣]، ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم:٦٨]. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [النساء:٦٥]، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠].

والباقي كلّه قَسَم بمخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ [التين:١]،

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصافات:١]، ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾ [الشمس:١]، ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ [الليل:١]، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [الضحى:١]، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥].

فإن قيل: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله؟

قلنا: أجيب عنه بأوجه:

أحدها: أنه على حذف مضاف، أي: وربّ التين، وربّ الشمس وكذا الباقي.

الثاني: أنّ العرب كانت تعظّم هذه الأشياء، وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

الثالث: أنّ الأقسام إنما تكون بما يعظّمه المُقْسِم أو يجلّه وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه، وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدلّ على بارئ وصانع.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: إن الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله.

وقال العلماء: أقسم اللهُ تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ [الحجر:٧٢] لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢].

قال: ثمّ هو سبحانه وتعالى يُقسِم على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها، تارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة يقسم على حال الإنسان.

فالأوّل: كقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ [الصافات].

والثاني كقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٧].

والثالث: كقوله: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس:١-٣]، ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ الآيات [النجم:١-٢].

والرابع: كقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الذاريات:١-٦]، ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ [المرسلات].

والخامس: كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ الآيات [الليل: ١-٤] ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [العاديات:١-٦].

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر:١-٢]، ﴿وَٱلتِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ الآيات [التين:١-٤]، ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:١-٤].

في جدل القرآن

اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلّة. وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير -يبنى من كليات المعلومات العقليّة والسمعيّة- إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طُرُق المتكلِّمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم:٤].

والثاني: أن المائل إلى طريق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجّة بالجليّ من الكلام، فإنّ مَن استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحطّ إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلّون، ولم يكن مُلغِزا، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجّة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامّة من جليّها ما يقنعهم وتلزمهم الحجّة، وتفهم الخواصّ من أثنائها ما يربى على ما أدركه فَهمُ الخطباء.

ومن أمثلة ذلك أنه استدلّ سبحانه وتعالى على المعاد الجسميّ بضروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩]، ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾ [ق:١٥].

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأَوْلى قال تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ...﴾ [يس:٨١] الآية.

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر.

وقد روى الحاكم وغيره: أنّ أبيّ بن خلف جاء بعظم ففتّه، فقال أيحيي الله هذا بعد ما بَلِيَ ورمَّ، فأنزل الله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]. فاستدل سبحانه وتعالى بردّ النشأة الأُخرى إلى الأُولى، والجمع بينهما بعلّة الحدوث. ثمّ زاد في الحجاج بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس:٨٠] وهذه في غاية البيان في ردّ الشيء إلى نظيره، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما.

ومن ذلك الاستدلال على أنّ صانع العالَم واحد، بدلالة التمانع المشار إليها في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] لأنه لو كان للعالَم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتّسق على أحكام، ولكان العجزُ يلحقهما أو أحدهما، وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزّي الفعل، إن فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدّين إن فرض الاختلاف، وإمّا ألّا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لا يكون عاجزا.

من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل القولُ بالموجب، قال ابن أبي الإصبع: وحقيقته ردّ كلام الخصم من فحوى كلامه، وهو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفةٌ في كلام الغير كنايةً عن شيء أُثبِت له حكم فيثبتها لغير ذلك الشيء كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ [المنافقون:٨] الآية، فـ«الأعز» وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، و «الأذلّ» عن فريق المؤمنين، وأثبت

المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الردّ عليهم صفةَ العزّة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون، وكأنه قيل: صحيح ذلك ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ لكن هم الأذل المُخرَج، والله ورسوله الأعزّ المخرِج.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلّقه، ولم أر من أورد له مثالا من القرآن، وقد ظفرتُ بآية منه، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة:٦١].

ومنها المناقضة: وهي تعليق أمر على مستحيل إشارةً إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

ومنها: مجاراة الخصم ليعثر بأن يسلّم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ. . .﴾ الآية [إبراهيم:١٠-١١]، فقولهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ. . .﴾ الآية، فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشريّة، فكأنهم سلّموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مرادا، بل هو من مجاراة الخصم ليعثر فكأنهم قالوا: ما ادّعيتم من كوننا بشرا حقٌّ لا ننكره ولكن هذا لا ينافي أن يمنّ اللهُ تعالى علينا بالرسالة.

فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

في القرآن من أسماء الأنبياء والمرسلين خمس وعشرون، هم مشاهيرهم: آدم أبو البشر، نوح، إدريس، إبراهيم، إسماعيل: وهو أكبر ولد إبراهيم. إسحاق: ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة. يعقوب: عاش مائة وسبعا وأربعين سنة. يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لوط: قال ابن إسحاق: هو لوط بن هاران بن آزر. هود، صالح، شعيب، موسى، هارون، داود، سليمان ولده، وأيوب، ذو الكفل، يونس، إلياس، اليسع، زكريا، يحيي ولده، وعيسى ومحمد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

أسماء الملائكة:

وفيه من أسماء الملائكة: جبريل، وميكائيل، ومالك: خازن جهنم. هاروت وماروت.

أسماء الصحابة وغيرهم:

وفيه من أسماء الصحابة: زيد بن حارثة.

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل: عمران: أبو مريم. عزيز، وتبّع، ولقمان، يوسف الذي في سورة غافر، ويعقوب في أول سورة مريم على قول، وتقيّ في قوله فيها: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم:١٨] قيل: إنه اسم رجل كان أمثل الناس، أي: إن كنتَ في الصلاح مثل تقيّ، حكاه الثعلبي.

وفيه من أسماء النساء: مريم لا غير، وقيل: إن بعلا في قوله: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ [الصافات:١٢٥] اسم إمرأة كانوا يعبدونها، حكاه ابن عساكر.

وفيه من أسماء الكفّار: قارون، وآزر، وجالوت، وهامان.

وفيه من أسماء الجنّ: أبوهم إبليس.

وفيه من أسماء القبائل: يأجوج ومأجوج، وعاد، وثمود، ومدين، وقريش، والروم.

وفيه من الأقوام بالإضافة: قوم نوح، وقوم لوط، وقوم تبّع، وقوم إبراهيم، وأصحاب الأيكة –قيل: هم مدين– وأصحاب الرسّ: وهُم بقيّة من ثمود، قاله ابن عباس. وقال عكرمة: هم أصحاب ياسين. وقال قتادة: هم قوم شعيب، وقيل: هم أصحاب الأخدود، واختاره ابن جرير.

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وهي أصنام قوم نوح. واللات والعزى ومناة، وهي أصنام قريش. وكذا الرجز فيمن قرأ بضم الراء، ذكره الأخفش في كتاب "الواحد والجمع" أنه اسم صنم، والجبت والطاغوت وبعل.

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والأمكنة والجبال: بكّة اسم لمكة. والمدينة وبدر، وأحد، وحنين، والمشعر الحرام، ومصر، وبابل، والأيكة، والحِجْر، والأحقاف، وطور سيناء، والجودي، وطوى: اسم الوادي. والكهف، والرقيم، والعرم، وحَرْد، والصريم: أخرج ابن جبير عن سعيد بن جبير أنها أرض باليمن تسمّى بذلك. و"ق": وهو جبل محيط بالأرض. والجُرُز: هو اسم أرض. والطاغية: قيل اسم البقعة التي أهلكت بها ثمود، حكاهما الكرماني.

وفيه من أسماء الأماكن الأخروية: الفردوس: وهو أعلى مكان في الجنّة. وعليون: قيل أعلى مكان في الجنة. والكوثر: نهر في الجنة. وسلسبيل وتسنيم:

عينان في الجنة. وسجين: اسم لمكان أرواح الكفّار. وصَعُود: جبل في جهنم، كما أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعا.

وغي، وأثام، ومَوْبِقٌ، والسعير، وويل، وسائل[1] وسُحْقٌ: أودية في جهنم. ويحموم: دخان أسود.

وفيه من أسماء الكواكب: الشمس، والقمر، والطارق، والشِّعْرى.

قال بعضهم سمّى الله في القرآن عشرة أجناس من الطير: السلوى، والبعوض، والذباب، والنحل، والعنكبوت، والجراد، والهدهد، والغراب، وأبابيل، والنمل.

أما الكنى فليس في القرآن منها غير أبي لهب، واسمه عبد العُزّى.

فوائد:

يُستَحَبّ تقبيل المصحف؛ لأنّ عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يفعله، وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود، ذكره بعضهم، ولأنه هدية من الله تعالى فشرع تقبيله كما يستحبّ تقبيل الولد الصغير.

وعن أحمد ثلاث روايات: الجواز والاستحباب والتوقّف -وإن كان فيه رفعة وإكرام- لأنه لا يدخله قياس، ولهذا قال عمر في الحجر: لولا أني رأيتُ رسولَ الله يقبِّلك ما قبّلتُك.

يُستحبّ تطييب المصحف، وجعله على كرسيّ، ويحرم توسّده؛ لأنّ فيه إذلالًا وامتهانا. قال الزركشي: وكذا مدّ الرجلين إليه.

---

(١) أخرج عن أبي زيد في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ هو وادٍ من أودية جهنم يقال له سائل. (الإتقان: النوع التاسع والستون).

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن سفيان: أنه كره أن تُعلَّق المصاحف.

وأخرج عن الضحاك قال: لا تتخذوا للحديث كراسي ككراسي المصاحف.

ويجوز تحليته بالفضّة إكراما له على الصحيح. أخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم قال: سألتُ مالكا عن تفضيض المصاحف، فأخرج إلينا مصحفا، فقال: حدثني أبي عن جدي: أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان وأنهم فضّضوا المصاحف على هذا أو نحوه.

وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل، وخصّ بعضُهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه، والأظهر التسوية.

وإذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلى ونحوه، فلا يجوز وضعها في شقّ أو غيره؛ لأنه قد يسقط ويوطأ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكَلِم وفي ذلك إزدراء بالمكتوب، كذا قال الحليميّ.

قال: وله غسلها بالماء، وإن أحرقها بالنّار فلا بأس، أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات منسوخة ولم ينكر عليه.

وذكر غيره: أنّ الإحراق أَولى من الغسل؛ لأن الغسالة قد تقع على الأرض.

روى ابن أبي داود عن ابن المسيب قال: لا يقول أحدكم: مُصَيْحَف ولا مُسَيْجَد، ما كان لله تعالى فهو عظيم.

ومذهب جمهور العلماء تحريم مسّ المصحف للمُحْدِث سواء كان أصغر أم أكبر لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] وحديث الترمذي وغيره: ((لا يَمسَّ القرآنَ إلا طاهر))[١].

(١) وهو لفظ مؤطا الإمام مالك وغيره من كتب الحديث، وأما لفظ الترمذي فهكذا: ((ولا يقرأ في

روى ابن ماجه وغيره عن أنس مرفوعا: ((سبع يجرى للعبد أجرهنّ بعد موته وهو في قبره: مَن علَّم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته، أو ورث مصحفا))[1].

أخرج السِلفيّ في المختار من الطيوريّات عن الشعبي قال: لقي عمر بن الخطاب ركبا في سفر، فيهم ابن مسعود فأمر رجلا يناديهم: مِن أين القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفجّ العميق نريد البيت العتيق، فقال عمر: إنّ فيهم لعَالِمًا وأمر رجلا أن يناديهم: أيّ القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال: نادِهم: أيّ القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠]، قال: نادِهم: أيّ القرآن أجمع؟ فقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزال:٧-٨]، فقال: نادِهم: أيّ القرآن أحزن؟ فقال: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] فقال: نادِهم: أيّ القرآن أرجى؟ فقال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ. . .﴾ [الزمر:٥٣] الآية، فقال: أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: نعم. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سُئِل ابن عباس: أيّ آية أرجى في كتاب الله؟ قال: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠].

المصحف إلا وهو طاهر)). (العلميّة)

(١) ابن ماجه: المقدّمة، باب ثواب معلّم الناس الخير، والحديث عنده عن أبي هريرة وليس عن أنس رضي الله عنهما، وباختلاف في كثير من ألفاظه. وشعب الإيمان، باب في الزكاة التي جعلها الله، فصل في الاختيار في صدقة التطوع. (العلميّة)

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن، قال: سألتُ أبا برزة الأسلميّ عن أشدّ آية في كتاب الله تعالى على أهل النار، فقال: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:٣٠].

وقال بعضهم: أطول سورة في القرآن البقرة، وأقصرها الكوثر.

وأطول آية فيه آية الدَّين، وأقصر أية فيه ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر:١].

وأطول كلمة فيه رسما ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر:٢٢].

وفي القرآن آيتان جمعتْ كلٌّ منهما حروف المعجم:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً...﴾ الآية [آل‌عمران:١٥٤].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ...﴾ الآية [الفتح:٢٩].

وليس فيه «حاء» بعد «حاء» بلا حاجز إلا في موضعين: ﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ﴾ [البقرة:٢٣٥]، ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ﴾ [الكهف:٦٠].

ولا «كافان» كذلك إلا ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة:٢٠٠]، ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ [المدثر:٤٢].

ولا «غينان» كذلك إلا ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [آل‌عمران:٨٥].

ولا آيةٌ فيها ثلاثة وعشرون كافا إلا آية الدين.

ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفا إلا آيتا المواريث.

ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر «واوات» إلا ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ إلى آخرها.

ولا سورةٌ إحدى وخمسون آية، فيها اثنان وخمسون وقفا إلا سورة الرحمن.

وقال أبو عبد الله الخبازيّ المقرئ: أوّل ما وردتُ على السلطان محمود بن ملكشاه سألني عن آيةٍ أوّلها غين، فقلتُ: ثلاثة: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر:٣]

وآيتان بخلف: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم:٢] ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧].

ونقل السيوطيّ مِن خطّ شيخ الإسلام ابن حجر: في القرآن أربع شدّات متوالية في قوله: ﴿رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [مريم:٦٤-٦٥].

﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور:٤٠]، ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الملك:٥].

في ذكر الآيات المبهمات

اعلم أنّ علم المبهمات[١] مرجعه النقل المحض، ونحن نذكر أهمّ ما ورد في ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] هو آدم وزوجه حواء.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ [البقرة:٢٠٤] هو الأخنس بن شريق.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [البقرة:٢٠٧] هو صهيب.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣] قال مجاهد: موسى.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣] قال: محمد.

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل‌عمران:٣٥] حنّة بنت فاقوذا.

﴿مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل‌عمران:١٩٣] هو محمد صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء:١٠٠] هو ضمرة بن جندب.

﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال:٤٨] عَنَى: سراقة بن جعشم.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة:٤٠] هو أبو بكر الصديق.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ [التوبة:٤٩] هو الجدّ بن قيس.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة:٥٨] هو ذو الخويصرة.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٦٦] هو مخشي بن حمير.

---

(١) **قوله**: [**علم المبهمات**] أي: علم الآيات المبهمات التي ذكرت فيها الأشياء غير المسمّات والتعيينات. ويمكن أن يقال في تعريف مبهمات القرآن: «ما لم يبين في القرآن الكريم من الأعلام والأعداد والأزمنة والأمكنة». انظر للتفصيل "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن" للسيوطي. (العلميّة)

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة:٧٥] هو ثعلبة بن حاطب.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢] هم سبعة: أبو لبابة وأصحابه، وجدّ بن قيس، وحرام[1]، وأوس، وكردم، ومرداس.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة:١٠٦] هم: هلال بن أميّة، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك وهم الثلاثة الذين خلفوا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [التوبة:١٠٧] قال ابن إسحاق: اثنا عشر من الأنصار.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود:١٧] وهو محمدٌ صلّى الله عليه وسلّم.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود:١٧] هو جبريل، وقيل: القرآن، وقيل: أبو بكر، وقيل: عليّ.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر:٩٥] قال سعيد بن جبير: هم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو زمعة، والحارث بن قيس، والأسود بن عبد يغوث.

﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل:٧٦] عثمان بن عفان.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج:١٩] أخرج الشيخان عن أبي ذرّ قال: نزلت هذه الآية في حمزة وعبيدة بن الحارث وعليّ بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

﴿ٱمْرَأَةَ تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل:٢٣] هي بلقيس بنت شراحيل.

---

(١) **قوله:** [وجدّ بن قيس، وحرام...إلخ] اختلف المفسِّرون في عددهم وأسمائهم، فانظر للتفصيل "تفسير الخازن" وغيره من الكتب.

﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ﴾ [النمل:٤٠] هو آصف بن برخيا كاتبه.

﴿ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص:٩] آسية بنت مزاحم.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة:١٨] نزلت في عليّ بن أبي طالب والوليد بن عقبة.

﴿قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة:١] هي خولة بنت ثعلبة.

﴿فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١] هو أوس بن الصامت.

﴿أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ [التحريم:٣] هي حفصة ﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ [التحريم:٣] أخبرت عائشة ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ [التحريم:٤] هما عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم:٤] هما أبو بكر وعمر أخرجه الطبراني في الأوسط.

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١] هو الوليد بن المغيرة.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ. . .﴾ [القيامة:٣١] الآيات نزلت في أبي جهل.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:٢] هو عبد الله بن أمّ مكتوم.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ [عبس:٥] هو أميّة بن خلف، وقيل: هو عتبة بن ربيعة.

أسباب الإبهام في القرآن:

وللإبهام في القرآن أسباب:

أحدها: الاستغناء ببيانه مع موضع آخر، كقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] فإنه مبيَّن في قوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩].

الثاني: أن يتعيّن لاشتهاره كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ولم يقل: «حواء»؛ لأنه ليس له غيرها. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٨] والمراد نمروذ لشهرة ذلك، لأنه المُرسَل إليه.

الثالث: قصد الستر عليه، ليكون أبلغ في استعطافه، نحو: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾ [البقرة:٢٠٤] الآية، هو الأخنس بن شريق، وقد أسلم بعد، وحسُن إسلامه.

الرابع: ألا يكون في تعيينه كبيرُ فائدةٍ، نحو: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة:٢٥٩]، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف:١٦٣].

من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف.

الخامس: التنبيه على العموم، وأنه غير خاصّ، بخلاف ما لو عيّن نحو: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ [النساء:١٠٠].

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ﴾ [النور:٢٢] ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٣] ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة:٤٠] والمراد الصدّيق في الكل.

السابع: تحقيره بالوصف الناقص نحو: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣].

في معرفة تفسير القرآن وتأويله وبيان الحاجة إليه

واختلف في التفسير والتأويل، فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى.

وقال الراغب: التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهيّة والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال الزركشي: التفسير: **علمٌ** يُفهَم به كتابُ الله المنزّل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم وبيانُ معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه.

واستمداد ذلك من علم اللّغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وأمّا **شرفه** فلا يخفى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

عن ابن عباس في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قال: المعرفة بالقرآن، ناسخِه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وأخرج أبو ذرّ الهرويّ في "فضائل القرآن" من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذّ الشعر هذّا.

وأخرج البيهقي[١] وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا: ((أعربوا القرآن[٢] والتمسوا غرائبه)).

---

(١) شعب الإيمان، التاسع عشر، باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب.

(٢) **قوله:** [**أعربوا القرآن**] المراد بإعراب القرآن معرفةُ معاني ألفاظه، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن. (العلميّة)

وأخرج ابن الأنباري عن أبي بكر الصديق قال: لأنْ أُعرِب آيةً من القرآن أحبُّ إليّ مِن أن أحفظ آية.

وأخرج أيضا عن عبد الله بن بريدة عن رجل من أصحاب النبي قال: لو أني أعلم إذا سافرتُ أربعين ليلة، أعربتُ آية من كتاب الله لَفعلتُ.

وأخرج أيضا من طريق الشعبي قال: قال عمر: مَن قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد.

قال السيوطي: معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير؛ لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحويّ اصطلاح حادثٌ، ولأنه كان في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلُّمه.

قال الأصبهانيّ: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن.

فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث، أمّا من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم لا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه.

وأما من جهة الغرض: فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقيّة التي لا تفني.

وأمّا من جهة شدّة الحاجة: فلأن كلَّ كمال دينيٍّ أو دنيويّ، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينيّة، وهي متوقّفة على العلم بكتاب الله تعالى.

أُمّهات مآخذ التفسير

أُمّهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي صلّى‌الله‌عليه‌وسلّم، وهذا هو الطّراز المُعلَم[1]، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع؛ فإنه كثير، ولهذا قال أحمد: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير.

وقال المحقّقون مِن أصحابه: مراده أنّ الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متّصلة، وإلا فقد صحّ من ذلك كثير كتفسير الظلمِ بالشرك في آية الأنعام، والحسابِ اليسيرِ بالعَرْض، والقوّةِ بالرمي في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

قال السيوطي مستدركا على هذا الكلام الذي قرّره الزركشيّ: الذي صحّ مِن ذلك قليل جدّا، بل أصل المرفوع منه في غاية القلّة.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبيّ كما قاله الحاكم في مستدركه.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربيّ، وهذا قد ذكره جماعة، ونصّ عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضلُ بن زياد عنه: أنّه سئل عن القرآن يمثّل له الرجل ببيت من الشعر، فقال: ما يعجبني.

فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد. وقيل: الكراهة تحمل على صرف الآية عن ظاهرها

---

(١) **قوله:** [**الطّراز المُعلَم**] أي: العلم المشهور الذي يهتدى به، أو يقال: النوع الذي لا يعدل عنه. وأصل الطراز هو ما يكون في الثوب من أعلام. (العلميّة)

إلى معان خارجة محتملة، يدلّ عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوّة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لابن عباس حيث قال: اللّٰهُمَّ فقِّهه في الدِّين وعلِّمه التأويل[١]. والذي عناه عليٌّ بقوله: إلا فهمًا يؤتاه الرجل في القرآن.

ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كلٌّ برأيه على منتهى نظره، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرّد الرأي والاجتهاد من غير أصل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] وقال: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] فأضاف البيان إليه.

وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((مَن تكلّم في القرآن برأيه، فأصاب فقد أخطأ))[٢]. أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي. وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((مَن قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))[٣]. أخرجه أبو داود[٤].

قال البيهقي في الحديث الأوّل: هذا إن صحّ فإنما أراد -والله أعلم- الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يسنده برهان فالقول به جائز.

(١) مسند الإمام أحمد: من مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن عباس.

(٢) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم. وسنن الترمذي: كتاب التفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الذي يفسّر القرآن برأيه.

(٣) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الذي يفسّر القرآن برأيه.

(٤) **قوله:** [**أخرجه أبو داود**] لم نجد هذه الألفاظ في سنن أبي داود، وألفاظ فيه: ((من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)).

وقال الماورديّ: قد حمل بعض المتورِّعة هذا الحديثَ على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، ولو صَحِبتْها الشواهدُ ولم يعارض شواهدها نصٌّ صريح، وهذا عدول عمّا تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام، كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء:٨٣]. ولو صحّ ما ذهب إليه لم يعلم شيء إلا بالاستنباط، ولَمَا فهم الأكثرون من كتاب الله شيئا.

وإن صحّ الحديث فتأويله: أنّ مَن تكلّم في القرآن بمجرَّد رأيه، ولم يعرِّج على سوى لفظه، وأصاب الحقَّ فقد أخطأ الطريق، وإصابته اتّفاقٌ؛ إذ الغرض أنّه مجرَّد رأي لا شاهد له، وفي الحديث: ((القرآن ذلولٌ ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه))[1]. أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس.

فقوله: «ذلول» يحتمل معنيين: أحدهما: أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم.

والثاني: أنه موضِّح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهامُ المجتهدين.

وقوله: «ذو وجوه» يحتمل معنيين: أحدهما: أنّ من ألفاظه ما يحتمل وجوها من التأويل، والثاني: أنّه قد جمع وجوها من الأوامر، والنواهي، والترغيب، والترهيب، والتحليل، والتحريم.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه» يحتمل معنيين أحدهما: الحمل على أحسن معانيه، والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرُّخَص، والعفوِ دون الانتقام. وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسِّر

(١) سنن الدارقطني: كتاب النوادر.

إليها وهي **خمسة عشر علما**.

أحدها: **اللّغة**؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

الثاني: **النحو**؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بدّ من اعتباره، أخرج أبو عبيد عن الحسن: أنه سئل عن الرجل يتعلّم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، فقال حسن: فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها.

الثالث: **التصريف**؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ، قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم.

الرابع: **الاشتقاق**؛ لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادّتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح، هل هو من السياحة أو المسح.

الخامس والسادس والسابع: **المعاني والبيان والبديع**؛ لأنه يعرف بالأوّل خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسِّر؛ لأنه لا بدّ له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

الثامن: **علم القراءات**؛ لأنّ به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: **أصول الدين**؛ بما في القرآن من الآيات الدالّة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يعرف طريق تخريج ذلك على مناط يتّفق مع

العقيدة الصحيحة.

العاشر: **أصول الفقه**؛ إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: **أسباب النزول والقصص**؛ إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزَّلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: **الناسخ والمنسوخ**؛ ليعلم المُحكَم من غيره.

الثالث عشر: **الفقه**.

الرابع عشر: **الأحاديث المبينة**؛ لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: **علم الموهبة**، وهو علمٌ يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: ((مَن عمل بما علم ورّثه الله عِلْمَ ما لم يعلم))[1].

قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له.

قال فهذه العلوم -التي هي كالآلة للمفسِّر- لا يكون مفسِّرا إلا بتحصيلها، فمَن فسّر بدونها كان مفسِّرا بالرأي المَنْهِيّ عنه، وإذا فسّر مع حصولها لم يكن مفسِّرا بالرأي المنهِيّ عنه.

قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلّى الله عليه وسلّم.

قال في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهمُ معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كِبر أو هوى أو حبّ الدنيا، أو وهو مصرّ على ذنب أو غير متحقّق بالإيمان أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسِّرٍ ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله وهذه كلّها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض.

(١) حلية الأولياء: أحمد بن أبي الحواري.

في طبقات المفسِّرين

تفسير الصحابة:

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعريّ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

أما الخلفاء فأكثر من رُوِي عنه منهم عليّ بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نَزِرة جدّا، وكأنّ السبب في ذلك تقدُّم وفاتِهم كما أنّ ذلك هو السبب في قلّة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا يُحفَظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثارا قليلة جدّا لا تكاد تجاوز العشرة.

وأمّا عليّ فرُوِي عنه الكثير، وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: شهدتُ عليّا يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما مِن آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسيّ عن أبيه عن عليّ قال: والله ما نزلت آيةٌ إلا وقد علمت فيم أنزلت، وأين نزلت، إنّ ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا.

وأما ابن مسعود فروي عنه أكثر ممّا روي عن علي، وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت ولو أَعلَمُ مكان أحد أَعْلَم بكتاب الله منّي تناله المطايا لأتيتُه.

وأخرج أبو نعيم عن أبي البختري قال: قالوا لِعليّ: أَخْبِرْنا عن ابن مسعود، قال: عَلِّم القرآنَ والسُّنَّة ثم انتهى، وكفى بذلك علما[١].

وأمّا ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي صلّى الله عليه وسلّم: ((اللّٰهُمَّ فقِّهْه في الدِّين، وعلِّمْه التأويل)). وقال له أيضا: ((اللّٰهُمَّ آته الحكمة))[٢]. وفي رواية: ((اللّٰهُمَّ علِّمْه الحكمة))[٣].

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال دعا رسول الله لعبد الله بن عباس فقال: ((اللّٰهُمَّ بارك فيه وانشرْ منه))[٤].

وأخرج من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس قال: انتهيت إلى النبي وعنده جبريل، فقال له جبريل إنه كائن حبر هذه الأمّة فاستوصِ به خيرا[٥].

وأخرج من طريق عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله: ((نِعْم ترجمان القرآن أنت))[٦].

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال: نِعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس[٧].

---

(١) حلية الأولياء: عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: باب العين، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي عليه السلام، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) حلية الأولياء، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٥) حلية الأولياء، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٦) حلية الأولياء، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٧) دلائل النبوة للبيهقي: باب «ما جاء في دعائه لعبد الله بن عباس بالفقه في الدين...».

وأخرج أبو نعيم عن مجاهد قال: كان ابن عباس يُسمَّى البحر؛ لكثرة علمه.

وأخرج عن ابن الحنفية: قال كان ابن عباس حبر هذه الأمّة.

وأخرج عن الحسن قال: إنّ ابن عباس كان من القرآن بمنزل، كان عمر يقول: ذاكم فتى الكهول، إنّ له لسانا سؤولا وقلبا عقولا.

وأخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأنّ بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ يُدخِل هذا معنا؟ إنّ لنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه ممّن علمتم، ودعاهم ذات يوم فأدخله معهم -فما رُئِيتُ أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم- فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلتُ: لا، فقال: ما تقول؟ فقلتُ: هو أجل رسول الله أعلمه به، قال: إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٣]، فقال عمر: لا أَعْلَمُ منها إلا ما تقول(١).

طبقة التابعين:

قال ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاوس وغيرهم، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

ومالك بن أنس. انتهى.

فمِن المبرِّزين (أي: الماهرين) منهم: **مجاهد**[١]، قال الفضل بن ميمون: سمعتُ مجاهدا يقول: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرةً.

عنه أيضا قال: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كلِّ آية منه، وأسأله عنها فيم نزلت؟ وكيف كانت؟

وقال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد.

وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبُك به.

قال ابن تيمية: ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعيُّ والبخاري وغيرهما من أهل العلم.

قال السيوطي: وغالب ما أورده الفريابي في تفسيره عنه، وما أورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليلٌ جدًّا.

ومنهم: **سعيد بن جبير**[٢] قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة:

---

(١) **قوله**: [**مجاهد**] بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي، وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى "بئر برهوت" بحضرموت، وذهب إلى "بابل" يبحث عن هاروت وماروت. وصحب ابن عمر مدة كثيرة وأخذ عنه، وحدّث عنه قتادة وعمرو بن دينار وأيوب ومنصور والأعمش وابن عون وغيرهم. قال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد. توفي سنة ثلاث ومائة. (الأعلام للزركلي، طبقات المفسرين)

(٢) **قوله**: [**سعيد بن جبير**] هشام الأسدي الفقيه المحدِّث المفسِّر. كنيته: أبو محمد. وكان أحد علماء التابعين، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر. روى عن: ابن عباس –فأكثر وجود– وعن: عبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري في "سنن النسائي"، وأبي هريرة. وعن: ابن عمر، وابن الزبير، والضحاك بن قيس، وأنس، وأبي سعيد الخدري. وروى عن التابعين: مثل: أبي عبد الرحمن السلمي، وكان من كبار العلماء. وحدّث عنه: أبو صالح السمان، وآدم بن سليمان والد يحيى، وأشعث بن أبي الشعثاء، وأيوب السختياني، وبكير بن شهاب، وثابت

عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحّاك.

وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسِّيَر، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام.

ومنهم: **عكرمة**(١) مولى ابن عباس قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله مِن عكرمة، وقال سماك بن حرب: سمعتُ عكرمة يقول: لقد فسّرت ما بين اللوحين.

ومنهم: **الحسن** البصري(٢)، .....

بن عجلان، وأبو المقدام ثابت بن هرمز، وجعفر بن أبي المغيرة، وأبو بشر جعفر بن أبي وحشية، وحبيب بن أبي ثابت وغيرهم. وقال بعضهم كان أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيّب، وبالحجّ عطاء، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير مجاهد، وأجمعهم لذلك سعيد بن جبير. وابن لهيعة: عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله، فقد ذكره، ومن لم يطعه، فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن. توفي سنة خمس وتسعين. (وفيات الأعيان، سير أعلام النبلاء وغيره)

(١) **قوله**: [**عكرمة**] أصله من البربر من أهل المغرب كان عبدا لعبد الله بن عباس رضي الله عنه فورثه ابنه علي بن عبد الله فباعه من خالد بن يزيد بأربعة الآف دينار فأتى عكرمة عليا فقال ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله خالد وأعتقه وكان يكنى أبا عبد الله عالما بالقرآن ومعانيه. وحدّث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن بن علي وعائشة رضي الله عنهم؛ وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها. وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحداً أعلم منك قال: عكرمة. وتوفي سنة خمس ومائة.

(٢) **قوله**: [**الحسن البصري**] أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. وأوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فدر عليه ثديها فشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك. وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة،

وعطاء بن أبي رَبَاح[١]، وعطاء بن أبي سلمة الخراسانيّ[٢]، ومحمد بن كعب[٣]

رضي الله عنه، وكانت جنازته مشهودة؛ قال حميد الطويل: توفي الحسن عشية الخميس، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره، وحملناه بعد صلاة الجمعة.

(١) **قوله:** [عطاء بن أبي رباح] أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل: إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقاً كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير رحمهم الله تعالى وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. توفي سنة خمس عشرة ومائة، وقيل: أربع عشرة ومائة.

(٢) **قوله:** [عطاء بن أبي سلمة الخراساني] هكذا وجدنا في نسخ "زبدة الإتقان" كلّها حتى "الإتقان في علوم القرآن" و"البرهان في علوم القرآن" أيضا، ولكن لم نجد هذا الاسم في كتب التراجم والأعلام والطبقات. بل وجدنا «عطاء بن أبي مسلم الخراساني» بعد التصفح، وذكره صاحب "مناهل العرفان في علوم القرآن" في المفسرين من طبقة أهل العراق، وهو راوي من كتب الحديث أيضا، ووجدنا ترجمته في كتب التراجم والأعلام. فنقلنا أحواله منها. هو عطاء بن أبي مسلم المحدِّث، الواعظ، نزيل دمشق والقدس. أرسل عن: أبي الدرداء، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة، وطائفة. وروى عن: ابن المسيّب، وعروة، وعطاء بن أبي رباح، وابن بريدة، ونافع، وعمرو بن شعيب، وعدة. روى عنه: معمر، وشعبة، وسفيان، ومالك، وحماد بن سلمة، وإسماعيل بن عياش، وعدد كثير، حتى إن شيخه عطاء حدّث عنه. وإنما قيل: «الخراساني» لأنه دخل خراسان وأقام بها مدة طويلة ثم رجع إلى العراق فنسب إلى خراسان لطول مكثه بها. وكان مولده سنة خمسين، ومات سنة خمس وثلاثين ومائة بـ«أريحا» فحمل ودفن ببيت المقدس وكان من خيار عباد الله. (سير أعلام النبلاء، الكاشف في معرفة مَن له رواية في الكتب الستّة، طبقات الحفّاظ لجلال السيوطي)

(٣) **قوله:** [محمد بن كعب] بن حيان بن سليم، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة. وحدّث عن أبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة، ومعاوية، وزيد بن أرقم، وابن عباس، وعبد الله بن يزيد الخطمي، وفضالة بن عبيد، والبراء بن عازب، وعبد الله بن جعفر، وكعب بن عجرة، وجابر، وأبي صرمة الانصاري البدري، وأنس، وابن عمر، وعن محمد بن خثيم، وعبيد الله بن عبد الرحمن ابن رافع، وأبان بن عثمان، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وطائفة. وروى عنه أخوه عثمان، ويزيد بن الهاد، وأبو جعفر الخطمي، وأبو سبرة

القرظيّ، وأبو العالية[١]، والضحّاك[٢] بن مزاحم، وعطيّة[٣] العوفي، وقتادة[٤]،

النخعي، والحكم بن عتيبة، وعاصم بن كليب، وأيوب بن موسى، وأسامة بن زيد الليثي، وزيادة بن محمد، وصالح بن حسان، وعاصم بن محمد العمري، وابن عجلان، وأبو المقدام هشام بن زياد، والوليد بن كثير، وأبو معشر نجيح، ومحمد بن رفاعة القرظي، وخلق كثير. قال أبو معشر وجماعة: توفي سنة ثمان ومئة. (سير أعلام النبلاء)

(١) **قوله**: [أبو العالية] رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسِّر، الرياحي البصري، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو شابّ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. وسمع من عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وأبي أيوب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعدة. وعن أبي خلدة عن أبي العالية قال: كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفا، ويجلس المملوك على الاسرة. وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعد صيته. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء فيما قيل، وما ذاك ببعيد فإنه تميمي. قال أبو خلدة: مات أبو العالية في شوال سنة تسعين. (سير أعلام النبلاء)

(٢) **قوله**: [الضحاك] بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وكان له أخوان: محمد ومسلم. وكان يكون ببلخ وبسمرقند. ووثّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما. وحديثه في السنن لا في الصحيحين. وقد ضعفه يحيى بن سعيد. وقيل: كان يدلّس. وقيل: كان فقيه مكتب كبير إلى الغاية، فيه ثلاثة آلاف صبي، فكان يركب حمارا ويدور على الصبيان. قال سفيان الثوري: كان الضحاك يعلّم ولا يأخذ أجرا. نقل غير واحد: وفاة الضحاك في سنة اثنتين ومئة. وقال أبو نعيم الملائي: توفي سنة خمس ومئة. وقال الحسين بن الوليد، والنيسابوري: توفي سنة ستّ ومئة.

(٣) **قوله**: [عطية العوفي] عطية بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الجدلي من مشاهير التابعين. روى عن ابن عباس، وأبي سعيد، وابن عمر. وعنه ابنه الحسن، وحجاج بن أرطاة، وقرة بن خالد، وزكريا بن أبي زائدة، ومسعر، وخلق. وكانت وفاته سنة إحدى عشرة ومائة.

(٤) **قوله**: [قتادة] بن دعامة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري الأكمه، كان تابعيا وعالما كبيرا، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين. وروى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل الكناني، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية رفيع الرياحي، وعكرمة مولى ابن عباس، وأبي المليح بن أسامة، والحسن البصري، وبكر بن عبد الله المزني، وعطاء بن أبي رباح. وروى

وزيد[١] بن أسلم، ومُرَّة[٢] الهمدانيّ، وأبو مالك[٣]، ويليهم الربيع[٤] بن أنس،

عنه أئمّة الإسلام أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، ومسعر بن كدام، وعمرو بن الحارث المصري، وشعبة بن الحجاج، وجرير بن حازم، وشيبان النحوي، وهمام بن يحيى. قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام، فقال له في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني. وقال الامام أحمد: كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها. (سير أعلام النبلاء)

(١) **قوله**: [زيد بن أسلم] العدوي العمري مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله فقيه مفسِّر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد بن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا في أمر. وكان ثقة كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. وله كتاب في "التفسير" رواه عنه ولده. حدّث عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك، وعن عطاء بن يسار، وعلي بن الحسين، وابن المسيب وخلق. حدّث عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وهشام بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد العزيز الدراوردي، وأولاده أسامة، وعبد الله، وعبد الرحمن بنو زيد، وخلق كثير. قال أبو حازم الأعرج: وما رأيت في مجلسه متماريين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا. وقال البخاري: كان علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم فكلّم في ذلك، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه. وفاته في ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين ومئة. (سير أعلام النبلاء، الأعلام)

(٢) **قوله**: [مرة الهمداني] مرة الطيب ويقال له أيضا: مرة الخير لعبادته وخيره وعلمه، وهو مرة بن شراحيل الهمداني الكوفي، مخضرم كبير الشأن. حدّث عن أبي بكر الصديق، وعمر، وأبي ذر، وابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وجماعة. حدّث عنه أسلم الكوفي، وزبيد اليامي، وحصين بن عبد الرحمن، وعطاء بن السائب، وإسماعيل بن أبي خالد، وآخرون. قال سفيان بن عيينة: سمعت عطاء بن السائب يقول: رأيتُ مصلَّى مرة الهمداني مثل مبرك البعير. ونقل عطاء أو غيره أنّ مرّة كان يصلي في اليوم والليلة ست مئة. ومات سنة نيف وثمانين رحمه الله بالكوفة .

(٣) **قوله**: [أبو مالك] اسمه غَزْوانُ الغِفاري، أبو مالك، الكوفي، صاحب التفسير، ثقةٌ، روى عن ابن عباس، وروى عنه السدّي وغيره وهو بِالكُنْيَةِ أَشْهَرُ، توفي بين سنة: (٩١هـ و١٠٠هـ). (الطبقات الكبرى، تاريخ الإسلام للذهبي)

(٤) **قوله**: [الربيع بن أنس] بن زياد البكري الخراساني المروزي. سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، والحسن البصري. وعنه: سليمان التيمي، والأعمش، والحسين بن واقد، وأبو

وعبد الرحمن[١] بن زيد بن أسلم في آخرين.

فهؤلاء قدماء المفسرين، وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة.

ثم بعد هذه الطبقة أُلِّفتْ تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان[٢] بن عيينة، ووكيع[٣] بن الجراح، وشعبة[٤] بن الحجاج،.....

جعفر الرازي، وعبد العزيز بن مسلم، وابن المبارك وآخرون. وكان عالم مرو في زمانه، وقد روى الليث عن عبيد الله بن زحر عنه. ولقيه سفيان الثوري. قال أبو حاتم: صدوق. يقال: توفي سنة تسع وثلاثين ومئة. وحديثه في السنن الأربعة. (سير أعلام النبلاء)

(١) **قوله:** [عبد الرحمن بن زيد بن أسلم] مولى عمر بن الخطاب العدوي المدني. وروى عن والده وابن المنكدر، وعنه وكيع. توفي سنة اثنتين ومائة.

(٢) **قوله:** [سفيان بن عيينة] بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي. كان إماما في التفسير وله تفسير القرآن. روى عن الزهري وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقرئ والأعمش وغير هؤلاء من أعيان العلماء. وروى عنه: الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن إسحاق وابن جريج والزبير بن بكار وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق كثير، ولد في شعبان سنة سبع ومائة، وكانت وفاته بمكة في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة.

(٣) **قوله:** [وكيع بن الجراح] بن مليح الرُؤاسي، أبو سفيان، حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره. ولد بالكوفة، وأبوه ناظر على بيت المال فيها. وتفقه وحفظ الحديث، واشتهر. وسمع من: هشام بن عروة، وسليمان الاعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وابن عون، وابن جريج، وداود الأودي، ويونس بن أبي إسحاق، وأسود بن شيبان، وهشام بن الغاز، والأوزاعي، وجعفر بن برقان، وزكريا بن أبي زائدة، وطلحة بن عمرو المكي، وفضيل بن غزوان، وأبي جناب الكلبي، وحنظلة بن أبي سفيان، وأبان بن صمعة. حدّث عنه: سفيان الثوري أحد شيوخه، وعبد الله بن المبارك، والفضل بن موسى السيناني -وهما أكبر منه- ويحيى بن آدم، وعبد الرحمن بن مهدي، والحميدي، ومسدد، وعلي، أحمد، وابن معين، وإسحاق، وبنو أبي شيبة، وأبو خيثمة. وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة. قال الإمام ابن حنبل: ما رأيتُ أحدا أوعى منه ولا أحفظ، وكيع إمام المسلمين. ووفاته سنة سبع وتسعين ومائة.

(٤) **قوله:** [شعبة بن الحجاج] شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم، الواسطي ثم

ويزيد[١] بن هارون، وعبد الرّزّاق[٢]، وآدم بن.....

البصري، أبو بسطام، من أئمة رجال الحديث، حفظا ودراية وتثبتا. ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي. وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، وحدّث عن: أنس بن سيرين، وإسماعيل بن رجاء، وسلمة بن كهيل، وجامع بن شداد، وسعيد بن أبي سعيد المقبري، وجبلة بن سحيم، والحكم ابن عتيبة، وعمرو بن مرة، وزبيد بن الحارث اليامي، وقتادة بن دعامة، ومعاوية بن قرة. حدّث عنه: أيوب السختياني، وسعيد الجريري، ومنصور بن المعتمر، ومطر الوراق، ومنصور بن زاذان –وهؤلاء هم أحد شيوخه– وابن إسحاق، وأبان بن تغلب، وسفيان الثوري، وإبراهيم بن طهمان، وإبراهيم بن سعد، وأبو حمزة محمد بن ميمون السكري، وزائدة بن قدامة، وزهير بن معاوية، وعلي بن حمزة الكسائي. قال الإمام أحمد: هو أمة وحده في هذا الشأن. وقال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. وكان عالما بالأدب والشعر، قال الأصمعي: لم نر أحدا قط أعلم بالشعر من شعبة. توفي بالبصرة سنة ستين ومائة.

(١) **قوله:** [**يزيد بن هارون**] بن زاذي السلمي مولاهم الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالد السلمي مولاهم، الواسطي، الحافظ. مولده: في سنة ثمان عشرة ومائة. وسمع من: عاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصاري القاضي، وسليمان التيمي، وسعيد الجريري، وحميد الطويل، وداود بن أبي هند، وبهز بن حكيم، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وعبد الله بن عون، وحريز بن عثمان، وأبي الأشهب جعفر بن الحارث، وسالم بن عبيد، وشيبان النحوي، وشعبة بن الحجاج، ومبارك، وخلق كثير. حدّث عنه: بقية بن الوليد –مع تقدمه– وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، ومحمد بن عبد الله بن نمير، والحسن بن عرفة، وأبو إسحاق الجوزجاني، وأحمد بن عبيد الله النرسي، وأحمد بن عبيد بن ناصح، وأحمد بن الوليد الفحام، وإسحاق الكوسج، والحسن بن علي الخلال، والزعفراني. قال علي بن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون. وكان رأسا في العلم والعمل، ثقة، حجة، كبير الشأن. قال ابن سعد: وتوفي في خلافة المأمون، يعني سنة ستّ ومائتين.

(٢) **قوله:** [**عبد الرزاق**] بن همام اليمني الصنعاني الحميري، صاحب المصنفات والتفسير، حدّث عن: هشام بن حسان، وعبيد الله بن عمر، وأخيه؛ عبد الله، وابن جريج، ومعمر –فأكثر عنه– وحجاج بن أرطاة، وعبد الملك بن أبي سليمان، والمثنى بن الصباح، وعمر بن ذر، ومحمد بن راشد، وزكريا بن إسحاق، وعكرمة بن عمار روى عنه سفيان بن عيينة والإمام أحمد ويحيى بن معين. حدّث عنه: شيخه؛ سفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وأبو أسامة، وطائفة من أقرانه،

أبي إياس[١]، وإسحاق بن راهويه[٢]، وروح بن عبادة[٣]، وعبد بن حميد[٤]،

وأحمد بن حنبل، وابن راهويه، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وإسحاق الكوسج، ومحمد بن يحيى، ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد، ويحيى بن جعفر البيكندي، ويحيى بن موسى خت، والحسن بن أبي الربيع، وأحمد بن منصور الرمادي. توفي سنة إحدى عشر ومائتين.

(١) **قوله**: [**آدم بن أبي إياس**] أبو الحسن الخراساني الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ الشام، أبو الحسن الخراساني، المروذي، ثم البغدادي، ثم العسقلاني، محدّث عسقلان. واسم أبيه: ناهية بن شعيب، وقيل: عبد الرحمن. وسمع: بالعراق، ومصر، والحرمين، والشام. حدّث عن: ابن أبي ذئب، ومبارك بن فضالة، وشعبة بن الحجاج، والمسعودي، والليث، وحريز بن عثمان، وورقاء، وحماد بن سلمة، وشيبان النحوي، وإسرائيل بن يونس، وحفص بن ميسرة، وخلق. وعنه: البخاري في "صحيحه"، وأحمد بن الأزهر، وأحمد بن عبد الله العكاوي، وإسماعيل سمويه، وهاشم بن مرثد الطبراني، وإسحاق بن سويد الرملي، وأبو زرعة الدمشقي، وأبو حاتم الرازي، وثابت بن نعيم الهوجي، وإبراهيم بن ديزيل سيفنه، وخلق سواهم. وكان حنفي المذهب من أفاضل علماء الحنفية. وتوفي سنة عشرين ومائتين.

(٢) **قوله**: [**إسحاق بن راهويه**] إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه: عالم خراسان في عصره. من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وقيل في سبب تلقيبه (ابن راهويه) إن أباه ولد في طريق مكة، فقال أهل مرو: راهويه ! أي ولد في الطريق. وكان إسحاق ثقة في الحديث، وقال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، ورحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن. وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

(٣) **قوله**: [**روح بن عبادة**] بن العلاء القيسي البصري الحافظ، الصدوق، الإمام، أبو محمد القيسي، البصري؛ من قيس بن ثعلبة. حدّث عن: ابن عون، وهشام بن حسان، وأشعث بن عبد الملك الحمراني، وعوف الأعرابي، وحسين المعلم، وأسامة بن زيد المدني. حدّث عنه: علي، وأحمد، وإسحاق، وابن نمير، وبندار، وأحمد بن سعيد الرباطي، وزهير بن محمد المروزي، وأبو إسحاق الجوزجاني، وعبد بن حميد، وعلي بن حرب. مات سنة خمس ومائتين.

(٤) **قوله**: [**عبد بن حميد**] بن نصر الكسي هو: الإمام، الحافظ، الحجة، الجوال، أبو محمد، ويقال له: الكشي -بالفتح والإعجام-. يقال: اسمه: عبد الحميد. وحدّث عن: علي بن عاصم الواسطي،

وسعيد[١]، وأبي بكر بن أبي شيبة[٢]، وآخرين.

وبعدهم **ابن جرير الطبريّ**[٣] وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها.

ومحمد بن بشر العبدي، وابن أبي فديك، ويزيد بن هارون، ويحيى بن آدم، وأبي علي الحنفي، وأبي داود الطيالسي، وأبي بدر السكوني، وعبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي، وأبي عاصم، وخلق كثير. حدّث عنه: مسلم، والترمذي، والبخاري تعليقا في دلائل النبوة. ومات سنة تسع وأربعين ومائتين.

(١) **قوله**: [**سعيد**] بن مسعود بن عبد الرحمن المحدِّث، المسند، أبو عثمان، المروزي، أحد الثقات. حدّث عن: النضر بن شميل، ويزيد بن هارون، ويعقوب بن إبراهيم، وشبابة، وروح بن عبادة، وأزهر بن سعد السمان. وعنه: عمر بن أحمد بن علك، ومحمد بن نصر الفقيه، ومحمد بن أحمد المحبوبي، وأهل مرو. توفي: سنة إحدى وسبعين ومائتين.

(٢) **قوله**: [**أبي بكر بن أبي شيبة**] الشيخ عبد الله بن محمد الكوفي المعروف بابن أبي شيبة، كنيته: أبو بكر، وهو الإمام العالم الفاضل الحافظ، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السنّ والمولد والحفظ، ويحيى بن معين أسنّ منهم بسنوات. صنّف التفسير كان يعرف بتفسير ابن أبي شيبة. ومِن تصانيفه: كتاب الأحكام. كتاب التاريخ. كتاب ثواب القرآن. كتاب الجمل. كتاب الردّ على مَن ردّ على أبى حنيفة، المصنَّف في الأحاديث والآثار. وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. (سير أعلام النبلاء، هدية العارفين، طبقات المفسرين)

(٣) **قوله**: [**ابن جرير الطبريّ**] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. مولده: سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. كان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في أخبار الأمم وتاريخهم، وله كتاب "التفسير": لم يصنّف مثله، وكتاب سمّاه "تهذيب الآثار" لم أر سواه في معناه، لكن لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه. وكان مولده سنة أربع وعشرين ومائتين. وتوفي يوم السبت آخر النهار، ودفن يوم الأحد في داره، في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلثمائة ببغداد.

ثم ابن أبي حاتم[١]، وابن ماجه[٢]، والحاكم[٣]، وابن مردويه[٤]، .....

(١) **قوله**: [**ابن أبي حاتم**] عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. ولد سنة أربعين ومائتين. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. سمع من أبيه وأبي زرعه، وابن وارة، والحسن بن عرفة، والحسن بن عرفة، وعبد الله بن أحمد وغيرهم كثير. وروى عنه: ابن عدي، وأبو أحمد الحاكم، وأبو الشيخ الأصبهاني، والقاضي يوسف الميانجي. وتوفي في شهر محرم من سنة سبع وعشرين ثلاثمائة. له تصانيف، منها "الجرح والتعديل"، و"التفسير"، و"الرد على الجهمية"، و"علل الحديث"، و"المسند"، و"الكنى" و"الفوائد الكبرى" و"المراسيل".

(٢) **قوله**: [**ابن ماجه**] أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني الحافظ المشهور، مصنف كتاب السنن في الحديث؛ كان إماما في الحديث عارفا بعلومه وجميع ما يتعلق به، ارتحل إلى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والري، وله تفسير القرآن الكريم وتاريخ مليح، وكتابه في الحديث أحد الصحاح الستة. وكانت ولادته سنة تسع ومائتين. وتوفي يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين. وماجه: بفتح الميم والجيم وبينهما ألف وفي الآخر هاء ساكنة. (وفيات الأعيان)

(٣) **قوله**: [**الحاكم**] محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنّفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنّف كتبا كثيرة جدّا، قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفا وخمسمائة جزء. وحدّث عن: أبيه، وكان أبوه قد رأى مسلما صاحب "الصحيح"، وعن محمد بن علي المذكّر، ومحمد بن يعقوب الأصم، ومحمد بن يعقوب الشيباني ابن الأخرم، ومحمد بن أحمد بن بالويه الجلاب، وأبي جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي صاحب ابن واره. وحدّث عنه: الدارقطني -وهو من شيوخه-، وأبو الفتح بن أبي الفوارس، وأبو العلاء الواسطي، ومحمد بن أحمد بن يعقوب، وأبو ذر الهروي، وأبو يعلى الخليلي، وأبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وأبو صالح المؤذن وخلق سواهم. قال أبو حازم عمر بن أحمد العبدوي الحافظ: سمعت الحاكم أبا عبد الله إمام أهل الحديث في عصره يقول: شربت ماء زمزم، وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف. وتوفي يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة.

(٤) **قوله**: [**ابن مردويه**] أبو بكر أحمد بن موسى بن فورك بن موسى بن جعفر الأصبهاني، الحافظ،

وأبو الشيخ بن حبّان[١]، وابن المنذر[٢] في آخرين، وكلُّها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير؛ فإنه يتعرّض لتوجيه

المجوّد، العلامة، محدّث أصبهان، صاحب "التفسير الكبير"، و"التاريخ"، و"الأمالي"، وغير ذلك. مولده: في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة. وروى عن: أبي سهل بن زياد القطان، وميمون بن إسحاق، وعبد الله بن إسحاق الخراساني، ومحمد بن عبد الله بن علم الصفار، وإسماعيل بن علي الخطبي، ومحمد بن علي بن دحيم الشيباني الكوفي، وإسحاق بن محمد بن علي الكوفي، وأبي بكر محمد بن عبيد الله الشافعي، وأحمد بن عبد الله بن دليل، ومحمد بن أحمد بن علي الأسواري، وأحمد بن عيسى الخفاف، وأحمد بندار الشعار، وأحمد بن محمد بن عاصم الكراني، وأبي أحمد العسال، وأبي إسحاق بن حمزة، وسليمان الطبراني، وخلق كثير. حدّث عنه:أبو بكر محمد بن إبراهيم المستملي العطار، وأبو عمرو عبد الوهاب، وأبو القاسم عبد الرحمن؛ ابنا الحافظ ابن مندة، وأبو الخير محمد بن أحمد بن رزا، والقاضي أبو منصور بن شكرويه، وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن سليم، وسليمان بن إبراهيم الحافظ، وأحمد بن عبد الرحمن الذكواني، وأبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي، وأبو مطيع محمد بن عبد الواحد الصحاف، وخلق كثير. مات سنة عشر وأربعمائة.

(١) **قوله**: [**أبو الشيخ بن حبان**] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له: ابن حبان: مؤرخ، علامة، جغرافي، محدث. ولد في بست (من بلاد سجستان)، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين. وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة. وهو أحد المكثرين من التصنيف. وقال الحاكم:كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال. وتوفي ابن حبان بسجستان بمدينة بست في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

(٢) **قوله**: [**ابن المنذر**] محمد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري الإمام المجتهد نزيل مكة صنّف كتبا لم يصنّف مثلها في الفقه وغيره ومنها كتاب المبسوط وكتاب الإشراف في اختلاف العلماء وكتاب الإجماع وكتاب التفسير وهو من أحسن التفاسير، وكان على نهاية من معرفة الحديث والاختلاف وكان مجتهدا لا يقلّد أحدا. سمع محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن ميمون ومحمد بن إسماعيل الصائغ وروى عنه أبو بكر بن المقرىء ومحمد بن يحيى بن عماد بن الدمياطي وآخرون. وله (تفسير) كبير في بضعة عشر مجلدا، يقضي له بالإمامة في علم التأويل أيضا. وكانت وفاته سنة ثمانية عشر وثلاثمائة.

الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك.

ثم أَلَّف في التفسير خلائق، فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال بَتْرا[1]، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل. ثم صار كلّ من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانّا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومَن يرجع إليهم في التفسير.

ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكانَ كلٌّ منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه:

فالنحويّ: تراه ليس له همٌّ إلا الإعراب، وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو، ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في "البسيط"، وأبي حيّان في "البحر" و"النهر".

والأخباريّ: ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها، والأخبار عمّن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبي.

والفقيه: يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمّهات الأولاد، وربما استطرد إلى إقامة أدلّة الفروع الفقهيّة التي لا تعلّق لها بالآية، والجواب عن أدلّة المخالفين كالقرطبي.

وصاحب العلوم العقليّة -خصوصا الإمام فخر الدين- قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية. قال أبو حيان في البحر: جمع

(١) **قوله:** [**بترا**] أي: مقطوعة عمّا قبلها وما بعدها ممّا يتمم معناها. (العلميّة)

الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء فيه كلّ شيء إلا التفسير.

والمبتدع: ليس له قصد إلا تحريف الآيات، وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنّه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع إليه. قال البلقيني: استخرجتُ من "الكشّاف" اعتزالا بالمناقيش من قوله تعالى في تفسير: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل‌عمران:١٨٥] وأيّ فوز أعظم من دخول الجنة؟ أشار به إلى عدم الرؤية.

قال السيوطي: فإنْ قلتَ: فأيّ التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أن يعوّل عليه؟ قلتُ: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبريّ الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يُؤلَّف في التفسير مثله.

قال النووي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يُصنِّف أحدٌ مثلَه.

لمحة عن مركز الدعوة الإسلامية

بعد أن أفلتْ شمس الإسلام بسبب كثرة الفتن والغفلات، وأصبح الدين في موطنه غريباً، وعم الجهل وساد الظلام، وصار المسجد وحيداً، وتلقفت الناس فتن وشهوات، وتفرقت بهم السبل، وتاهوا في الطرقات، انبثقت من هناك من أعماق الشرق جذوة مضيئة، فاستنارت الأرض من حولها وبدأ الخير والنور ينتشر من ضوء شمعة،

ولعل بعض الناس يقول: ماذا ستفعل شمعة في هذا الظلام؟

أو يقول آخر: ماذا يفعل رجل مصلح في هذا الزِّحام؟

دعونا نستمع لنرى هل يصحّ هذا الكلام؟!

نعم لقد أوقد هذه الجذوة رجل يحمل همّ أمّة، يبتغي لها الصلاح والنجاة، فبدأ يحمل هذا النور وهو يحمل هم البشرية، يرجو لها الهداية والخير، بدأ هذا الرجل وحيداً يحث الناس على ارتياد المساجد والحفاظ على الصلوات، يكلمهم أينما وجدهم، ويذهب إليهم حيثما كانوا، يذكّرهم بالله ورسوله، يعلمهم السنن ويحببهم فيها، حتى الْتف من حوله مجموعة من المحبّين، فأصبحوا جماعة يحملون هم الدعوة لنشر الدين وإحياء السنن حتى صارت أعمالهم وحركاتهم، ونومهم واستيقاظهم، وأكلهم ولباسهم ومظهرهم، وكذلك أخلاقهم، كلها وفق السنة، وعلى طريق الشريعة المطهّرة، يوجّههم إلى آداب الإسلام وأخلاقه، كالتقليل من الطعام والكلام، مع أدب التواضع والخضوع لإخوانهم، ولين الجانب ولطافة المعشر، ونحو ذلك.

ثم كلّف هذا الشيخ الْمُصْلِحُ بعض المحبين ببناء المساجد، فصاروا يسعون في الأرض لبناء المساجد في المناطق التي تحتاج لذلك.

وكلّف آخرين ليكونوا دعاة لله مبلغين لدينه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومصلحين للناس، وصاروا يذهبون في الأحياء والأسواق، ويسافرون من مكان إلى آخر في سبيل الدعوة إلى الله والتعريف بالدين وأخلاقيّاته.

ثم كلّف البعض ليكونوا معلّمين وموجّهين للشباب بالحب والترغيب، وليصْبحوا دعاة ومصلحين فيما بعد.

ووكّل قسماً آخر من إخوانه لتعليم الكبار تلاوة القرآن والأحكام والعبادات.

وكلّف البعض الآخرين ليكونوا مدرسين للصغار؛ يحفظونهم القرآن الكريم ويعلمونهم اللغة العربية، ثم تكوّنت لديهم الرحلات الدعوية التي يخرج فيها الدعاة في مختلف البلدان للدعوة إلى الله تعالى، وهكذا بدأ يوزّعُ المهام الدعوية بين المؤمنين والمحبين... حتى أضاءت تلك الشمعة ملايين الشمعات بلا مبالغة.

فتعاون المريدون والمحبون للشيخ لتنوير الناس بالدين في باكستان ثم انطلقوا حول العالم في الشرق والغرب، يعملون جميعا تحت رايةِ أهل السنة والجماعة فقهاً وعقيدةً وسُلُوكاً، بإشراف ما سمِّي فيما بعد بمركز الدعوة الإسلامية، الذي أسسه وأشعل جذوته وأضاء شمعته الأولى فضيلة الشيخ الصالح العارف بالله المصلح **أبو بلال محمد إلياس العطار القادري** حفظه الله تعالى.

إذن فمركز الدعوة الإسلامية هو عبارة عن مركز إسلامي دعوي، يعمل على نشر تعاليم القرآن والسنة حول العالم، وقد وصلت رسالته الدعوية إلى قرابة ٢٠٠ دولة، ويتكون المركز الآن من أكثر من ١٠٥ إدارة وشعبة وقسم، وكل واحد منها يشرف على أعمال ونشاطات ومسؤوليات كبيرة.

أهداف المركز:

- النهضَة بالأمة وإعادة الناس إلى المساجد والمحافظة على الصلوات.
- تعليم الناس ما يحتاجونه من دينهم (الطهارة، الصلاة، الصيام، الحج، العمرة، الزكاة، المعاملات التجارية، تلاوة القرآن الكريم) وغيرها...
- إحياء السنن النبوية بشكل عملي في حياة المسلم اليومية: (اللباس، الهيئة، النظافة، التطيّب والعطر، كيفية النوم، كيفية الأكل، التواضع، والأدب، محبة الإخوة، وغيرها).
- تأهيل علماء في الشريعة في علوم التفسير، والأصول، والعقيدة، والحديث الشريف، واللغة العربية، والفقه والإفتاء، وعلم المواقيت وغيرها...وحتى العلوم الكونية أيضاً.

- تأهيل دعاة ومبلغين لدين الله تعالى يعملون على تحقيق أهداف المركز في الإصلاح.
- وبفضل الله كتب الله لهذا المركز الانتشار والقبول وصار له محبين بالملايين، وأصبح له مقر رئيسي، وأقسام ومكاتب، وأعمال كثيرة ومتفرعة، ثم اتجه القائمون فيه إلى تنظيم وترتيب أعمالهم الدعوية، فصار هناك برنامج منضبط وخطة واضحة للإصلاح، وهم ينطلقون لمتابعة الإصلاح في فروع المركز العديدة التي انتشرت في مختلف بلدان العالم: منها مراكز في جنوب أفريقيا، وفي أمريكاً، وكوريا الجنوبية، وتركيا، وفي دول أوروبا (كـ إيطاليا، وإسبانيا، وألمانيا، واليونان، وبريطانيا...) وهذا على سبيل المثال لا الحصر...
- بل صار لهم نشاط دعوي متميز بوسطيَّته وسماحته في البلاد العربية أيضاً...

أمَّا المجالات البارزة التي يخدم فيها مركز الدعوة الإسلامية وينْشَطُ بالعمل عليها فمنها:

١. الأقسام التعليمية:
- مدرسة المدينة
- قسم التجويد والتلاوة
- مدرسة المدينة أون لاين
- دار المدينة
- جامعة المدينة
- التخصصات والدراسات العليا

٢. الأقسام العلمية:
- دار إفتاء أهل السنة
- المدينة العلمية للتأليف والتحقيق
- قسم الترجمة
- قسم البحوث والدراسات الإسلامية
- مكتبة المدينة للطباعة والنشر

٣. الإعلام والتواصل

- قناة مدني (في ثلاث لغات: الأردية، الإنجليزية، البنغالية)
- الدعوة الإلكترونية عبر الموقع
- الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي
- الدعوة بين الصحفيين والإعلاميين

٤. الدعوة والإصلاح

- الرحلات الدعوية
- مذاكرة المدينة الأسبوعية
- محاسبة النفس اليومية
- الاجتماعات الأسبوعية
- الاعتكاف الجماعي لشهر رمضان كاملاً

٥. الأقسام الاجتماعية والخيرية

- المساعدات الإنسانية
- بناء المساجد وإعمارها
- إطعام الطعام
- الرعاية الصحية
- تجهيز الموتى والتكفين

٦. إدارة الشؤون العربية

وهي من أهم الشعب التي تنقل رسالة المركز الدعوية وتُعرّف العرب بنشاطات هذه المؤسسة العريقة، فيتم من خلالها ترجمة المحاضرات والمقاطع من الأوردية إلى العربية وبالعكس أيضاً، ومن مهامها: أنها تقوم بإعداد الحلقات وكتابة نصوصها وتدقيقها، كما تقوم بتسجيل البرامج والمقاطع المتلفزة أو التي تُنشر عبر وسائل التواصل والموقع الالكتروني للمركز بالعربية، كما تتابع النشاطات

الدعوية للمركز ودعاة المركز في باكستان والعالم وتنقله بالعربية بغرض التعريف والتشجيع، وإحياء روح التعاون الدعوي بين المسلمين.

وهذه يا أعزائي! بعض أقسام من ١٠٥ قسم.

إنها عناوين كثيرة، وأقسام متنوعة، وشعب متفرعة، تشتمل كلٌ منها على مئات، أو آلاف من الموظفين والعاملين في التعليم والدعوة والإصلاح، (علماء، فقهاء، دعاة، قرّاء، أئمة، تقنيين، فنيين، إداريين)، ينتشرون في كثيرٍ من البلدان في العالم، يجمعهم هدفٌ واحد، نادى به سيدي الشيخ محمد إلياس العطار القادري منذ أربعين عاماً، حينما بادر في الدعوة والإصلاح وحيداً، وأطلق نداءَ حياةٍ وصرخةَ ألَمٍ حين نظر إلى حال الأمة وتدهورها، وهو نداء أمل وتفاؤلٍ لأحوال المستقبل، هدفٌ أصبحنا نحن الآلاف في مركز الدعوة الإسلامية نحاول الحياة لأجله، ونتفانى في سبيل تحقيقه، إنه هدف سيدنا الشيخ محمد إلياس العطار القادري:

((**عليّ محاولة إصلاح نفسي وجميع أناس العالم** إن شاء الله تعالى))

كما يمتاز مركز الدعوة الإسلامية أن إداراته وأقسامه في تزايد مستمر في جميع نواحي الحياة وحاجات الناس، ولا تقف بفضل الله تعالى عند حد، وبسبب الجهود المبذولة من العاملين والتفاني في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، تُولد أعمالٌ تعليمية ودعوية في مجتمعات عديدة، وتُفْتَتَحُ فروع ومراكز جديدة...

ومن التعاون أننا نرجو من كل أخٍ يحمل هم الأمة أن يشاركنا في هذا العمل الكبير وهذا الأجر العظيم، وعلى من يرغب بالاطلاع على أنشطة المركز الدعوية أن يتواصل معنا لتزداد حديقة مركز الدعوة الإسلامية أزهاراً عطرة فواحة في ربوع العالم المتعطّش لروح الإسلام ونفحات الإيمان...

إدارة الشؤون العربية

التابعة لمركز الدعوة الإسلامية

رابط الموقع: https://www.arabicdawateislami.net

البريد الإلكتروني: arabic@dawateislami.net

رابط الفيس بوك: f/arabic.dawateislami

مآخِذ المقدمة والحاشية

١. تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)، مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ.

٢. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ، ط١.

٣. التفسير الكبير، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ط٣.

٤. الدر المنثور في تفسير المأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٤٣٢هـ.

٥. الموطّأ، عالم المدينة الإمام مالك بن أنس (ت:١٧٩هـ)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٠هـ، ط٢.

٦. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت:٢٥٥هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ط١.

٧. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ط١.

٨. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت:٢٦١هـ)، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ، ط١.

٩. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه (ت:٢٧٣هـ)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٠هـ، ط٣.

١٠. سنن أبي داود، سليمان بن أشعث السجستاني (ت:٢٧٥هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ، ط١.

١١. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.

١٢. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ. ط١.

١٣. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ط١.

١٤. المسند، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ، ط٢.

١٥. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ، ط٢.

١٦. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، عمان: دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ط١.

١٧. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم (ت:٤٠٥هـ)، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ، ط١.

١٩. صحيح ابن حبان، الإمام محمد بن حبان بن أحمد (ت:٣٥٤هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ط٢.

٢٠. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى (ت:٣٠٧هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ط٢.

٢١. معجم أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، (ت:٣٠٧هـ) فيصل آباد: إدارة العلوم العصرية ١٤٠٧هـ، ط١.

٢٢. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت:٢٥٥هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٢٣. مسند البزّار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت:٢٩٢هـ)، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ، ط١.

٢٤. شعب الإيمان، أحمد بن حسين بن على البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ. ط١.

٢٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر (ت:٨٠٧هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ، ط٢.

٢٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٧. المصنَّف، عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة الكوفي (ت:٢٣٥هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.

٢٨. كنز العمّال، علاء الدين عليّ بن حسام الدين (ت:٩٧٥هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ط١.

٢٩. مسند الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت:٢٠٤هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٠. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)، ملتان: نشر السنة.

٣١. الأمّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت:٢٠٤هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ.

٣٢. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ط١.

٣٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام أبو السادات المبارك بن محمد الجزري (ت:٦٠٦هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣.

٣٤. دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٥. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، بيروت: دار النشر.

٣٦. فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي (ت:٢٢٤هـ)، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ، ط١.

٣٧. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، دمشق: دار المصطفى.

٣٨. حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ط١.

٣٩. اتحاف السادة المتقين، السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٠. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، محمد الزرقاني بن عبد الباقي (ت:١١٢٢هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ط١.

٤١. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ط١.

٤٢. تاريخ مدينه دمشق، علي بن حسن المعروف بابن عساكر (ت:٥٧١هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٤٣. الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ، ط٢.

٤٤. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي (ت:١٣٩٦هـ)، بيروت: دار العلم للملايين.

٤٥. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت:٧٩٤ هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٤٦. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت:٤٧١هـ).

٤٧. القواعد والفوائد الأصولية ومايتبعها من الأحكام الفرعية، أبو الحسن علي بن محمد البعلي الدمشقي الحنبلي (ت:٨٠٣هـ)، المكتبة العصرية،١٤٢٠هـ.

٤٨. العقود اللؤلؤية بالأسانيد العلوية، محمد بن علوي بن عباس المالكي (ت:١٤٢٥هـ).

٤٩. الطالع السعيد المنتخب من المسلسلات والأسانيد، محمد بن علوي بن عباس المالكي (ت:١٤٢٥هـ).

٥٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الحنفي (ت:١١٥٨هـ) مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٦ء.

٥١. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:١٨١٧هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ، ط١.

٥٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، مصر: المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

٥٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت:٦٦٠هـ)، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

٥٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان (ت:٦٨١هـ) بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٥. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ) بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ، ط١.

٥٦. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ، ط١.

٥٧. هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي (ت:١٣٣٩هـ)

٥٨. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، (ت:١٠٣١هـ) بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ.